3

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٢٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية

١١١٦٤٦
١٠٠٢٢٦٠

الوزير السلجوقي

نظام الملك

بحث مقدم
لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

٢٧٦

بإشراف الأستاذ الدكتور : حسام الدين السامرائي

بحث الطالبة : هيفاء عبد الله العلي البسام

١٣٩٩/١٤٠٠هـ - ١٩٧٩/١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الرسالة

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
* محتويات الرسالة	٢ — ٥
* المقدمة	٦ — ٢٤
— دراسة نقدية لأهم مصادر البحث	
* تمهيد	٢٥ — ٣٥
— السلاجقة .. نشأتهم ودولتهم	
* الفصل الأول :	٣٦ — ٥٦
— تعريف بنظام الملك :	
• أصله ونشأته	٣٧ — ٤١
• ثقافته ومذهبه	٤٢ — ٥٤
• تدرجه فى مناصب الدولة	٥٥ — ٥٦

الموضوع	الصفحة
* الفصل الثانى :	٥٧ ـ ١٠٦
ـ وزارة نظام الملك :	
• وزارته لألب أرسلان (٤٥٥ / ٤٦٥ هـ) (١٠٦٣ / ١٠٧٢ م)	٥٨ ـ ٧٦
• وزارته لملكشـــــاه (٤٦٥ / ٤٨٥ هـ) (١٠٧٢ / ١٠٩٢ م)	
* الفصل الثالث :	١٠٧ ـ ١٣٩
ـ تنظيماته :	
• تنظيماته السياسية (العلاقة بين السلاجقـــة والعباسيين) .	١٠٨ ـ ١١٠
• تنظيماته الادارية	١١١ ـ ١١٧
• تنظيماته الاقتصادية	١١٨ ـ ١٢٢
• الاقطاع الحربى	١٢٣ ـ ١٣٩

الموضوع	الصفحة
* الفصل الرابع :	١٤٠ ـ ٢٣١
ـ دوره فى الحياة الثقافية :	
• اشتغاله بعلم الحديث	١٤١ ـ ١٤٢
• انشاء المدارس النظامية	١٤٣ ـ ١٦٠
• تعديل التقويم السنوى	١٦١ ـ ١٦٣
• كتاب " سياسة نامة "	١٦٤ ـ ٢٣١
* اغتياله	٢٣٢ ـ ٢٥٩
* نتائج البحث	٢٦٠ ـ ٢٦٣
* قائمة المصادر والمراجع	٢٦٤ ـ ٢٧٤

المقدمة

دراسة نقدية لأهم مصادر البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين .. وبعد

سأبدأ موضوع بحثى : " الوزير السلجوقى (نظام الملك) " بذكر أهميته ، وسبب اختيارى له ، ثم أتطرق للمشاكل والعقبات التى اعترضت طريقى ، والتى أعتقد أنها تهم جميع الدارسين .

مما لاشك فيه أن نظام الملك من الشخصيات البارزة فى التاريخ الاسلامى فقد لعب دورا رئيسيا فى العصر الذى عاش فيه ، اذ كان على صلة مباشرة بتوجيه الأحداث نتيجة وزارته وصلته الوثيقة باثنين من سلاطين السلاجقة العظام هما ألب أرسلان وملكشاه ، ثم اتصل بالخلافة العباسية وأسهم بنشاط فى توثيق علاقة السلطنة بالخلافة الاسلامية وابراز المصالح المشتركة بينهما وفى نفس الوقت التأكيد على الخطر المشترك الذى كان يتهددهما كما يتهدد المجتمع الاسلامى بكامله ، نتيجة شيوع الأفكار الفاسدة الضالة ، وتحول الصراع نحو استخدام الارهاب الدموى ، متمثلا فى تحركات الحسن الصباح وتنظيماته التى تبنت الارهاب لنشر الدعوة الفاطمية والتصميم على اغتيال كل من يقف فى طريقها .

وفى سبيل تحقيق ذلك نظمت الخلايا وثبت الدعاة فى طول الوطن الاسلامى وعرضه ، وحينما استعمل مفكروهم المنطق وعلم الكلام فى محاولة اقناع الناس بآرائهم واجه الوزير نظام الملك خطرهم بجرأة نادرة وتصميم ، فقد وضع الخطط المضادة فى اتجاهين فهو من جهة أكد على السلطان ملكشاه بضرورة القيام بعمل عسكرى حاسم ضد مراكزهم وقلاعهم الحصينة ، كما انه من الجهة الأخرى صمم على ضرورة تكوين جيل جديد من علماء ومفكرى أهل السنة للرد على دعاياتهم ، وكشف فضائحهم ممن ينبغى أن تكون ثقافتهم شاملة وعميقة ، ولعل فى انشاء المدارس النظامية فى مراكز متعددة فى أنحاء الوطن الاسلامى ما يعكس هذا الاتجاه .

ان شخصية نظام الملك القوية الفذة استمدت الكثير من قوتها وعظمتها من دولة السلاجقة . وقد بذل الوزير قصارى جهده لنصرة الاسلام مستندا الى التزام السلاجقة بالسنة .

وبالرغم من أن هناك العديد من الكتب التى تبحث فى تاريخ السلاجقة الا أن ماورد فيها عن نظام الملك ودوره فى ترسيخ وقوة الدولة السلجوقية ومؤسساتها مرتبك ، ويحتاج الى دراسة منظمة ، هذا اضافة الى التشويه

المتعمد الذى باشرته الفرق الضالة لتاريخه •

وبالرغم من أن نظام الملك ينحدر من أصل فارسى ، فان ثقافته الواسعة وحرصه الشديد على أهل السنة والدفاع المجيد الذى باشره ازاء خصوم العقيدة الاسلامية ، أضف الى هذا ما يتميز به من الورع والتقوى والعدل ، وما اتصف به من شجاعة وتواضع وما برز فيه من قدرة على التنظيم والادارة ، كل هذه الصفات جعلت من هذا الوزير المجاهد الشهيد شخصية بارزة فى تاريخ الأمة ينبغى الاهتمام بتحليلها ودراستها ، ولعل ذلك هو ما دعانى الى اختيار موضوع هذا البحث •

أما بالنسبة للمشاكل التى واجهتنى فلعل صعوبة الحصول على المصادر كانت على رأس القائمة ، وأستطيع أن أقول ان هذه مشكلة رئيسية تجابه جميع الباحثات فى الجامعة بمكة المكرمة ، فأنا مثلا لم أحصل على كتاب " راحة الصدور " للراوندى — رغم أهميته الكبيرة فى مثل هذا البحث — الا بعد جهد جهيد •

أما كتاب " سياسة نامه " فلم أتمكن من الوصول اليه الا بعد الانتهاء

من كتابة البحث مما اضطرنى الى اعادة النظر جملة وتفصيلا من حيث أنه من المصادر الأساسية التى لايمكن أن يكتمل البحث بمعزل عنه ٠

وتمثل مسألة عدم تمكن الطالبات من الاستفادة من مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى ، وما يقتنيه من مخطوطات نادرة عقبه أخرى أمام الباحثات ولعل فى الامكان التوصل الى حل لهذه المسألة الحيوية وتيسير سبيل الافادة والاستزادة من المخطوطات القيمة ٠ وتظهر مشكلة الاستعارة من المكتبة والقيود التى توضع أمام الباحثات ، والتى لا أشك فى أن بالامكان التغلب عليها ٠

وأخيرا لابد لى أن أشير الى أن المصادر الأساسية لم تكن على درجة واحدة سواء فى عرضها للحقيقة أو فى موقفها من السلاجقة بشكل عام أو من نظام الملك بوجه خاص ، لذلك فان الوصول الى وجهة النظر الاسلامية منها والتى تعبر عن الحقائق التاريخية دون تحيز أو ميل كانت هدفا مركزيا للبحث ٠

ويمكن القول بأنه قد توفرت لدينا من المصادر مايمكن بواسطته تغطية

جميع تاريخ فترة سلاطين آل سلجوق العظماء الذين حكموا بين ٤٢٩ هـ — ٥٩٠ هـ / ١٠٣٧ — ١١٩٣ م . وهذه المصادر التاريخية غاية فى الدقة كتبها علماء أجلاء ، لم يقتصر حالهم على مشاهدة الحوادث التى سجلوها بل ان بعضهم شارك فيها مشاركة عملية فعالة .

ومن أهم المصادر التى استفاد منها البحث مؤلفات ابن الجوزى والعماد الأصفهانى ، والراوندى ، وابن النظام الحسينى ، وابن الأثير المؤرخ والقزوينى وابن خلدون . وكذلك استفدت من عدد طيب من المراجع .

ويعتبر ابن الجوزى ، وهو أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى الحنبلى (٥٠٨ — ٥٩٧ هـ) من أعلام القرن السادس الهجرى فى الحديث والتاريخ على حد سواء ، وهو من الثقات المعدول ، ومن مصنفاته " المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم " ، و " مناقب عمر بن الخطاب " ، و " شذور العقود فى تاريخ العهود " ، و " مناقب عمر بن عبد العزيز " ، و " جامع المسانيد والألقاب " وهو خمس مجلدات . وقد تضمن كتابه " المنتظم " معلومات أفادت بحثنا هذا أيما فائدة ، وينبغى ألا يغرب عن البال ان ابن الجوزى هو أقرب المصادر الى الفترة التى يتناولها موضوع

البحث ، ولعل ذلك ما يعزز معلوماته ويمنحها الأهمية ، خصوصا وقد أسلفنا انه من المؤرخين الثقات .

أما ابن العماد الأصفهاني فهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن نفيس الملقب بابن العماد الكاتب الأصفهاني (٥١٩ — ٥٩٧ هـ) وتعتبر المعلومات التي ذكرها المؤلف في كتابه الموسوم بـ " تاريخ دولة آل سلجوق " من المعلومات المهمة التي استفاد منها البحث كثيرا وبشكل خاص فيما يتعلق بموقف الوزير نظام الملك عند وفاة الب أرسلان ودوره في الحكم خلال عصر ملكشاه وكذلك ما تضمنه من معلومات عن فرقة الاسماعيلية الضالة والخطط التي نفذتها هذه الفرقة للتخلص من نظام الملك ، الحق أن " عماد الدين الأصفهاني " ، مؤرخ ، عالم بالأدب ، من أكابر الكتاب ، ولد في أصبهان وقدم بغداد حديثا ، فتأدب وتفقه . وقد استقر به المقام في دمشق اذ لزم التدريس في مدرسته المعروفة بالعمادية حتى توفي بدمشق سنة ٥٩٧ هـ بعد أن خلف كتبا كثيرة ، منها " خريدة القصر " ، و " البرق الشامي " سبع مجلدات في أخبار صلاح الدين وفتوحه ، و " السيل على الذيل " ثلاث مجلدات ، في تاريخ بغداد ، و " نصرة الفترة وعصرة الفطرة " في أخبار الدولة السلجوقية ، اختصره الفتح بن علي البنداري في جزء سماه " زبدة

النصرة ونخبة العصرة " ، ويعرف بـ " تواريخ آل سلجقوق "[١] .

■ الراوندى :

أما الراوندى فهو نجم الدين أبو بكر محمد بن على بن سليمان بن محمد بن أحمد ابن الحسينى بن همه الراوندى وهو ينتسب الى أسرة من أهل العلم فى بلدة راوند من أعمال مدينة كاشان (ولد قبل سنة ٥٦٠ هـ وتوفى بعد سنة ٦٠٣ هـ) ، ويعتبر كتابه الموسوم " راحة الصدور وآية السرور " من أمهات المصادر التى انتفع البحث بما حوته من معلومات قيمة ، فالكتاب أساسا يشتمل على تاريخ السلاجقة العظام منذ وقت قيام دولتهم فى بداية القرن الخامس الهجرى الى وقت زوالها سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣م ، ومع أن الكاتب قد استعرض تاريخ السلاطين الاثنى عشر الأوائل من السلاجقة بشكل مقتضب فان للمعلومات التى قدمها أهمية خاصة ، حيث استفاد منها

---

(١) لمعلومات أوفى عن العماد : أنظر ابن خلكان ٢/٩٧ ، ابن الأثير : ١٢/٦٧ ، حسن المحاضرة ١/٢٧٠ ، مفتاح السعادة ١/٢١٤ ، الوافى بالوفيات ١/١٣٣ ، ابن الوردى ٢/١١٧ ، الروضتين ١/١٤٤ ، ٢/٢٤٤ ، النعيمى ١/٤٠٨ ، الأعلام ٧/٢٥٤ .

البحث وبخاصة تلك المتصلة بعلاقة نظام الملك بسلاطين السلاجقة ، وبالخليفة العباسى ، وكذلك حديثه عن الاهتمام الذى أولاه الوزير لتنظيم الاقطاع واصلاح الحالة الاقتصادية ، وأخيرا فقد استفاد البحث من المعلومات التى أوردها المؤلف ، والخاصة بالخلاف الحاصل بين السلطان ملكشاه ووزيره ، وعن دور زوجة السلطان المفضلة تركان خاتون .

ويعتبر كتاب " العراضة فى الحكاية السلجوقية " لابن النظام الحسينى من المصادر التى لها أهمية خاصة فى البحث ، لقرب عهده من الأحداث واعتماده على مصادر أساسية فى أخباره ومروياته ، ولعله يقارب من حيث الأهمية وطبيعة المعلومات التى وردت فى " راحة الصدور للراوندى " مما دفع البعض الى الشك فى انه تلخيص للمصدر المذكور ، ومع ذلك فالملاحظ عليه غلبة الصناعات اللفظية والبلاغية ، وهى سمة اتصف بها العصر الذى عاش فيه ابن النظام . ويبدو بوضوح أن الكتابات فى تلك الفترة كانت تتضمن الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية وكذلك الحكم والأمثال والأشعار العربية والفارسية ، مما يعكس صورة واضحة عن درجة ثقافة المؤرخ ومدى اجادته العربية ، ويلاحظ أن هذا الأسلوب قد يضفى رونقا وجمالا على الموضوع غير أنه يقطع تسلسل الأحداث ويربك القارىء الى حد بعيد .

■ ابن الأثـير :

أما بالنسبة لابن الأثير فهو عز الدين أبو الحسن على بن محمد بـــن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى (٥٥٠ ــ ٦٣٠ هـ) المؤرخ الامام من العلماء بالنسب والأدب . ولد ونشأ فى جزيرة ابن عمر شمال العـــراق وسكن الموصل . وتجول فى البلدان ، ثم عاد الى الموصل ، فكان منزلـــه مجمع الفضلاء والأدباء ، وقد توفى بها ، ومن تصانيفه " الكامل فى التاريـخ " اثنا عشر مجلدا ، و " أسد الغابة فى معرفة الصحابة " خمس مجلدات كبيرة (١) ، وقد استفاد البحث من المعلومات القيمة التى تضمنها كتاب الكامل فى التاريخ ، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم ادارية أم اجتماعية أم دينية . ومعلومـات ابن الأثير التى أوردها فى الكامل ، وان كانت غير معاصرة زمنيا الا أنها تعتمد على مراجع سابقة موثوق بها ، ومما يعزز أهميتها ثراؤها الواسع فهى غنيـــة بالتفصيلات الكثيرة ، بأسلوب واضح وعرض شائق للأحداث ودوافعهـــا ونتائجها .

---

(١) لمعلومات أوفى ، أنظر : ابن خلكان ــ وفيات الأعيان : ١/٤٣٨ ، أبوالفدا : التاريخ : ٣/١٥٤ ، السبكى ــ طبقات الشافعية : ٥/١٢٧ ، طاش كـــبرى زاده ــ مفتاح السعادة : ١/٢٠٦ ، الزركلى ــ الأعلام : ٥/١٥٣ .

وقد استفاد البحث من المعلومات التى وردت فى الكامل والمتعلقة بعلاقة السلطان ملكشاه بوزيره نظام الملك وكيف أن الصلة بينهما قد توثقت الى درجة فوض السلطان فيها لوزيره المسئولية الكاملة فى ادارة شئون الدولة. كما أن المعلومات الخاصة بتأسيس المدرسة النظامية والهدف من انشائها والعمل فيها قد استفادت كثيرا من هذا السفر الجليل.

■ القزوينى :

أما القزوينى زكريا بن محمد بن محمود ، من سلالة أنس بن مالك الأنصارى القزوينى فهو مؤرخ ، جغرافى ، ومن القضاة . ولقد بقزوين ورحل الى الشام والعراق . وقد ألف عدة كتب منها " آثار البلاد وأخبار العباد " فى مجلدين ، وقد استفاد منه البحث كثيرا وبخاصة من المعلومات التى أوردها بخصوص الادارة السلجوقية وكذلك ماله علاقة بالتنظيم العسكرى . واضافة الى ذلك فقد قدم هذا المؤرخ معلومات مهمة عن المدرسة النظامية ببغداد وانشائها وكذلك عن علاقة نظام الملك بالعلماء وحرصه على دعوتهم واكرامهم.

■ ابن خلدون :

أما أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨ هـ) فهو أشهر من أن يعرف ، عالم مؤرخ عربي مسلم يرجع أصله الى وائل من اليمن . ولد ونشأ وتعلم في تونس وتنقل في المغرب والأندلس ثم عاد الى تونس ثم الى مصر حيث تولى قضاء المالكية ثم حج البيت وعاد ليرافق الجيش المملوكي الذي تصدى لصد جيش المغول . ثم انقطع للعلم فكتب كتابه الشهير " العبر وديوان المبتدأ والخبر " الذي يحتل مكانا مرموقا بين مصادر التاريخ الاسلامي العام . وقد أفدت من هذا السفر الجليل الذي حفل بالمعلومات التي توفرت عن حياة الوزير نظام الملك منذ بداية صلته بالسلاطين السلاجقة ، وكذلك على ما فصل فيه من آثار تدخل النساء في السياسة وذلك أثناء الصراع الذي دار بين الوزير وبين تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه .

وبالاضافة الى ما ذكر من المصادر الأساسية فقد اعتمد البحث على معلومات أخرى كثيرة وفرتها مصادر أخرى مثل كتب التراجم ، وكذلك المصادر العامة المتأخرة ، ولعل أبرز هذه المصادر كتاب " وفيات الأعيان "

لابن خلكان ، و " طبقات الشافعية " للسبكى ، و " تاريخ الخلفـــاء " للسيوطى .

وبالاضافة الى المصادر العربية التى مر ذكرها فهناك عدد كبير آخـــر من المصادر الفارسية المترجمة يمكن أن نشير فى بدايتها الى التاريـــــخ البديع الذى ألفه أبو الفضل محمد بن حسين الكاتب المعروف بالبيهقى (١) ، والذى أرخ بشكل دقيق لفترة حكم السلطانين الب أرسلان وملكشـــــاه . والذى ترجم الى العربية (٢) .

وكذلك كتاب البندارى المشهور " مختصر تواريخ آل سلجوق " ثـــم الترجمة العربية لكتاب الراوندى " راحة الصدور وآية السرور " ، والـــذى سبق الحديث عنه ضمن الصفحات السابقة (٣) .

---

(١) طبع هذا الكتاب باسم آل سبكتكين ضمن :
Bibliotheca Indica Series (Culcutta 1862).
كما طبع فى ايران باسم تاريخ بيهقى سنة ١٣٢٤ هـ . وقد سبق ذلـــك طبع كتاب تاريخ مسعودى للبيهقى والذى نشره سعيد نفيسى سنة ١٣١٩هـ .

(٢) ترجمة الأستاذ يحيى الخاشب وصادق نشأت طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٢م .

(٣) ترجمة ابراهيم الشواربى وجماعته — القاهرة ١٩٦٠م .

وبجانب ذلك فقد ترجم الأستاذ الدكتور عبدالنعيم حسنين كتاب " المراضة فى الحكاية السلجوقية " لابن النظام الحسينى (١).

وبجانب ذلك فقد استفاد البحث من جهود من تقدم من الباحثين المعاصرين ومراجعهم مثل كتاب " دولة السلاجقة " للأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين الذى احتوى على دراسة شاملة لقيام دولة السلاجقة وسيطرتهم على ايران والعراق وتطور قوتهم وأخيرا تنازعهم وانقسامهم وانهيار دولتهم. فقد قدم هذا المرجع للبحث خدمة كبيرة خاصة حينما ناقش مسألة مصرع نظام الملك .

أما كتاب " الدعوة الاسماعيلية " للمستشرق البريطانى برنارد لويس فانه خدم البحث بقدر ما يتعلق الأمر بالحركة الاسماعيلية وتطورها وموقف نظام الملك منها .

---

(١) طبع جامعة بغداد سنة ١٩٧٩م.

ويقدم أحمد كما ل الدين حلمى فى كتابه " السلاجقة فى التاريـــــخ والحضارة " معلومات شائقة عن شغف سلاطين السلاجقة العظام بالعلـــم وتشجيعهم لنظام الملك عند تأسيسه لمدارسه المعروفه بالنظاميات ، اضافة الى تعرضه لموضوع الاقطاع الحربى فى عهد السلاجقة .

وفى كتاب تامارا تالبوت رايس " السلاجقة تاريخهم وحضارتهـــم " استعراض للمعلومات المتوفرة عن الادارة العسكرية التى قام بتنظيمها الوزير نظام الملك فخطط بذلك لمستقبل السلاجقة ورسم الخطوط الواضحـــة لسياستهم .

ان هذه مقدمة اشتملت على دراسة نقدية لأهم مصادر هذا البحـــث والرسالة تحتوى مقدمة ومدخلا ، وأربعة فصول ، وخاتمة . وقد تضمنـت المقدمة لمحة موجزة عن أهمية الموضوع وسبب اختياره وكذلك الصعوبـــات التى اعترضت طريقه . أما المدخل فقد خصص للحديث عن أصـــل السلاجقة وقيام دولتهم والعوامل التى ساعدتهم على تحقيق ذلك ، وكذلك علاقتهم بالدول المجاورة وكيف تم لهم التغلب عليها مما مهد لظهورهم كقـوة أساسية فى المشرق الاسلامى .

وقد تضمن الفصل الأول التعريف بنظام الملك : أصله ومولده ونشأته كما عنى بالحديث عن تعلمه اللغة العربية وتركيزه على دراسة العلوم الدينية تلك العلوم التى كان لها أثر عميق فى تكوين شخصيته وآرائه .

وقد خصص الفصل الثانى للحديث عن " وزارته لألب أرسلان وملكشاه " اذ ناقش هذا الفصل مسألة اشتغاله بالوزارة ، ودوره فى تصريف أمور الدولة السلجوقية ، كما تضمن الفصل الحديث عن اشتراكه فى الحروب التى حدثت فى عهد ألب أرسلان واسهامه فى القضاء على كثير من حركات التمرد والعصيان ، وقتال أعداء الاسلام وفتح الكثير من مدنهم وضمها بعد ذلك الى دولة السلاجقة . ويتعرض الفصل الثانى الى وزارة نظام الملك للسلطان ملكشاه ، ودوره خلال عهده ومقارنة بين قوته فى المرحلتين .

وقد ناقشت فى الفصل الثالث سياسة الوزير ازاء الخلافة العباسية وجهوده الكبيرة فى سبيل احلال الانسجام والتنسيق والتعاون بين السلطان السلجوقى وبين الخليفة ببغداد . كما تعرضت فيه الى تنظيماته

السياسية والادارية والتى تمثلت فى تقسيمه السلطنة الى مقاطعات واختيار الرجال الأكفاء ووضع الشخص المناسب فى المكان المناسب ، بالاضافة الى سياسته العسكرية .

وأخيرا فقد تعرضت للحديث عن سياسته الاقتصادية وعمله على تقليل النفقات وتعديله لنظام الجباية عن طريق التعديلات الجديدة التى طرأت على التقويم السنوى فى عهد السلطان ملكشاه ، ثم دراسة سياسته فى الاقطاع الحربى وأثرها فى استحداث منصب " الأتابك " وما ترتب على ذلك من قيام ما يسمى " الأتابكيات " .

وقد عالج الفصل الرابع " دوره فى الحياة الثقافية " وعلاقته الوثيقة بالعلماء والفقهاء والأدباء وتشجيعهم ورعايتهم ، وكذلك ما عرف من اهتمامه بدراسة اللغة العربية ، والحديث النبوى الشريف ، ودوافع ذلك العمل الذى يعتبر من الانجازات المشرفة التى تمت على يده ومما يتصل بهذا الدور أيضا ما جرى فى عهده من تعديل للتقويم السنوى بما يتناسب ومصالح أبناء الأمة وآثار ذلك فى حياة المجتمع .

وفى نهاية الفصل أجريت دراسة شاملة لكتاب الوزير الكبير والموسوم بكتاب " سياسة نامة " أشرت فيها الى أهميته ، وحاولت التعرف على الهدف من تأليفه . كما استعرضت محتوياته ، ثم انتقلت الى اغتياله وحاولت الاجابة على كثير من التساؤلات التى يمكن أن تثار حول هذه النهاية المؤلمة لحياة هذا الوزير العظيم وناقشت الدوافع والأسباب على ضوء الحقائق المستقرة التى تقدمها المصادر المعتمدة. وأخيرا أنهيت الموضوع بخاتمة ضمنتها أهم نتائج البحث .

ولابد لى بهذه المناسبة أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى وعظيم امتنانى للأستاذ المشرف ، **الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى** على ما بذله من جهد كبير فى توجيهى ومتابعتى وتزويدى بالمصادر والمراجع ، ولم يبخل على بالكثير من وقته وجهده ، فله منى أجزل الشكر ، ومن الله أعظم الأجر ، فقد حرص على تذليل كل الصعوبات والعقبات التى اعترضت طريقى وكان لتوجيهاته أثرها الكبير فى اخراج هذا البحث بهذا الشكل ، جزاه الله عنى وعن جميع طلابه

وطالباته خير الجزاء ، كما أشكر كل من أعاننى بجهد أو وقت . والله أسأل أن يوفقنا جميعا ويسدد خطانا لما فيه خير الإسلام والمسلمين ، والله من وراء القصد فهو الموفق والهادى الى سواء السبيل ، والحمدلله رب العالمين .

هيفاء عبد الله البسام

السلاجقة

نشأتهم ودولتهم

السلاجقة .. ظهورهم ودولتهم

السلاجقة فرع من قبائل الغز ، انسابوا سنة ٤٤٥ هـ / ٩٥٦ م من سهول تركستان ، وسكنوا أول أمرهم فى بلاد ما وراء النهر ، وعندما اعتنقوا العقيدة الاسلامية فانهم التزموا بالمذهب الحنفى الذى كان آنذاك سائدا فى المشرق الاسلامى وبشكل خاص فى العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر (١) . ويبدو أن تسميتهم كانت وثيقة الصلة بجدهم الأعلى سلجوق بن دقماق (٢) .

وقد قدم السلاجقة مساعدات عسكرية فعالة للسامانيين ووقفوا الى جانبهم عندما أغار عليهم هرون ابن ايلك خان بقواته العظيمة ، وكان لهذا الموقف أثره الكبير فى صد الهجوم ، كما خلف أثرا طيبا فى قلوب

---

(١) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٧ (ط ليدن) ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٨/ ٢٢٠ ، الوزير ابن النظام الحسينى : المعراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص ٢٠ ــ ٢٢ (ط . جامعة بغداد ١٩٧٩ م)

(٢) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ٢ ، الراوندى : راحة الصدور ص ١٤٧ .

السامانيين مما أتاح للسلاجقة فرصة عبور أراضى السامانيين والاستقرار على شواطئ نهر سيحون فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (١).

ولقد كان لانهيار الدولة السامانية سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م (٢) أثرا كبيرا فى تخلص السلاجقة من ارتباطاتهم السابقة من جهة وفى احساسهم بقدرتهم على المناورة والحركة الحرة من جهة أخرى ، كما أتاح ذلك لهم فرصة طيبة للتأثير المباشر فى سير الأحداث فاستغلوا الظرف من أجل التوسع فى مقر سكناهم والمناطق التى تحيط بهم ، ولعل ذلك كان السبب المباشر فى تأزم علاقتهم بالغزنويين . اذ اصطدمت رغبتهم التوسعية بمطامع الغزنويين فى السيطرة والتحكم وحاول السلطان محمود الغزنوى القضاء على أفكارهم الخطرة فى التوسع وكبح جماحهم عن طريق التمايل والخديعة بعد أن خشى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٨ / ٢٢ (ط. الاستقامة) ، وأنظر : السمرقندى ، أحمد بن عمر بن على نظامى عروضى سمرقندى : جهار مقاله ص ٢٣ (ط. ليدن ١٣٢٧ ترجمة يحيى الخشاب) .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ص١٤٥ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٥٤ ، وأنظر: البحث الممتع الذى كتبه الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى عن السامانيين فى كتابه " دراسات فى العصور العباسية المتأخرة " .

من الاصطدام المباشر بهم (١).

لقد نجح السلطان محمود الغزنوى من خديعة زعماء السلاجقة وأسر مقدمهم اسرائيل ابن سلجوق (٢).

وقد ذكر الراوندى بأن السلطان محمود قد : " تدبر هذا الحديث وشغل باله فاحتجز اسرائيل عنده " (٣).

وهكذا فقد تأزمت العلاقات كثيرا بين الطرفين فقد تزعم السلاجقة قائدهم ميكائيل ابن اسرائيل الذى يظهر مدى حنكته ودهائه فى تظاهره

---

(١) عن أسباب تأزم العلاقات السلجوقية الغزنوية ، أنظر الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ص ص ١٤٧ — ١٥٠ ، الوزير ابن النظام الحسينى : العراضه فى الحكاية السلجوقية ص ص ٢٢ — ٢٣ ، والسمرقندى العروضى : جهار مقاله ص ص ٢٣ — ٢٤ .

(٢) اختلفت المصادر فى تحديد تاريخ هذه الحادثة ففى حين يذكر الراوندى أن ذلك قد تم سنة ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م أورد صاحب كتاب زين الأخبار بأن ذلك قد تم فى سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م .
ونفس التاريخ يعتمده حمد الله مستوفى فى تاريخ كزيده ص ٤٣٥ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ص ١٤٩ .

بمحاولة تحسين العلاقات مع الغزنويين فقد أرسل الى السلطان محمـــود الغزنوى ملتمسا منه السماح لقبائل السلاجقة بالعبور الى اقليم خراسان (١).

وقد ذكر ابن النظام الحسينى المتوفى سنة ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م ما نصه " فسمح لهم السلطان بالعبور والاقامة هناك وتصادف فى ذلك الوقـــت أن وصل أرسلان جاذب حاكم طوس وما حولها الى حضرة السلطان محمـــود ليقدم فروض الطاعة والولاء فى أدب وخضوع فقال للسلطان : اذا كان كـــرم السلطان وشهامته ورعايته لعبيده ومكرمته قد اقتضت جميعها بذل هـــذه المكرمة فانه ليس من مصلحة الملك وأسس حفظ الدولة أن يسمح لهم بمثـل هذه الكثرة فى عددهم وعدتهم وسابقة مخالفتهم وعداوتهم بالعبور الـــى ولايته وتصريفهم بها وهم غرباء عنها فلم يلتفت السلطان الى هذه النصيحة" (٢).

---

(١) البندارى : آل سلجوق ص ٥ ــ ٦ ، الراوندى : راحة الصـــدور ص ١٥٣ ، الكرديزى : زين الأخبار ص ٦٧ ، ابن النظام : العراضة فى الحكاية السلجوقية ص ص ٣٠ ــ ٣٣ .

(٢) ابن النظام : العراضة فى الحكاية السلجوقية ص ٣١ .

وقد تم عبورهم على ما يبدو فى حدود سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م (١) .

ويبدو أن أهالى المدن الخراسانيه قد تضايقوا من وجود السلاجقة وقد تضرر بعضهم من تكرر اعتداءات السلاجقة عليهم وايذائهم لهم فاشتكوا الى السلطان محمود الغزنوى وطلبوا ابعادهم من جوارهم فأمر السلطان والى طوس بمهاجمتهم (٢) . ويذكر الكرديزى فى كتابه زين الأخبار بأن السلاجقة قد دافعوا عن أنفسهم دفاعا مجيدا وأن نتيجة تلك المعارك كانت الانتصار على والى طوس وهنا أسرع السلطان محمود فى سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م مع قواته للوقوف بوجه السلاجقة وتمكن من صدهم وكبح جماحهم وواصل الحرب معهم الى أن تمكن من تشتيت جموعهم (٣) . وفى سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م .. تجمعت قوات السلاجقة مرة ثانية واصطدمت بوالى نيسابور وتمكنت من الانتصار عليه بالرغم من مساعدة السلطان مسعود ابن محمود الغزنوى حيث

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٢٢ ، الراوندى : راحة الصدور ص ١٥٣
ابن النظام : المراضة فى الحكاية السلجوقية ص ٢٩ الى ص ٣٣ .

(٢) عبد الله مستوفى : تاريخ كزيده ص ٤٣٤ .

(٣) الكرديزى : زين الأخبار ص ٧٠ — ٧١ . وأنظر أيضا : حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ص ٤٩ .

أوقعوا بجيش السلطان خسائر فادحة مما اضطره الى أن يتوقف عن حربهم ويتوجه الى الهند .

وقد بادر السلاجقة بعد ذلك الى عقد مفاوضات بعد أن أرسلوا رسالة الى السلطان عرضوا عليه اعادة تنظيم علاقاتهم بالدولة الغزنوية على أسس سليمة ، وهكذا حقق السلاجقة اعترافا بوجودهم ، وكان ذلك فى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م .(١)

ويبدو أن السلطان مسعود الغزنوى لم يقتنع بنتيجة علاقته بالسلاجقة اذ تشير المصادر الى أنه أرسل رسولا الى أمير خراسان " برسالة يأمره فيها بوجوب محاربة السلاجقة وابعادهم عن خراسان " ، وبعد أن يشير مؤلف راحة الصدور الى تردد أمير خراسان واشفاقه من قوة السلاجقة وعلو أمرهم والى تشديد السلطان عليه فى الأمر بأن يقوم بهذه المهمة يقول " فلم يكن

---

(١) البيهقى : تاريخ بيهق ص ٥٢٨ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٧ ، ابن النظام : المراضة فى الحكاية السلجوقية ص ٣٢ — ٣٣ .

لأمير خراسان بد من الطاعة والامتثال"[1].

وقد تحدثت المصادر عن استعدادات أمير خراسان وتجهيزه للجيوش كما تتحدث عن هزيمته فى بداية المعركة التى وقعت فى آخر شعبان سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م على باب مدينة سرخس التى كان قد اتخذها قاعدة له ، حيث جرح فيها أمير خراسان[2].

وقد كانت هذه الموقعة ذات أثر كبير فى تاريخ السلاجقة كما يذكر ابن الأثير ، فقد استطاع السلاجقة بعدها من احتلال خراسان اذ دخلوا مدنها واستقروا فيها[3].

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ص ١٥٧ — ١٥٨ ، ويستشهد الراوندى هنا ببيت من الشعر الفارسى ترجمته " انك اذا أردت أن ترضى السلطان فان عليك طاعته فى كل الأحوال ".

(٢) الراوندى : راحة الصدور ص ١٥٨ ، ولزيادة المعلومات أنظر : البيهقى : تاريخ بيهق ص ٦٧٥ الى ٦٧٨ ، ابن الأثير : الكامل ٩/ ٣٢٧ — ٣٢٩ ، ابن النظام : العراضه ص ٣٤ ، الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ٩ ، البندارى : تاريخ آل سلجوق ص ٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٩/ ٣٢٩ ، البيهقى : تاريخ بيهق . ص ٦٩٠ — ٧١٣ .

وقد استولى طغرلبك بعد هذه الموقعة على نيسابور فجلس على عرش السلطان مسعود ابن محمود الغزنوى وأعلن قيام دولة السلاجقة وقد قدم البيهقى فى تاريخ بيهق معلومات مفصلة عن وصول طغرلبك الى نيسابور ومراسيم تتويجه على العرش فى حديقة الشاديا خ والخطبه له فى المسجد الجامع (١) .

وحين علم السلطان مسعود بخبر هزيمة قواته وباعتلاء طغرلبك على عرشه عزم على القيام بحملة لتأديب السلاجقة فتوجه الى خراسان على رأس جيشه غير أن السلاجقة كانوا قد استعدوا وحددوا موضع المعركة التى وقعت فى دندانقان (٢) .

وهى من المعارك الفاصلة فى تاريخ السلاجقة والغزنويين ، وقد وقعت فى الثامن من شهر رمضان سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م .

حيث جرى وصف المعركة بشكل دقيق من قبل المؤرخ البيهقى الذى كان شاهد عيان على ما حصل فى المعركة . وقد قيم البيهقى هذه المعركة

---

(١) البيهقى : تاريخ بيهق ص ٦٩٣ .

(٢) هى الصحراء الواقعة بين سرخس ومرو .

بقوله : " وثبت أن موقعة دندانقان قد انتهت بهزيمة حاسمة وأن السلاجقة قد غنموا مالا حصر له من الذهب والفضة والملابس والدواب "(١).

كما تحدث الوزير العالم محمد ابن محمد ابن عبد الله الحسيني المعروف بابن النظام في كتابه العراضه عن هذه المعركة فأعطى تفصيلات عن تحركات الغزنويين وعن استعدادات السلاجقة وخططهم ، ويصف كيف " تمرغ جيش مسعود في تراب المذلة ، وكيف انفرط عقد الجيش وانهزم "(٢).

وهكذا استقرت أركان دولة السلاجقة فبدأت مرحلة جديدة من مراحل تاريخهم وقد كان لهذه المعركة أثرا حاسما في اضعاف خصومهم مما أتاح لهم فرصة التوجه للتنظيم السياسي والعمراني والتطلع لتنظيم علاقات وثيقة بالخلافة الاسلامية من جهة ولتحمل مسئولياتهم ازاء الأخطار التي تحيط

---

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ص ٦٩٥ .

(٢) ابن النظام : العراضه في الحكاية السلجوقية ص ٣٥ ـ ٣٦ ، ابن الأثير : الكامل ٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ . الراوندي : راحة الصدور ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

بهم وبها من جهة أخرى فقد كتب زعماء السلاجقة كتاب اعلانهم للطاعة وأرسلوه على يد معتمدهم أبي اسحاق الفقاعي في سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م الى أمير المؤمنين القائم بأمر الله (١).

فلما وصلت رسالة السلاجقة الى دار الخلافة أرسل أمير المؤمنين القائم بأمر الله رسولا الى طغرلبك في مدينة الري " زوده بالرسائل الطيبة وأمره أن يتقرب من طغرلبك حتى يحضره الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره فان فرصة الوصال سريعة العبور كومضة الخيال (٢)".

... ...

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ص ١٦٦ ، زبدة النصرة ونخبة العصرة ص ٧ — ٨ ، ترجمة طبقات ناصري ص ١٣٢ .

(٢) الراوندي : راحة الصدور ص ١٦٨ — ١٦٩ ، وقد أوردت المصادر عند اشارتها الى رسول الخليفة هذا بأن اسمه هو هبة الله ابن محمد المأمون كما ذكر الراوندي ، أما صاحب زبدة النصرة فانه يعرفه بهبة الله ويقدم عنه معلومات مفصلة ، ويذكر عبد الله مستوفي في تاريخ كزيده فيسمي هبة الله هذا بالقاضي عبد الله الهاشمي .

أنظر : تاريخ كزيده ص ٣٥٤ .

الفصل الأول

تعريف بنظام الملك

١ ـ أصله ونشأته :

نظام الملك الوزير هو أبو على الحسن بن على بن اسحق قوام الدين الطوسى (١) ، والراجح أنه فارسى الأصل ، وتشير المصادر الى أن والده كان دهقانا (٢) ، ولعله كان يعمل قبل ذلك جنديا لدى محمود بن سبكتكين (٣) .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/١٢٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/ ٣٧٣ .

(٢) ذكر ابن خلدون أنه من " أبناء الدهاقين " ـ كتاب العبر ـ القسم الأول ـ المجلد الخامس ص ٢٤ ـ ٢٥ .

والدهقان اسم يطلق على أحد وجهاء القرية وكان هذا المنصب فى العصر الساسانى يحتل مكانة مهمة فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، حيث كان واسطة الاتصال بين الادارة الساسانية من جهة وأهل القرى من جهة أخرى ، وبعد الفتح الاسلامى يبدو أن الدهقان قد فقد أهميته السياسية وتأثرت الى حد كبير مكانته الاجتماعيةوالاقتصادية غير أن الادارة الاسلامية استبقته حيث أنه كان أكثر الناس خبرة بالضريبة وحدود الأرض وملكيتها ومشاكل الزراعة . ولزيادة الاطلاع على معنى الدهقان وأهميته ، أنظر : دائرة المعارف الاسلامية مادة : Dihgan وكذلك البحث الممتع الذى كتبته الأستاذة LAMBTON, A. KOS. بعنوان :

Londlords and peasants in persia. London - 1953.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٤٠ ـ ١٤١ .

ولد نظام الملك بالقرب من مدينة طوس من اقليم خراسان سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٩ م.(١) وقد توفيت والدته خلال فترة طفولته المبكرة ، ولذلك فقد نشأ تحت رعاية والده الذى استعان بالمرضعات لارضاعه ، ويبدو أن والده قد واجه أزمات مالية حادة اضطرته الى أن يخسر الكثير من أمواله بل انه اضطر الى بيع أغلب ما يملكه من عقارات.(٢)

وتجمع المصادر على أنه تعلم اللغة العربية فى فترة مبكرة من حياته وليس هذا بغريب فقد كانت العربية لغة العقيدة والعلم والأدب فى عصره ثم تفرغ لدراسة علم الحديث بعد قراءته للقرآن الكريم ، ولعل تعلمه للعربية يعزز حقيقة ما ذكرته المصادر عن أصله الفارسى. على أن اتقانه اللغة العربية وقراءته القرآن وتفرغه لدراسة الحديث فى وقت مبكر يعكس دون ريب نبوغه وقدراته الشخصية على الاستيعاب وطموحه فى التقدم ، بالاضافة الى وجهته العقائدية والفكرية.(٣)

---

(١) ن. م. س ، وأنظر : Encyclop œdia Britannica art " Nizam al - Mulk".

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٨/ ١٦٢.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق.

ولعل المعاناة التى عاشها منذ نعومة أظفاره كفقده لأمه وتنقله بين الموضعات ، ثم تدهور حالة أبيه المالية ، قد أسهمت فى المساعدة على صقل مواهبه وأعانته على الوقوف أمام التحديات .

ويبدو أنه قطع شوطا كبيرا فى التخصص فى علم الحديث حتى أن المصادر تحدثت عن مجلس خاص به يجتمع عليه فيه المتعلمون يأخذون عنه ويسمعون سماعاته (١) .

ومن الواضح أن تلك المجالس قد عملت عملها فى نفسه وأسهمت كثيرا فى صقل مواهبه وعلو همته فقد واصل الجلوس مع العلماء والفقهاء وأكثر من ذلك حتى بعد تسلمه لمنصب الوزير (٢) .

وحين أشار عليه البعض بضرورة عدم الانشغال بمجالس العلماء والفقهاء التى صرفته عن النظر فى المصالح كان جوابه " هؤلاء جمال الدنيا والآخرة ،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٤٠ ، ولزيادة المعلومات فى هذه المسألة ، أنظر : تامادا تالبوت دايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ص ١٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٤٠ — ١٤١ .

ولو أجلستهم على رأسى لما استكثرت ذلك"[1].

وبالاضافة الى ذلك فقد أثرت المصادر من الاشارة الى ورعه وتقـــواه فكان اذا غفل المؤذن أمره بالآذان ، واذا سمع الآذان أمسك عن جميـــع ما هو فيه"[2]. كما كان كثير التأمل ، طويل الصمت ، متواضعا لا يأنف عـن مجالسة الفقراء"[3].

كذلك كان متمسكا بعقيدته حريصا على أداء شعائر الدين الحنيـــف والالتزام بها[4]. وهكذا فقد بلغ احترام نظام الملك للعلم والعلماء مبلغـــا عظيما ، ويبدو أن ذلك قد أكسبه سمعة طيبة وأن الناس قد نظروا اليـــه باعتباره ممن اختصهم الله بالنصر والتوفيق ، ولعل هذا ما عناه العماد فى قوله عنه بأنه كان "مخصوصا من الله بالنصر والفتح والظفر ، الدهماء ساكنـــة فى أيامه ، وأهل الدين والعلم والفضائل راتعون فى انعامه"[5].

---

(١) ن . م . س ١١/ ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٢) المقدسى : الروضتين ١ / ٢٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٨/ ١٦٣ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ٩/ ٦٥ ـ ٦٦ .

(٥) العماد الأصفهانى : دولة آل سلجوق ص ٥٣ ـ ٥٤ .

ولعل نظام الملك قد تجاوز كثيرا طموحاته الأولى التى لم تكن تتجاوز ضمان معيشته مع موضع فى مسجد يعبد الله فيه (١) .

. . .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٨ / ١٦٣ .

٢ ـ ثقافته ومذهبه :

لابد من الحديث أولا عن ثقافة عصره كأساس لفهم ثقافته ، حيث أن ثقافته هى امتزاج حى لثقافة عصره بالدراسات الشرعية ، وبتقاليد السلاجقة الموروثة والتطور الحاصل بعد اعتناقهم للاسلام ، فقد قرأ القرآن واهتم بدراسة اللغة وعلم الحديث منذ الصغر ، كما تفقه على مذهب الشافعى حيث كان والده وأسرته من أتباع هذا المذهب ، يضاف الى هذا أن والده قد وجهه لكى يتفقه على شيوخ الشافعية (١) .

ولعلم أتم دراسته تلك كما خطط له والده . كما حصل على حظ وافر من شيوخ المدرسة الحنفية اذ أن هناك بعض المصادر تشير الى ذلك والى تأثره بشيوخه ، بل ان البعض يشير الى أنه كان حنفى المذهب . وليس من الممكن الجزم بخصوص وجهته المذهبية خصوصا بعد مرحلة نضجه واعتياده على مجالسة العلماء والزهاد وأئمة الفكر الذين أخذوا يتسابقون للاتصال به ، يثنون على عدله واهتمامه باحياء السنة المطهرة وما كان

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ٣/١٣٦ .

مهملا فى أيام من سبقه وهو من جانبه كان يحترمهم ويكرمهم ، يغدق عليهم العطايا والهبات بل انه كثيرا ما كان يشترك مع العلماء فى المناظره والبحث عما غمض من المسائل ولا غرابة فى هذا فقد اشتغل بالفقه منذ حداثة سنه (١) .

وفى عصره نشأت طبقة الكتاب الجياد ، وفرعوا المناصب ، وولوا المراتب ، ولم يزل بابه مجمع الفضلاء وملجأ العلماء (٢) .

وقد فصلت المصادر فى أخلاق الوزير نظام الملك ومسلكه وخصصت له كثيرا من المكرمات فكان كلما سمع الآذان أمسك عما هو فيه وكان يراعى أوقات الصلوات ويصوم الاثنين والخميس ويكثر الصدقة وكان له الحلم والوقار وحسن معاشرة العلماء واعطائهم من الأهمية ما يتناسب وعلمهم (٣) . " ولم يزل السعد يخدمه والأمور تجرى وفق مراده واتفق فى أيامه من محاسن الأفعال ونشر العدل وضبط الأحوال ما سارت به الركبان وتناقلته الألسنة

---

(١) المقدسى : الروضتين ١/ ٢٥ .

(٢) عماد الدين الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٥٣ — ٥٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٩/ ٦٥ — ١٠٦٦

وصار بابه محط الرحال ومنتهى الآمال (١) .

وقد قام نظام الملك بدور كبير فى نشر الثقافة والمعرفة أكبر مثال على هذا انشاءه المدارس التى نسبت اليه فسميت النظامية " وقد كانت مدارس السنه تفوق مدارس الشيعة بمراحل ، وكانت كل مجموعة منها وقفا على فرقة خاصة كالشافعية أو الحنفية وأمثالهما . وتعد المدارس النظامية من أهم مدارس أهل السنة فى عهد السلاجقة . وقد أنشئت بناء على أمر نظام الملك وزير الب أرسلان وملكشاه . وقد اشترط نظام الملك أن تكون تلك المدارس خاصة بالشافعية تعصبا منه لهذا المذهب . وكانت هذه المدارس على درجة كبيرة من الأهمية بحيث أخطأ بعض المؤلفين القدامى واعتقدوا أن نظام الملك هو أول من بنى المدارس فى الاسلام . بينما الواقع أنه فقط أول من عين راتبا ثابتا للطلاب ، وأوقف الأموال الكثيرة لتغطية رواتبهم ورواتب الفقهاء ، وانفق بسخاء على المبانى .

وعلى أية حال فان تأسيس المدارس النظامية كان دافعا لايجاد غيرها

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ٣/١٣٦ .

من المدارس فى البلاد الاسلامية • وكان المؤسسون يبغون الثواب أو خدمة مذهبهم أو منافسة معارضهم •

وقد عمت المدارس النظامية بغداد ونيسابور والبصره وأصفهان وهرات ويزد والموصل ، ووجدت الى جانبها عشرات المدارس التى يؤمها أفضل العلماء ". (١)

وهكذا نجد أن المدارس قد انتشرت فى مناطق كثيرة ، وكانت كل مجموعة منها تؤيد مذهب معين مثلا الشافعى أو الحنفى ، هذان المذهبان اللذان كان نظام الملك لم يستقر على أحدهما ، كان يميل الى الشافعية لانه المذهب الذى اعتنقه والده وباقى أفراد أسرته ولهذا أكدت كثير من المصادر أنه جعل المدارس خاصة بهذا المذهب ، ثم استعان بعدد من شيوخ الحنفية للتدريس فى مدارسه النظامية لأن المذهب السائد فى الدولة الاسلامية هو المذهب الحنفى •

---

(١) د• أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص ٣٧٤ — ٣٧٥ •

ولم يكتف نظام الملك بانشاء المدارس وانما خصص رواتب معينة للطلاب والفقهاء الذين يقومون بنشر العلم فى هذه المدارس .

ويبدو أن الهدف من تأسيس المدارس هو خدمة مذهب معين وتأييده كما حدث فى المدارس النظامية .

وذكرت د . سعاد ماهر فى مقالها الذى نشرته بمجلة المؤرخ العربى أن " نظام الملك استطاع بثاقب فكره وبعد نظره أن يستفيد من هذه المنشآت الثقافية والدينية فى نشر المذهب السنى ومناهضة المذهب الشيعى "(١)

اذن فهدف نظام الملك من انشاء المدارس تأييد المذهب السنى الذى كان يمثله الخلفاء العباسيين فى بغداد وبالتالى محاربة الشيعة ودعاياتهم الباطلة التى كانت على حساب أهل السنة والجماعة .

وتستطرد د . سعاد — ان نظام الملك لم يكن يميل الى اثارة الفتن المذهبية ولا الى النزاع بين الطوائف المختلفة بل انه كان يسعى الى جمع

---

(١) د . سعاد ماهر : مجلة المؤرخ العربى — ص ٥٠ .

كلمة المسلمين ، يدل على ذلك الخطاب الذى وجهه الى مدرس نظاميته ببغداد ، اسحق الشيرازى جوابا على كتاب منه اليه فى معنى الحنابلة الذين كانوا الغالبين على بغداد يومئذ " وليس توجب سياسة السلطان وقضية العدل الى أن يميل فى المذهب الى جهة دون جهة ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن ، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة الا لصيانة أهل العلم والمصلحة لا للاختلاف وتفريق الكلمة "(١).

وتجمع كثير من المصادر على أن نظام الملك " شيد المدارس ، وأجرى فيها الجرايات الكثيرة "(٢).

أقام المدارس فى عدد كبير من المدن كما سبق وذكرنا وأصبحت تتمتع بشهرة كبيرة لكثرة من كان يؤمها من العلماء والفقهاء وطلاب العلم .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم — ٨/٣١٢ .

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر — القسم الأول — المجلد الخامس ص ٢٥ — ٢٦ ، وأنظر د . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام — ٤ / ٣١ .

ومدارسه فى العالم مشهوره لم تخل بلد منها حتى جزيرة ابن عمر (١) التى هى فى زاوية من الأرض لا يؤتى لها بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة وهى التى تعرف الآن بمدرسة رضى الدين " . (٢)

وبعد أن تم بناء المدرسة النظامية " وتقرر التدريس بها للشيخ أبى اسحق الشيرازى (٣) . فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظروا مجيئه تأخر فطلب فلم يوجد وكان سبب تأخره أنه لقيه صبى فقال له كيف تدرس فى مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار ويأس الناس من حضوره أشار الشيخ أبو منصور ابن يوسف بأبى نصر ابن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لايجوز أن ينفصل هذا الجمع الا عن مدرس ولم يبق

---

(١) جزيرة ابن عمر : مدينة صغيرة على غربى دجله (المسالك والممالك ، الاصطخرى المعروف بالكرخى ص ٥٣ .

(٢) المقدسى : الروضتين — ١/ ٢٥ .

(٣) الشيخ أبو اسحق ابراهيم بن على بن يوسف الشيرازى ، الفيروزابادى ، الملقب جمال الدين ، سكن بغداد ، وتفقه على جماعة من الأعيان . وصحب القاضى أبا الطيب الطبرى كثيرا ، وانتفع به وناب عنه فى مجلسه ، ورتبه معيدا فى حلقته ، وصار امام وقته ببغداد . (وسمع الحديث من أبى بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمى البرقانى الحافظ) وصنف التصانيف المباركة المفيدة ، منها : " المهذب فى المذهب " ، و " التنبيه " فى الفقه ، و " التبصره " ، و " المعونه " و " التلخيص " ، فى الجدل ، وغيرذلك ، وانتفع به خلق كثير
(وفيات الأعيان : ابن خلكان — ص ٢٩) .

ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس أبو نصر للدرس وظهر الشيخ أبواسحق بعد ذلك ، ولما بلغ نظام الملك الخبر أقام القيامه على العميد أبى سعد ولم يزل يرفق بالشيخ أبى اسحق حتى درس بالمدرسة وكانت مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما . (١)

وهكذا نجد أن نظام الملك اختار الشيخ أبو اسحق للتدريس بمدرسته لانهما وقفا على مذهب الامام الشافعى ، ولأن أبو اسحق من أشهر شيوخ الشافعية ، لكن فى البداية رفض الشيخ التدريس بها ، ثم نجح نظام الملك فى اقناعه فعاد للتدريس فى المدرسة النظامية واستمر بها الى أن توفى .

ومن أشهر من قام بالتدريس فى النظاميه الامام أبو حامد الغزالى (٢) الذى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٨/ ١٠٥ — ١٠٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب — ٣ / ٣٠٧ .

(٢) الامام الغزالى : هو حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى الملقب حجة الاسلام زين الدين الطوسى الفقيه الشافعى انفرد بزعامة الشافعية فى آخر عصره فلم يكن فى عصره من يدانيه فى رتبته .
اشتغل بالعلم فى أول أمره بطوس على أحمد الراذكانى ثم قدم نيسابور واختلف الى دروس العلامة امام الحرمين أبى المعالى الجوينى (=)

قدم فى سنة أربع وثمانين وأربع مائة للتدريس فى النظامية وكان للعلم بحرا زاخرا وبدرا زاهرا (١) .

(=) وجد فى الاشتغال حتى تخرج فى مدة قريبة وصار من الأعيان المشار اليهم فى زمن أستاذه وصنف فى ذلك الوقت وكان أستاذه يتبجح به ولم يزل ملازما له الى أن توفى . فخرج الغزالى من نيسابور الى العسكر ولقى الوزير نظام الملك فأكرمه وأحسن مثواه وبالغ فى الاقبال عليه . وكان يستدعى له الوزير جماعة من العلماء فتجرى بينهم المناظرات وكان يظهر عليهم فاشتهر شهرة عظيمة وسار ذكره فى الأرض ففوض اليه الوزير التدريس بالمدرسة النظامية المشهورة ببغداد فباشر القاء الدروس بها وذلك سنة (٤٨٤هـ) واستمر فيها الى سنة (٤٨٨ هـ) ثم انقطع عن التدريس الى الزهد والعبادة .

وقد صنف الكتب المفيدة الممتعة فى عدة فنون منها كتاب الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة فى الفقه ، ومنها احياء علوم الدين وهو أحسن ما ألف فى الاسلام أصولا وفروعا ، وله تهافت الفلاسفة فى الفلسفة ، ومحك النظر فى المنطق ، وله كتب كثيرة غير هذه وكلها بالغ الغاية القصوى فى الافادة .

(دائرة معارف القرن العشرين — المجلد السابع — ص ٦٥ — ٦٦ ، ولزيادة المعلومات أنظر الأعلام — الزركلى — ٢٤٧/٧) .

---

(١) ن . م . ص : ص ٢٠٤ .

وأيضا ممن شارك فى التدريس بالنظامية القاضى أبو محمد ، عبدالوهاب (الشيرازى) ، وتقرر أن يدرس هذا يوما والطبرى يوما ليزيد العلم بتحريرهما فيضا . (١)

اذن فان الهدف من التدريس فى النظامية هو مساندة أهل السنة والجماعة فى الصراع الذى كان يدور بينهم وبين الشيعة ، السنة يمثلها الخلفاء العباسيون فى بغداد ، والشيعة يناصرهم خلفاء الدولة الفاطمية فى مصر ، والمعروف أن السلاجقة كانوا سنيين متعصبين وأيضا نظام الملك اهتم بهذا الأمر وجعل المدارس فى البداية خاصة بالشافعية لأن هذا المذهب هو الذى اعتنقه والده وباقى أفراد أسرته ، لكن بما أن الدولة العباسية كانت تعتنق المذهب الحنفى فان كثير من المصادر أشارت الى أنه تحول الى الحنفية مذهب الدولة الرسمى .

لكن الحقيقة أنه من الصعب الحكم على حقيقة مذهب نظام الملك والذى يزيد الأمر تعقيدا انه تعامل مع عدد كبير من العلماء المسلمين من مختلف

---

(١) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ـ ص ٢٠٤ .

مذاهب أهل السنة والجماعة ، اضافة الى ما سبق وذكرنا أن وجهة الخلافة العباسية السنية كانت حنفية وأن نظام الملك بصفة خاصة والسلاجقة بوجه عام كانوا متعصبين للمذهب السنى وكان للخلفاء العباسيين مكانة خاصة فى نفوسهم ، وكذلك عندما رفض شيوخ الشافعية التدريس فى المدرسة النظامية وعلى رأس هؤلاء الشيخ أبو اسحق الشيرازى ، لم يجد نظام الملك بدا من الاستعانة بشيوخ المدرسة الحنفية لهذا ذكرت بعض المصادر انه حنفى المذهب .

وقد عمل نظام الملك بكل ما لديه من امكانيات على مقاومة ومحاربة دعوة الشيعة بشكل عام والاسماعيلية بصورة خاصة لأن هؤلاء وعلى رأسهم حسن الصباح كانوا يأمرون بالقتل وسفك الدماء وذهب من ضحاياهم الكثير ، ومقابل هذا كان نظام الملك متمسكا برأى أهل السنة والجماعة ، ولهذا ألغى الدعوة الى " حى على خير العمل " (١) تلك الدعوة التى كان يلحقها الشيعة بالآذان .

---

(١) أبو الفدا : المختصر ٢ / ١٩٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٢٤ .

وقد أشار كثير من المؤرخين الى أن نظام الملك كان يحترم الصوفية ويعظمهم ، فهو كثير الانعام على الصوفية (١) .

وحدث قبل أن يتولى نظام الملك منصب الوزير أن أشار الوزير السابق عماد الملك الكندرى على السلطان طغرلبك بلعن بعض الفرق الدينية المنتشرة فى خراسان ومنها الرافضة وعندما وافق طغرلبك على ذلك طلب منه

---

(١) سئل نظام الملك عن سبب ذلك فقال :

أتانى صوفى وأنا فى خدمة بعض الأمراء فوعظنى وقال : اخدم من تنفعك خدمته ولا تشتغل بمن تأكله الكلاب غدا ، فلم أعلم معنى قوله فشرب ذلك الأمير من الغد وكانت له كلاب كالسباع تفترس الغرباء بالليل فغلبه السكر فخرج وحده فلم تعرفه الكلاب فمزقته فعلمت أن الرجل كوشف بذلك فأنا أخدم الصوفية لعلى أظفر بمثل ذلك (ابن العماد — شذرات الذهب — ٣/ ٣٧٤) .

— والمعلومات عن الصوفية كثيرة ليس هنا مجال استعراضها ، وعن أصل الكلمة ، أنظر :

الزبيدى : تاج العروس ٦/ ١٧٠ .

الكندرى أن يضيف اليهم الأشعرية أيضا .. غير أن نظام الملك أمر حـــال تسلمه لمنصب الوزير بابطال " حى على خير العمل " كما أمر بالتوقف عـــن لعن الأشعرية من على المنابر .

ومن المؤكد أن نظام الملك كان على مذهب أهل السنة والجماعـــة ولعل هذا ما دعاه الى الغاء لعن الأشعرية من على المنابر ، تلك الظاهرة التى استمرت بالرغم من انتهاء التسلط البويهى على الخلافة العباسية .

. . .

٣ — تدرجه فى مناصب الدولة :

بعد أن تعدى نظام الملك مرحلة الطفولة والشباب المبكر وعلى اثر اتمامه لدراسة اللغة العربية وعلوم الدين ، رحل عن طوس وانتقل الى غزنه حيث عمل فى الديوان السلطانى هناك ، لكن المصادر لم تقدم لنا أية معلومات تتعلق بعمله فى هذه المرحلة من حياته ، ثم غادر غزنه الى خراسان والتحق بخدمة أبى على بن شاذان متولى الأمور ببلخ من قبل داود بن ميكائيل والد ألب أرسلان ، لكن هناك كثير من المصادر تشير الى أن نظام الملك لم يستمر طويلا فى خدمة ابن شاذان فهرب منه ولجأ الى داود بن ميكائيل بن سلجوق وأخبره عن رغبته فى الالتحاق بخدمته فقام داود بتسليمه الى ولده ألب أرسلان وقال له : هذا حسن الطوسى فتسلمه واتخذه والدا لا تخالفه (١) .

بعد أن أوصى داود ولده ألب أرسلان خيرا بنظام الملك وأثنى عليه وذكر له كثيرا من محاسنه ومزاياه ماكان من السلطان ألب أرسلان الا أن عينه وزيرا له خلفا لعلى بن شاذان الذى كان يشغل هذا المنصب لدى ألب أرسلان .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم — ٩/ ٦٤ — ٦٥ .

اذن فنظام الملك التحق بخدمة ألب أرسلان بعد وفاة والده داود ، وعندما توفى طغرلبك وآلت الأمور الى ألب أرسلان أسند لنظام الملك منصب الوزارة ، وعهد اليه بتنشئة ابنه ملكشاه (١) .

وقد أصبح لنظام الملك مكانة خاصة فى نفوس سلاطين السلاجقة وعلى رأسهم ألب أرسلان الذى منحه لقب " أتابك " (٢) تقديرا لخدماته من جهة وتكريما له من جهة أخرى .

. . . . . .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٨/ ١٦٢ .

(٢) من ألقاب الوظائف التى استعملت وبعض مركباتها فى بعض الأحيان كألقاب فخرية . ويتألف من لفظين تركيين وهما " أطا " بمعنى أب و " بك " بمعنى أمير . ومع أن مهمة الأتابك الأساسية كانت فى نشأتها الوصاية على الأمير السلجوقى ، وتعهد تربيته وتعليمه ، الا أنها شملت على مر السنين مهمات أخرى أدت فى آخر الأمر الى انقسام الدولة الى ولايات يستقل بحكمها الأتابكة وأسرهم .
(د . حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص١٢٢ـ١٢٣ـ١٢٤) .

وفى هذا ذكر رايس انه قد اتخذ بعض الولاه لنفسه لقب أتابك الذى يعنى الأمير الأب دون الالتفات الى هذه الصفة التى كان قد أوجدها ألب أرسلان خالعا اياها على نظام الملك عندما عين هذا أستاذا لملكشاه يوم كان صبيا ، وقد اعتبر بعض السلاطين الذين جاءوا بعده هذا اللقب خاصا لمربى ولاة العهد ثم أصبح من نصيب الوزير الأول للسلطان .
(تامارا تالبوت رايس : السلاجقة تأريخهم وحضارتهم ص١٤٥ـ١٤٦) .

الفصل الثانى

وزارة نظام الملك

وزارته لألب أرسلان :

لاشك فى ان منصب الوزاره من المناصب كبيرة الأهميه فى الدولة السلجوقيه اذ يمثل الوزير المركز الثانى بعد السلطان ، فهو يشرف على سير العمل فى جميع مرافق الدوله وبالتالى فهو يساهم بقسط كبير فى توجيه سياستها داخليا وخارجيا . وكادت الوزاره أن تصبح وراثيه فى أسره نظام الملك نتيجه لعوامل شتى ، فقد رسخ فى قلوب الناس حب نظام الملك ، وأدى ذلك الى أن يظفر كثير من أبناءه وأحفاده بالوزاره . وكان للنجاح الذى حققه نظام الملك أثناء توليه منصب الوزاره ، وعلى مدى ثلاثين عاما ، أثره البالغ فى طبيعة هذه النظره . (١)

لقد شغل نظام الملك منصب الوزاره لاثنين من كبار سلاطين الدولة السلجوقيه هما السلطان الب ارسلان ، حيث وزر له عشر سنوات ثم السلطان ملك شاه حيث وزر له عشرون سنه . (٢)

---

(١) د . عبد النعيم حسنين — دولة السلاجقه — ص ١٤٠ — ١٤١

(٢) ابن خلكان — وفيات الاعيان — ٢/١٢٨ ، ابن العمرانى — الانباء فى تاريخ الخلفاء — ص ٢٠٠

وترجع علاقته بالسلطان الب ارسلان الى فترة ماقبل توليه السلطنه اذ كان نظام الملك قد شغل له منصب " الوزير " خلال فترة حكم عمه السلطان طغرل بك على عاده السلاجقه فى تلك الفتره . (١)

ويمكن أن ندرك مكانه نظام الملك والدور الذى لعبه فى تلك المرحله المبكره من حياته السياسيه مما ذكرته المصادر فى أنه " سعى بعد وفاة طغرل بك فى أخذ السلطنه لصاحبه ألب أرسلان وأنه لعب دورا تعجز عنه الجيوش الكثيره " (٢)

وتتحدث كثير من المصادر المعاصره والتاليه المباشره عن أحداث اعتقال ثم قتل الوزير عميد الملك فقد " أمر الب ارسلان بعد وفاة عمه طغرلبك بالقبض على وزيره " عميد الملك " فلما تم له ذلك أعطى الوزاره " نظام الملك " وكان فى خدمته قبل توليه السلطنه وأبقى أبا نصر الكندرى سنه فى اعتقاله " (٣).

ثم أمر فى سنه ست وخمسين وأربعمائه وهو فى مدينه نسا بقتل عميد الملك

---

(١) المقدسى — الروضتين — ١/ ٢٥ — ٢٦

(٢) ن م س

(٣) الروانـدى — راحه الصدور — ص ٨٦ ، ٨٧ ، ابن النظام — المعراضه السلجوقيه — ص ٤٨ — ٤٩

وقد سعى نظام الملك فى ذلك الامر ورضى به (١) .

ويقدم الرواندى صوره موثره عن مقتل عميد الملك ، مما يلقى بعض الضلال على موقف نظام الملك ودوره ، اذ يقول : " ولقد سمعت أنه لما أقبل اليه الجلاد طلب مهله ثم توضأ وصلى ركعتين واستحلفه أنه متى أنفذ أمر السلطان فيه فلينقل رساله منه الى السلطان وأخرى الى الوزير نظام الملك وليقل للسلطان : " هذه منة مباركه اسديتها لى ، فلقد أعطانى عمك هذه الدنيا لاحكمها ، وأعطيتنى أنت الدار الاخرى باستشهادى ، وعلى ذلك فقد احرزت الدنيا والآخره بخدمتكم " . وليقل للوزير : " لقد ابتدعت بدعة سيئة ، ووضعت قاعدة خبيثه بقتل الوزراء انى لأرجو أن تتبع فيك وفى أعقابك هذه السنه التى اتبعتها معى .. إلا " (٢) . على أننا ينبغى أن لانغفل ان هذه الروايه لاتخرج عن دائرة السماع حتى ان الرواندى نفسه لم يؤكدها . ومع ذلك فان بعض المصادر تتهم " نظام الملك " فى أنه لعب دورا رئيسيا فى قتل " عميد

---

(١) ن . م . س

(٢) الرواندى — راحة الصدور — ص ٨٦ — ٨٧ ، ابن النظام — العراضه السلجوقيه — ص ٤٨ — ٤٩ — ٥٠

الملك " ولا نعرف مدى صحه مثل هذه الاتهامات ويزداد الامر تعقيدا اذا ما أدخلنا الخلافات المذهبيه فى نظر الاعتبار وماتنطوى عليه نظره الشيعه بشكل خاص الى نظام الملك من حقد بالغ ورغبه شديده فى الانتقام عن طريق وحيد بعد وفاته ذلك من طريق تشويه تاريخه . ومع ذلك وحيث أن المصادر هى الاساس الاول الذى ينبغى أن نبنى عليه حقائق البحث فان احتمال مشاركه نظام الملك فى مسئوليه مقتل الوزير " عميد الملك " يبقى قائما نظرا لما يمثله بقاء الوزير ، رغم اعتقاله ، من تهديد مستمر لمنصب الوزاره الذى تبوأه نظام الملك .

لقد واجه السلطان الب ارسلان ، بعد توليه السلطنه فى أعقاب وفاه عمه طغرلبك الكثير من المشاكل والمصاعب ، فقد أعلن أمير ختلان (١) التمرد والعصيان ومنع الخراج فاتجه اليه ألب ارسلان وقاتله وانتصر عليه وتسلم قلعته حيث أعادها الى حظيره مملكته ، غير أن حركات العصيان ضد الب ارسلان لم تتوقف اذ أعلن عمه فخر الملك بيغو ابن ميكائيل التمرد والعصيان ، وكان

---

(١) ختلان : بلاد مجتمعه ماوراء النهر ، قرب سمرقند .
(ابن عبد الحق البغدادى — مراصد الاطلاع ، الجزء الاول ص ٤٥٢)

هذا اميرا على هراة (١) اذ أنه طمع فى الملك لنفسه .

وقد سار الب أرسلان اليه بجيوشه وحاصره وضيق عليه الخناق حتى اضطره الى الاستسلام وعند ذلك أحسن معاملته ، ثم اتجه من هناك الى صفانيان وكان أميرها المدعو موسى قد انتهز فرصة وفاة طغرلبك وانشغال الب ارسلان باخماد حركات التمرد والعصيان فاعلن هو الآخر تمرده وعصيانه . غير أن الب ارسلان عاجله بمقاتلته فانتصر عليه وملك قلعته قهرا ولعل فى تمرده مايفسر معاملته القاسيه له ، فقد أمر السلطان فى هذه الحاله بقتل موسى هذا حالما تمكن من أسره (٢) . ثم بلغ ألب أرسلان بأن شهاب الدوله قتلمش السلجوقى قد أعلن العصيان وأنه اتجه الى الرى ليستولى عليها فاهتم السلطان بالامر

---

(١) هراة : مدينه عظيمه مشهوره من أمهات مدن خراسان فيها بساتين كثيره ومياه غزيره وخيرات كثيره محشوه بالعلماء ومملوءه بأهل الفضل والثراء . وهراه أيضا مدينه بفارس قرب اصطخر كثيره البساتين والخيرات .

(معجم البلدان — ياقوت الحموى — المجلد الخامس ص٣٩٦)

(٢) ابن الاثير — الكامل فى التاريخ — ٩٧/٨ ، أبو الفدا — المختصر — ١٨٤/٢ .

وجهز جيشا عظيما لمنعه من تحقيق أهدافه وللقضاء على تمرده ، وقبل أن يلتقى الجمعان بعث السلطان الى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن التمادى فى غيه ويلفه بأنه اذا ماعاد الى سابق الطاعه فانه سيرعى له القرابه والرحم (١) .

غير أن قتلمش رفض عروض السلطان واستمر فى عصيانه وشدد من هجومه المتواصل على قرى الرى وهنا يبرز دور نظام الملك وعقليته المنظمه وخططه الرصينة فقد اقترح على السلطان ان يوطد علاقته بالرعيه وخاصه بالعلماء ، وقال له بأن ذلك يجعل لك " من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون ذلك بسهام لاتخطئ وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من أعظم أعوانك " (٢) . وقد توافق الجيشان (٣) واحتدم القتال بينهما بمعارك طاحنه انتهت بهزيمه قتلمش حيث لجأ الى قلعه كردكوه (٤) احدى حصونه

---

(١) ابن الأثير — الكامل فى التاريخ — ٩٨/٨

(٢) ن م م س ٩٨/٨

(٣) التقى الجيشان فى شبانكاره فى عام ٤٥٨ هـ .

(٤) وكان استيلاؤه على هذه القلعه ومنطقه شبانكاره فى عام ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م حيث وضع بذلك حدا للفوضى وأمن حدود الدوله من الناحيه الجنوبيه انظر المصدر السابق ٩٨/٨ — ٩٩ .

ومعاقله . وتشير المصادر الى عزم السلطان الب أرسلان على قتل الاسرى بعد أن حقق الانتصار غير أن نظام الملك وقد أدرك ببعد نظرة خطورة مثل هذه الخطوة وأثرها فى تفريغ المنطقة من المقاتلة واضعاف شوكة المسلمين ازاء الاخطار الخارجية المحتملة فانه تشفع لدى السلطان فيهم ورقق قلبه نحوهم حتى تمكن من أن يستصدر امرا بالعفو عنهم باطلاق سراحهم (١).

سار السلطان الب أرسلان بعد انتصاره على قتلمش الى اذربيجان ثم تجاوزها وكان قد عقد العزم على قتال الروم نتيجة اغراءات أحد امراء التركمان وهو المدعو طغتكين حيث شجعه على قتالهم ويسر عليه الامر . وكان مع طغتكين عشيرته وخلق كثير ممن ألفوا الجهاد وعرفوا بلاد الروم ، وهكذا اتجه السلطان الب أرسلان برفقة طغتكين الى نخجوان (٢) وهناك أرسل عميد خراسان الى سكان خوى وسلماس يدعوهم للدخول فى طاعته فأطاعوه وصاروا من جملة حزبه وجنده وقد تمكن السلطان فى مدة قصيرة من الاستيلاء على الجزء الاكبر من البلاد الواقعة

---

(١) ابن الاثير — الكامل فى التاريخ — ٩٨/٨

(٢) هو بلد من نواحى أذان وهو نخجوان (معجم البلدان — ياقوت الحموى — المجلد الخامس — ص ٢٩٨)

بين بحيرتى وآن وأورميه ووضع يده على قلاعها كما فتح جورجيا وبلاد الارمن وعمل على نشر الاسلام وحضارته فى هذه المنطقه والحق فأن هذه الغزوات أخذت طابع الجهاد فى سبيل الله والعمل على نصرة دينه فكان من الطبيعى ان يحدث الاحتكاك بين السلاجقه والروم فقد غضب الامبراطور رومانس ديو جينس Romanos Dio Genes " لهذا التقدم السلجوقى وصمم على القيام بحركة مضادة اذ قد ضم منطقه حلب الى دولته وكانت حلب وما اليها تدين بالولاء الى الفاطميين • غير أن الب ارسلان قرر التدخل فى الوقت المناسب ليحقق هدفين فى وقت واحد اولهما : تقويض قوه الروم ومنعهم من التدخل فى بلاد المسلمين ، وثانيهما : القضاء على الخلافه الفاطميه فى مصر والشام فعهد بقيادة الجيش الى ولده ملكشاه على أن يعاونه نظام الملك الوزير ، وتوجه الب أرسلان بعد ذلك الى بلاد الكرج • (١)

واصل السلطان الب ارسلان السير لقتال اعداء الاسلام ففتح فى طريقه عددا من الحصون والقلاع وأسر كثيرا من النصارى الروم • وسارت الجيوش الى نبيذ شهر التى تمكن السلطان الب أرسلان من فتحها بعد حروب طاحنه بين

---

(١) ابن الاثير — الكامل فى التاريخ — ٨/٩٨ — ٩٩ ؛ عبدالمنعم حسنين — دولة السلاجقه — ص ٤٩ •

أهلها والمسلمين ، وسار منها الى مدينه أعمال لا ل وهى مدينه حصينه وكان ملكها من الكرج . واستمر النصر يسير فى ركاب المسلمين بعد أن ولى الكفار الأدبار منهزمين . وبعد أن تم فتح هذه المدينة حصل المسلمون منها على غنائم كثيره ، كما تمكن الب أرسلان من فتح قلعه حصينه كانت الى جانب تلك المدينة . ثم اتجه الى مدينه آنى (١) التى كانت مدينه حصينه غير أن ذلك لم يمنع السلطان الب أرسلان من فتحها اذ عمل برجا من الخشب وشحنه بالمقاتله ونصب عليه المنجنيق ورماه النشاب فكشفوا الروم عن السور مما يسر احداث ثغره كبيره فيه أتاحت لجيش المسلمين فرصه اختراق تحصينات العدو والقضاء على مقاومته وكانت النتيجه فتح هذه المدينة وقد كان لانباء الفتوح هذه صدى واسعا وترحيبا كبيرا فى العالم الاسلامى فقد سر المسلمون كثيرا " وقرئ كتاب الفتح ببغداد فى دار الخلافه فبرز خط الخليفه بالثناء على الب أرسلان والدعاء له " (٢)

وقد شارك الوزير نظام الملك فى هذه الفتوحات التى تم بعضها باشراف

---

(١) مدينة آنى : قلعه حصينه ، ومدينه فى او مينيه بين خلاط وكنجه .
(البغدادى ، مراصد الاطلاع ، الجزء الاول ، ص٦)

(٢) ابن الاثير — الكامل — ٨/٩٨ — ٩٩ — ٤٠٠ .

السلطان الب أرسلان وتم بعضها الآخر بقيادة ملكشاه ، وبعد أن تم فتح مدينة آنى وغيرها من بلاد الروم قام ملكشاه يساعده وزيره نظام الملك بالسير الى القلعه التى بجانبها والتى اجتمع فيها جمع كثير من الروم فقاتلوهم الى أن قتل أمير القلعه وتسلمها المسلمون ثم اتجهوا الى قلعة سرماري فقاتلوا من فيها حتى فتحوها . وكان بالقرب منها قلعة أخرى ثم فتحها وابدى ملكشاه رغبة فى تخريبها فنهاه الوزير نظام الملك عن ذلك وقال " هى ثغر للمسلمين بل اشحنها بالرجال والذخائر والاموال والسلاح وسلمها مع غيرها من القلاع الى أمير نقجوان " (١) .

وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين ويبدو أنه كانت للمدينه مكانه كبيره عند النصارى فقد كان ملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى اهل هذه البلده الحصينه التى يحيط بها سور من الاحجار الكبار الصلبه ، غير أن ذلك لم يفت فى عضد نظام الملك ولم يعجزه عن ضم هذه المدينه الى ممتلكات المسلمين فأعد لقتالها مايحتاج اليه من السفن وغيرها

---

(١) ن ٠م ٠ص ٨/٩٨ ـ ٩٩

وقد أحكم الحصار عليها وواصل مناوشه قواتها ليلا ونهارا حتى ارهقهم حيث استطاع المسلمون الصعود الى أعلا السور فلما رأى أهلها ذلك فت فى عضدهم وأسقط فى أيديهم فاعلنوا الاستسلام دون شروط ودخل السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك البلده حيث أسلم كثير من أهلها وقد قام السلطان الب أرسلان بتكريم ابنه الامير ملكشاه ووزيره نظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح على ايديهما (١) .

واصل الب أرسلان فتوحاته وانتصاراته بعد هذا الحدث ، فتوجه الى بلاد الشام قاصدا حلب عن طريق ديار بكر مارا بآمد والرها حيث حاصرهما بعض الوقت ثم فك الحصار بعد أن ادرك عظم تحصيناتهما وصعوبه فتحهما مع تقديره لظروف قواته التى ارهقتها الحروب المتواصله حيث اصبحت خطوط مواصلاتها وتموينها بعيده ومعرضه للاخطار . وعند وصوله الى حلب باشر فى محاصرتها فقد كان من المتوقع ان يقوم صاحبها محمود بن برداس بمقابله السلطان والمثول بين يديه اعلانا للولاء غير أن هذا طلب من نقيب النقباء ابو الفوارس طراد أن يعفيه من مقابله السلطان الب أرسلان لكن السلطان أصر على وجوب حضور

---

(١) ابن الاثير — الكامل فى التاريخ — ٨/٩٨ — ٩٩ — ١٠٠

ابن برداس ولما رفض الاخير ذلك شدد السلطان الحصار على المدينه وعظم القتال واصاب الناس أذى شديد • ولما رأى محمود ان تصلب موقفه ليس فى صالحه خرج بصحبه والدته مستسلما ، فلما دخلا على السلطان قالت له والده محمود : " هذا ولدى فافعل به ماتحب " • فتلقاهما السلطان بالجميل وخلع على محمود وأعاده الى حلب •

وقد اعترف أمير حلب محمود بن برداس بجميل السلطان وحسن صنيعه بأن أرسل له مالا جزيلا (١) •

كان أرمانوس ملك الروم قد باشر الاعتداء على ثغور بلاد المسلمين ورفع لواء الحرب بوجه السلطان الب أرسلان فتشير المصادر بانه قد خرج من بلاده فى جمع كبير من الجيوش قاصدا ديار المسلمين • وقد بلغ السلطان الب أرسلان هذا الخبر وهو بمدينه خوى من أذربيجان فى طريق عودته من حلب •

---

(١) ابن الاثير — الكامل في التاريخ — ٨/ ١٠٩ ، الذهبى — دول الاسلام ١/ ٢٧١ — ٢٧٢ وانظر ابن العماد — شذرات الذهب ص ٣١٨ •

وقد بدا على السلطان التردد ، اذ لم يكن في مقدوره استنفار عدد آخر من الجند لبعد الشقه وقربه من العدو حيث ان الظروف لاتحتمل الانتظار .

ويذكر القزويني بأن السلطان استشار وزيره نظام الملك في الأمر بعد أن أطلعه على كثره جيش الروم بالمقارنه مع جيش المسلمين فابدى نظام الملك ايمانه بان النصر هو من عند الله ونصح السلطان بان يلتقي بهم ظهيره الجمعه ساعه استجابه الدعاء وقد استجاب السلطان لنصيحه وزيره اذ سير الاثقال وزوجته مع وزيره نظام الملك الى همدان وسار هو فيمن عنده من العساكر لمقاتله الروم وطردهم عن حدود المسلمين وجد في السير وقال " انني أقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمه من الله تعالى ، وان كانت الشهاده فان ابني ملكشاه ولي عهدي " (١) . وقد من الله على المسلمين بالنصر في هذه المعركه وانكسر الروم ولاذوا بالفرار وغنم المسلمون اسلابهم ، فأمر السلطان وزيره نظام الملك بأن يرسل الاسلاب الى بغداد ولعل ذلك كان لغرض اظهار حسن النيه في أن السلاجقه انما يدافعون عن الخلافه الاسلاميه (العباسيه) ، ولعل ذلك ينطوي في نفس الوقت على استشعار القوه والعظمه واعلان السلطه المركزيه للدوله

---

(١) ابن الاثير - الكامل في التاريخ - ١٠٩/٨

العباسيه بشده بأسهم قوه شكيمتهم • وقد حاول السلطان الب أرسلان ان ينهى الصراع مع الروم بأسلوب يدل على بعد نظره ، اذ عرض على ملك الروم بعد أن حقق الله له الانتصار عليه ان يعقد معه الصلح والمهادنه غير ان ملك الروم ركب رأسه وفسر عرض السلطان هذا بأنه دليل الضعف ولهذا فقد رد على السلطان مهددا بأنه " لا هدنه الا بالرى " اشارة الى انه سيواصل الحرب وسيتعقب السلطان الى عقر داره وقر مملكته وبأنه سيفرض عليه هناك شروطه •

صمم السلطان الب أرسلان ، بعد أن رفض ملك الروم عرضه ورد عليه بهذا الاسلوب المزعج ، على مواصلة حرب الروم فنظم قواته ، وحثهم على الاستماته فى القتال فى سبيل الله ودعا الله سبحانه وتعالى النصر ، وزحف الى جموع الروم التى اعاد ارمانوس تنظيمها ، وكانت معركة مشرفه فقد تحقق للمسلمين النصر وجرى احتواء جموع الروم بين قتيل وأسير ، وكان ملك الروم من بين الاسرى وعندما عرض الملك مع الاسرى بين يدى السلطان الب أرسلان عفا عنه وعقد معه الصلح حيث تعهد بدفع الفديه ووعد باطلاق سراح جميع اسرى المسلمين فى بلاد الروم • كما تضمنت معاهده الصلح هذه عقد هدنه بين الجانبين مدتها خمسون عاما • وبعد ذلك اذن لملك الروم بالعوده الى بلاده وارسل

معه من يحفظه حتى يصل الى مأمنه .

ولما بلغ عاصمه الروم خبر أسر ارمانوس وثب ميخائيل على السلطه فملك البلاد . ولما وصل ارمانوس الملك الى قلعه دوقيه بلغه الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرفه ماتقرر مع السلطان .(١)

واصل الب أرسلان حملاته التأديبيه فأرسل وزيره نظام الملك الى بلاد فارس وكان بها حصن من امنع الحصون والمعاقل يحكمه رجل يدعى فضلون كان مغاضبا للسلاجقه رافضا للدخول فى طاعه السلطان السلجوقى ، ولذلك

ومن عجيب ماحكى فى أسر الملك ،انه كان لسعد الدوله كوهرائين ، مملوك أهداه لنظام الملك فرده عليه ، ولم ينظر اليه ، فرغبه فيه كثيرا . فقال نظام الملك : ومايراد منه، عسى أن يأتينا بملك الروم اسيرا ! وذكر ذلك استهزاء به واستصغارا لقدره واحتقارا لامره . فاتفق وقوع متملك الروم يوم المصاف فى اسر ذلك الغلام ، ووافق تصديق قول النظام . وخلع السلطان عليه وقال : " اقترح من العطاء ما أعطيك " فطلب بشاره غزنه

(عماد الدين الاصفهانى — تاريخ دوله آل سلجوق — ص ٤٠ = ٤١)

(١) ابن الاثير — الكامل — ٨/ ١٠٩ — ١١٠ ، ابن خلدون — العبر وديوان المبتدأ والخبر — القسم الاول — المجلد الخامس ص ٦ — ٧

وانظر الذهبى — دول الاسلام — ١/ ٢٧١ — ٢٧٢

فقد جرى حصار الحصن ومقاتله من فيه الى ان طلب أهل الحصن الامان بعد أن نفذ ماعندهم من الماء ووافقوا على تسليم الحصن ، فأمنهم نظام الملك وتسلم الحصن اما فضلون فقد التجأ الى أعلى موضع في القلعه واحتمى به لكن جنود نظام الملك استمروا في مطاردته حتى وقع أسيرا في قبضتهم وسلموه الى نظام الملك الذى سار به الى السلطان فأمنه وأطلقه (١) .

وفى عام ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ م عبر الب أرسلان جيحون وسار الى جند وصبران وهما عند بخارى وقبر جده سلجوق بجند فخرج صاحب جند الى طاعته فأقره على مكانه ووصل الى كركنج خوارزم وسار منها الى مرو (٢) .

وفى عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م قصد الب أرسلان بلاد ماوراء النهر حيث عقد على نهر جيحون جسرا عبر عليه مع جيوشه التى قدرت بما يزيد على مائتى ألف فارس فأتاه أصحابه بمستحفظ لاحدى القلاع يعرف بيوسف الخوارزمى ، كان هذا قد ارتكب جريمة فى امر الحصن فأراد السلطان معاقبته ، لكن يوسف قد استقتل كما يبدو اذ أنه انقض على السلطان وطعنه بسكين كان يخفيها كانت سببا فى وفاته .

---

(١) ابن الاثير — الكامل في التاريخ — ٨/١١١ — ١١٢

(٢) ابى الفدا — المختصر فى أخبار البشر — ص ١٨٥ ، الذهبى — دول الاسلام — ١/٢٦٨

" وقبل أن يلفظ أنفاسه الاخيره أحضر وزيره نظام الملك فأوصى بـــــــه واليه • وعول فى كفايه المهمات وكف الملمات عليه وجعل ولده ملكشاه ولى عهـــــده وفوض اليه الملك من بعده " (١)

أما عن طبيعه العلاقه القائمه بين الب أرسلان ووزيره ، فقد كانت شخصيـــه السلطان القويه النفذه طاغيه على الاحداث وكان سريع الاستجابه قوى الاراده — والشكيمه ، مقاتلا شجاعا ومقداما ، كما كان سياسيا مجيدا بعيد النظر لايتعجل الاحكام والامور ومن الامثله الكثيره التى ترد للتدليل على حرصه وبعد نظره وكياسته ماذكرته المصادر من سعايه بعض خصوم الوزير نظام الملك به وكشفهم لمجموع مايمتلكـــه

ومن طريق مايذكر ويعكس مدى ايمان السلطان وعقيدته السليمه ماذكر عنـــه أنه قال بعد جرحه : ماكنت قط فى وجه قصدته ، ولاعدو أردته الا توكلـــت على الله فى امرى ، وطلبت منه نصرى ، وأما فى هذه النوبه ، فانـــــى أشرفت من تل عال ، فرأيت عسكرى فى أجمل حال فقلت اين من له قـــدرة مصارعتى ، وقدره مصارعتى ، وأنى اصل بهذا العسكر الى أقصى الصيـــن فخرجت على منيتى من الكمين (ابن الاثير — الكامل — ٨/ ١١٢ — ١١٣ ، ابو الفدا — المختصر فى أخبار البشر — ٢/ ١٨٨)

(١) عماد الدين الاصفهانى — تاريخ دوله آل سلجوق — ص ٤٥ •

من أموال وعقارات في البلدان المختلفه للسلطان الب أرسلان ، وكانت السعايه مكتوبه على خطاب ألقاه مجهول على مصلى السلطان ، فما كان منه بعد أن قرأ ذلك الا أن استدعى الوزير وسلم الرقعه اليه وقال له : " خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذى كتبوه فهذب اخلاقك وأصلح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بما يشتغلون به عن السعايه بالناس " (١)

وهكذا فان المصادر لم تبرز دور الوزير نظام الملك في جميع الاحداث التى مرت بشكل واضح وذلك لقوه شخصيه السلطان التى طغت على شخصيته فظهر دوره منفذا في الغالب لما يأمر به السلطان الب ارسلان ، فدوله يحكمها سلطان قوى شديد ثاقب البصر ، كما هو حال السلطان الب أرسلان ، لايستطيع فيها الوزير مهما كانت امكاناته الفكريه والتنظيميه ان يسيطر او يستبد بالامور وفوق ذلك ينبغى ألا ننسى أن للسلطان على الوزير داله استيزاره كما أنه كان حريصا على أن يستنير برأيه في أغلب الامور الجسام التى جابهتها الدوله خلال هذه المرحله .

---

(١) ابن الاثير — الكامل في التاريخ — ٨/ ١١٣
وبعد وفاته دفن باصبهان وولى السلطنه ولده السلطان ملكشاه ولم يسر اعدل منه ولا اكثر خيرا ونال الناس من ولايته كل خير (الفارقى — تاريخ الفارقى — ص ١٩٧)

ويمكن القول بأن سلطات الوزير كانت في الغالب خلال هذه الفترة ضمن حدود تنفيذ ارادة السلطان وتوجيهاته ولم تتح له فرصة التفرد أو الاستبداد بالامر دونه . هذا نمط من أنماط وزارة التنفيذ التي ناقشها الفقهاء عند مناقشتهم ولاية الوزارة في الدولة الاسلامية .(١)

---

(١) انظر الماوردي - الاحكام السلطانية - فصل الوزارة .

وزارته لملكشاه :

فى اللحظات الاخيره من حياة السلطان الب أرسلان بعد حادثه طعنه فى بلاد ماوراء النهر ، أوصى بالسلطنه لابنه ملكشاه الذى كان بصحبته وأمر أن يحلف له العسكر فحلفوا له جميعا وكان المتولى للأمر فى ذلك نظام الملك. وقد أرسل ملكشاه الى دار الخلافه ببغداد طالبا تأكيد البيعه والامر بالدعاء له فى الخطبه ، وقد تم له ذلك .

ان تولى ملكشاه للسلطه لم يمر دون مشاكل او حركات تمرد فقد كان هناك من يطمع بالسلطنه ، وخاصه قاورد بك شقيق السلطان الراحل وعم ملكشاه فقد وصله نبأ وفاه أخيه وهو فى كرمان فاسرع بالتحرك تجاه الرى بقصد الاستيلاء عليها واتخاذها قاعدة ينطلق منها فى حركة عصيان بهدف الاستيلاء على السلطه غير أن السلطان ملكشاه بتدبير نظام الملك قد سبقه اليها وهكذا فانهما اوقفا تقدمه وهزماه . (١)

---

(١) ابن الاثير — الكامل فى التاريخ — ٨/١١٤ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر القسم الاول ، المجلد الخامس ص ٧ .

وتشير كثير من المصادر الى أنه بعد هزيمة قاورد أمام جيش السلطان ملكشاه تطاول جنده وتدللوا قائلين : " انا ظفرنا بهذا الفتح والنصر وهزمنا جيشا جراوا فنريد زياده ارزاقنا " . وقالوا للوزير كلاما مثل هذا يستفاد منه أنه اذا لم يزود رواتبهم واقطاعهم فانهم يدعون بالسعاده ل " قاورد " فقال لهم نظام الملك : " انني سأحدث السلطان بذلك هذا المساء وسأحقق لكم مقصودكم " (١)

أى أن الجند بدأوا يطالبون بزياده رواتبهم واقطاعهم واذا لم يتحقق لهم ذلك فانهم سوف ينضمون الى جانب قاورد " الذى كان الصراع على أشده بينه وبين السلطان ملكشاه .

وهنا قام نظام الملك بتدبير الامر وحل الاشكال وذلك بطريقه تدل على بعد نظره وسلامه تفكيره فقد عمل على التخلص من قاورد حتى يضمن ولاء الجند وعدم مطالبتهم بزياده ارزاقهم " فقد أمر فى نفس الليله فجوعوا " قاورد " شرابا ساما ، وسملوا أعين ولديه الاثنين فلما كانت الغداه عاد الجند الى المطالبه

---

(١) الروندى — راحة الصدور — ص ٢٠٠ ، ابن النظام الحسينى — العراضه — ص ٥٩ — ٦٠

بزياده أرزاقهم فقال لهم نظام الملك : " لم يكن من اللائق ليله الامس أن أحدث السلطان بشيء من هذا لانه كان حزينا على عمه ، وقد ضاق عمه ذرعا بحبسه وأحس بالضجر والسأم فامتص السم من خاتمه وأسلم الروح " فلما سمع الجند ذلك هدأوا وسكتوا ولم ينبسوا بنبت شفه ، ولم يعد أحد منهم يتحدث عن زياده الارزاق " . (١) وقد اقدم السلطان ملكشاه على أن : " جعل مخصصات الجند ورواتبهم مقسمه على جميع بلدان العالم ، وأمر لهم بمخصصات في كل مكان ينزلون فيه ، حتى لايضايقوا الرعايا " . (٢) مما يشير الى أن السلطان ملكشاه قد احس بأهميه وخطوره الجند فأولاهم رعايته واهتمامه . وحتى لايعودوا مره اخرى لرفع لواء التمرد والعصيان فانه امر بأن تخصص لهم مخصصات اضافيه في المواضع التي يتواجدون فيها حتى يصبحوا في غنى عن المطالبه بالمال ، أو اساءه معامله الناس .

واضافه الى ذلك يذكر ابن خلكان ، انه " لما مات الب أرسلان وازدحم أولاده على الملك " وطد المملكه لولده ملكشاه فصار الامر كله لنظام الملك ، وليس للسلطان الا التخت والصيد ، واقام على هذا عشرين سنه . (٣)

---

(١) الرواندي — راحه الصدور — ص ٢٠١

(٢) الحسيني — العراضه السلجوقيه — ص ٦٠ — ٦١

(٣) ابن خلكان — وفيات الاعيان — ١٢٨/٢

وقد قام بوزاره ملكشاه نظام الملك حيث افتتح العهد الجديد بتوثيق علاقته بالعسكر فقد زاد رواتبهم وجراياتهم وقد بلغت الزياده سبعمائه ألف دينـــار في السنه " (١) .

ويبدو أن أفراد الجيش قد أدركوا أهميتهم وكبر دورهم وطمعوا بأمـــوال الرعيه اضافه الى ماأملوه من السلطان ملكشاه نفسه ، غير أنهم توقعوا أن تصطدم آمالهم ومطامعهم بعداله الوزير نظام الملك فقالوا : " مايمنع السلطـــان أن يعطينا الاموال الا نظام الملك " . وقد انتشرت أخبار مطامع الجند هذه بين الناس وتوقعوا الشر وتأزمت الامور لولا اسراع الوزير نظام الملك الى السيطرة على الوضع اذ خطط لجمع المسئوليه في يده ، ولذلك فانه بادر الى مواجهـــة السلطان ملكشاه واوضح له طبيعه الحال وماينطوي عليه من مخاطر وان نجـــاح الجند يعني خراب البلاد وهلاك العباد وذهاب السياسه ، وخوفه من مغبـــة التراخي أو الاذعان للقوه الغاشمه على حساب العداله والانصاف ، ويبـــدو أن ملكشاه فضل تحميل وزيره المسئوليه الكامله والتفرغ لما سوى ذلك ولهذا فقـــد

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ـ ٨/١١٣

وجه اليه خطابا جاء فيه : " افعل فى هذا ماتراه مصلحه فقال له نظام الملك مايمكننى أن أفعل الا بأمرك فقال السلطان : قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فأنت الوالد وحلف له واقطعه اقطاعا زائدا على ماكان ، من جملته طوس مدينه نظام الملك ، وخلع عليه ولقبه ألقابا من جملتها " أتابك " (١) فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور " (٢) .

اما ملكشاه فقد كان ملكا سيرته العدل . وسريرته الانصاف والفضل . شجاعا مقداما صائب الرأى والتدبير . حقيقا بالتاج والخاتم والسرير . أيامه فى ايام آل سلجوق كالواسطه فى العقد ، قد تناسبت فى الحسن بدايته ونهايته . وتناسقت فى الاقبال فاتحته وخاتمه . ولم يتوجه الى اقليم الا فتحه . وقهر العدو وفدحه . (٣)

ولقد قام خاقان التكين صاحب سمرقند بعد وفاة الب أرسلان بالاستيلاء على ترمذ ، غير ان السلطان ملكشاه اتجه بعد أن استقرت الامور الى ترمذ

---

(١) ومعناه الامير الوالد .

(٢) ابن الاثير — الكامل — ٨/١١٤ — ١١٥ ، أبى الفدا — المختصر — ٢/١٨٩ السيوطى — تاريخ الخلفاء — ص ٤٢١ — ٤٢٢

(٣) الاصفهانى — دولة آل سلجوق — ص ٥٢ — ٥٣

وحاصرها فطلب أهلها الامان وعندما امنهم السلطان سلموها ، فاكرم أخ خاقان التكين واحسن اليه ثم اطلقه وقام بتسليم قلعه ترمذ الى الامير ساوتكين وامره ان يقوم بعمارتها وتحصينها ، وسار ملكشاه يريد سمرقند غير أن صاحبها خاقان التكين قد هرب منها وبعث الى نظام الملك يطلب وساطته للمصالحه ويعتذر من تعرضه الى ترمذ فاجيب الى ذلك وعقد الصلح وعاد ملكشاه الى خراسان ومنها الى الرى حيث أقطع طخارستان لاخيه شهاب الدين تكش اكراما له واعترافا بموقفه المناصر (١) .

وبعد ان تم اخضاع حاكم سمرقند وعبر جيش السلطان نهر جيحون ، " كتب نظام الملك بأن تدفع أجره الملاحين من أموال انطاكيه ، فلما ركب السلطان شكا اليه الملاحون امرهم وقالوا : " انا قوم فقراء ، نحصل على معيشتنا من هذا النهر ، واذا ذهب شاب منا الى انطاكيه فانه يعود شيخا .. !! " فقال السلطان لنظام الملك : يا أبتى ما هذه الحكايه .. أليس لنا فى هذه الولايه معين بحيث نضطر الى تحويل هؤلاء القوم الى انطاكيه ... ؟ " قال الوزير "

---

(١) ابن الاثير — الكامل — ٨/ ١١٩ ، الذهبى — دول الاسلام — ١/ ٢٧٥

مولاى ... لاحاجة لان يذهب هؤلاء القوم الى اى مكان من الاماكن ، فان اتباعنا يشترون البراءات التى اعطيت لهم بالذهب يدفعونه اليهم نقدا ، ولقد أمرت لهم بذلك اظهارا لعظمه ملكك وبسطه سلطانك حتى يعلم الناس مقدار اتساع مملكتك ونفاذ حكمك ... !! . (١)

وهكذا .. يتضح أن نظام الملك كان هو المتصرف خلال عهد السلطان ملكشاه الذى كان منشغلا بحياته الخاصه ولم يكن على بينه بما يجرى من امور الدوله .

وفى عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م وصل السلطان ملكشاه الى خوزستان متصيدا فوصل معه خمارتكين وكوهرائين وهو عازم على قتل ابن علان اليهودى ضامن البصره الذى كان ملتجئا الى نظام الملك ، وكان بين الوزير وخمارتكين الشرابى وكوهرائين عداوه فسميا باليهودى .

أمر السلطان ملكشاه بالقبض على ابن علان اليهودى وتفريقه وقد تم

---

(١) الروندى — راحة الصدور — ص ٢٠١ — ٢٠٢ ، الحسينى — العراضه — ص ٦٣ — ٦٤

ذلك مما اثار حفيظه الوزير نظام الملك الذى انقطع عن مباشره اعماله والركـــوب ثلاثه ايام كما انه أغلق بابه .

ثم اشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوه عظيمه قدم له فيها اشيـاء كثيره وعاتبه على فعله فاعتذر اليه . وهكذا عادت الامور الى مجاريها السابقـــه والواقع ان الضامن اليهودى المشار اليه قد تعاظم امره وكبر مقامه عند أهـــل البصره الى درجه أن المصادر اشارت الى انه بمناسبه وفاه زوجته فان جميع أهـــل البصره — ماعدا القاضى — قد ساروا خلف جنازتها مما يعكس طبيعه مركزه ومـدى تحكمه كما تشير المصادر بانه كانت له نعمه عظيمه واموال كثيره فأخذ السلطـــان منها مائه الف دينار وقد ضمان البصره على خمارتكين الذى تعهد أن يدفـــع مبلغ الضمان البالغ مائة ألف دينار اضافه الى تقديم مائه فرس سنويا (١) .

وفى شعبان من عام ٤٧٣ هـ/ ١٠٨٠ م سار السلطان ملكشاه الى الـــرى واقدم على تصرف يدل على قصر نظره وتعجله وعدم تقديره السليم لوضعه اذ أنـــه اسقط من العساكر سبعه آلاف رجل لم يرضى عن حالهم وقد رحل هؤلاء الـــى

---

(١) ابن الاثير — الكامل — ١٢٨/٨

اخيه تكش وهو ببوشنج (١) فقوى بهم واظهر العصيان على اخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو الشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا فى ملك خراسان ويبدو أن جهود نظام الملك وحاوله منح اسقاطهم من الجيش قد فشلت فتذكر المصادر انه قال للسلطان ملكشاه لما أمر باسقاطهم ، " ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعه غير الجنديه فاذا اسقطوا لا أمن أن يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن ايدينا أضعاف مالهم من الجارى الى أن نظفر بهم " فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى اخيه واظهر العصيان ندم على مخالفه وزيره حيث لم ينفع الندم .

سار السلطان ملكشاه مجددا الى خراسان فوصل الى نيسابور قبل أن يستولى أخوه تكش عليها . ولما بلغ تكش ذلك اسرع الى ترمذ متحصنا بها ، وقد قصده السلطان فحاصره بها وكان تكش قد أسر جماعة من اصحاب السلطان فأطلقهم وسعى بالصلح بين الاخوين ونزل تكش الى اخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ (٢) .

---

(١) بوشنج : بليده نزهه حصينه فى وادى مشجر ، من نواحى هراة بينهما عشره فراسخ (البغدادى ، مراصد الاطلاع ، الجزء الاول ص ٢٣٠)

(٢) ابن الاثير — الكامل — ص ١٢٨ — ١٢٩

ويذكر القزوينى أن نظام الملك حكى فى كتابه سير الملوك ان بعض المفسدين قال للسلطان ملكشاه : " ان فى معيتك اربعمائه ألف فارس ، وامر المملكه يتمشى بسبعين ألفا ، فان سبعين الفا لم يغلبوا من القله ، فلو اسقطتهم امتلأت الخزانه من المال ! ومال السلطان الى قوله ، فلما عرفت ذلك قلت للسلطان : هذا قول من أراد اثاره الفتنه وفساد المملكه ! ان ملكك خراسان وماوراء النهر الى كاشغر وبلاد غور وخوارزم واللان وارران وآذربيجان ، والجبال والعراق وفارس وكرمان والشام وارمن وانطاكيه ، وانها انما تبقى محفوظه بهذه العساكر ، ولم يذكر ان دوله الخلفاء العظام والملوك الكبار قد خلت من خروج خارجى وظهور مخالف ، وهذه الدولة المباركه بسعادة السلطان سلمت من الكدورات ، فلو كانت العساكر ثمانمائه الف لكانت السند والهند والصين ومصر والبربر والحبشه والروم ايضا فى طاعتنا . ثم ان السلطان ان اثبت سبعين ألفا واسقط ثلاثمائه وثلاثين الفا ، فالساقطون ليسوا اصحاب حرف يشتغلون بصنعتهم يجتمعون على يد واحد ، ويدخلون تحت طاعته ، فنشأ من ذلك فساد عظيم ويكون الخصم فى ثلاثمائه وثلاثين الفا ونحن فى سبعين ألفا ، فتمشى الاموال وتهلك ، ويكون ذلك نتيجه نصيحه هذا الناصح الذى ينصح بجمع الاموال وتفريق الرجال . (١)

---

(١) القزوينى — آثار البلاد واخبار العباد — ص ٤١٢ — ٤١٣

وهكذا ٠٠ فان ماذكرنا يدل على بعد نظر نظام الملك وحرصه على مصلحه البلاد وحمايتها من الاعداء ، كما يبدو جليا ان السلطان ملكشاه كان محدود التفكير قصير النظر وانه كان يضطر الى ان يرجع فى جميع اموره الى الوزير نظام الملك الذى اثبت بالفعل وعلى الدوام بانه كان يعمل على ضمان سلامه وأمن الدوله السلجوقيه ٠ ومقابل هذا كان السلطان ملكشاه محاطا بالكثيرين ممن يسرهم اثاره العداوه والفتنه بين السلطان والوزير ومن ضمن هؤلاء تركان خاتون زوجه السلطان ملكشاه وبعض المنافسين والحساد وفى مقدمتهم (تاج الملك) وزير تركان خاتون ، التى اخذت تحرض السلطان ضد نظام الملك لانه رفض مبايعه ابنها محمود وليا للعهد فقد كان يرى أن بركيارق الابن الاكبر للسلطان أقدر على تحمل المسئوليه وادارة شئون البلاد " فلما امتلأ سمع السلطان بانباء عثرات نظام الملك أرسل اليه رسولا زوده برساله فحواها : " هل انت شريكى فى الملك حتى تتصرف وفق ماتريد دون مشورتى ، وتنصب اولادك على الولايات وتقطعهم الاقطاعات وفق ماتشتهى ٠٠٠ ! سترى اننى سآمر بخلع العمامه عن رأسك ٠٠٠ " فثار نظام الملك قائلا : " ان الذى وضع التاج على رأسك هو الذى وضع العمامه على رأسى ٠٠٠ وكلاهما مرتبطان ولاينفصلان ونقل الحاضرون هذا الكلام وزادوا فيه فزاد غضب السلطان على نظام الملك "(١)

---

(١) الروانـدى ـ راحة الصدور ـ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، ابن الجوزى ـ المنتظم ـ ٦٦/٩ ـ ٦٧

وقد صادف بعد ذلك أن وصل اذن الخليفه العباسى الامام القائم بأمر الله مع الخلع صحبه عميد الدوله بن جهير وكان الب ارسلان قد بعث قبل ذلك يطلب من الخليفه الموافقه على جعل ولده ملكشاه ولى عهده فأذن الخليفه وسيرت الخلع مع عميد الدوله ، وامره ان يخطب ابنه السلطان الب ارسلان لولى العهد المقتدى بامر الله فلما حضر عند السلطان تمت الخطبه فأجيب الى ذلك وعقد النكاح ، وكان عميد الدوله الوكيل فى قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهه السلطان فى العقد (١).

وتتحدث المصادر عن حادثه اغتيال جمال الملك منصور بن الوزير نظام الملك فى رجب سنه ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م والتى جرى تدبيرها بموءامره اشرف عليها السلطان ملكشاه نفسه ولعل هذا يشير الى تناقض واضح بين السلطان والوزير ولعل التفصيلات الجزئيه تكشف عن طبيعه العلاقه بينهما . ويبدو من النصوص ان السلطان ملكشاه اتخذ لنفسه وصيفا مضحكا يدعى جعفرك وقد عرف عنه انه كان يحاكى او يقلد حركات وتصرفات وصوت نظام الملك الوزير متخذا من ذلك

---

(١) ابن الاثير — الكامل — ٨/ ١١١

مسخره يضحك بها السلطان • وقد بلغ ذلك جمال الدين بن منصور الابن الاكبر لنظام الملك الوزير وكان حينئذ واليا فى مدينه بلخ واعمالها فاغتاظ لذلك غيظا شديدا واستفضح اقدام جمفرك وجرأته على ابيه وصمم على قتله • وقد تصادف مرور السلطان والوزير باصبهان فاستغل جمال الملك الفرصه واسرع الى لقائهما مؤملا تنفيذ ماأزمع القيام به وقد استقبله اخواه فخر الملك ومؤيد الملك فاغلظ لهما القول معاتبا اياهما على اغضائهما على سخريه جمفرك يأبيهم ثم انصرف ليرتب امر قتله لكن السلطان استعان بعميد خراسان الذى اشار عليه بقتله والتخلص منه • وقد تم ذلك بالفعل فقد تم تدبير قتل جمال الملك على يد احد بسطاء الخدم القائمين على خدمته وبايماز من عميد خراسان • اما السلطان فقد قام شخصيا بابلاغ الوزير نظام الملك بوفاه ولده وعزاه وقال له: " انا ابنك وانت اولى من صبر واحتسب " (١)

اما عن علاقة دولة السلاجقه فى هذه الفترة بالخلافه العباسيه فيبدو انها قد اصابها الفتور بسبب تعنت وسوء معاملة عميد العراق ابى الفتح ابن ابى الليث للخليفه وسوء اخلاقه واستهتاره • وقد اضطر الخليفه المقتدى بأمر الله

---

(١) ن • م • س ص ١٣١ ، ابن العماد — دولة آل سلجوق — ص ٦٨

الى ان يرسل فى سنه ٤٧٥ هـ رسولا خاصا وهو الشيخ ابو اسحق الشيـــــرازى من قبله الى السلطان السلجوقى ملكشاه والوزير نظام الملك ليشكو عميد العـــراق المذكور.

ان الاستجابه السريعه التى بادر بها السلطان والوزير نظام الملك لمطالب الخليفه العباسى والاكرام الذى حضى به رسوله اليهما يعكسان اتجاها واضحـــا نحو الرغبه فى مواصلة العلاقة الطيبه مع الخلافه العباسيه . اذ تم عزل عميـــد الدوله بن جهير عن وزارة الخليفه ورفعت يده عن التدخل فى مصالح الحاشيه (١)

وهكذا جرى تحقيق رغبات الخليفه دون ابطاء ثم جاء رسول من السلطـــان ملكشاه ونظام الملك الى الخليفه يحمل طلبا منهما بأن يأذن الخليفه بارســـال بنى جهير فأذن لهم بذلك حيث ساروا بجميع اهلهم ونسائهم الى السلطان — فصادفوا منه ومن نظام الملك الاكرام والاحترام وعقد السلطان لفخر الدوله بن جهير على ديار بكر وخلع عليه واعطاه الكوسات وسير معه العساكر (٢).

---

(١) ابى الفدا — المختصر — ١٩٤/٢ ، ابن خلدون — العبر — المجلـــد الخامس ص ١٢

(٢) ابن الاثير — الكامل — ١٣٣/٨

وذلك يدل على سياسه واعيه وبعد نظر اكيد اذ أثبت تقاليد السلاجقه بعدم التخلى عن اعوانهم .

ثم دار الصراع على حلب بين سليمان بن قتلمش صاحب الروم وتاج الدولة تتش فانكسر جيش سليمان واستمر يقاتل حتى قتل ، ثم اخذ تتش حلب ، ولما علم السلطان ملكشاه بذلك قدم اليها بجيشه من اصبهان فهرب اخوه تتش عنها وتسلمها السلطان ثم سلمها الى نائبه قسيم الدولة آقسنقر جد نور الدين فعمرها وأحسن السيره (١) .

وهذا يدل على ان الوزير نظام الملك رافق السلطان ملكشاه فى غزوه ببلاد الروم وانهما قد تمكنا من فتح عدة مناطق من ديار بكر وربيعه والجزيره كما فتحوا حلب ومنبج ثم عادا الى خراسان وما وراء النهر .

" وجرت اموره على السداد نافذه اموره فى اقطار الارض اليه يرجع الناس بأمورهم وهو الحاكم لا كلمه لغيره " (٢)

---

(١) الذهبى — دول الاسلام — ٢/ ٩

(٢) السبكى — طبقات الشافعيه — ٣/ ١٣٦ — ١٣٧

زار السلطان ملكشاه عاصمه الخلافه الاسلاميه ببغداد ، بعد تحقيق انتصاراته ، وقد نزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبه ولعب بالصولجان والكره ثم عمل على تحسين علاقته فأرسل هدايا كثيره الى الخليفه ثم قام السلطان ونظام الملك بزياره مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف الكرخى واحمد بن حنبل وابى حنيفه صاحب المذهب وغيرها من المشاهد المعروفه . (١)

دخل السلطان ملكشاه بغداد للمره الاولى فى ذى الحجه ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وفى محرم من سنه ٤٨٠ هـ/١٠٨٧م استدعى الخليفه السلطان الى " حضرته على لسان ظفر الخادم فبشر وجهه وسفر وعندما وصل الى السده الشريفه أمره الخليفه بالجلوس فامتنع . وتواضع حتى ارتفع ثم اقسم عليه حتى جلس . وزاد فى ايناسه فأنس .

ولم يزل نظام الملك يأتى بامير أمير الى تجاه السده ويقول للامير هذا امير المؤمنين . ليصفر بتقبيل الارض الجبين . ويقول للخليفه هذا فلان

---

(١) ابن الاثير — الكامل — ٨/١٤٣ ، السيوطى — تاريخ الخلفاء — ص ٤٢٤ — ٤٢٥

عسكره كذا وولايته كذا وكانوا فوق الاربعين وكان فيهم آيتكين خال السلطان ٠ فانه استقبل القبله وصلى ركعتين ومسح وجهه للتبرك بأركان الدار من الجانبين ٠

وعاد السلطان وعليه الخلع السبع والطوق والسواد ٠ وقد ظهرت عليه من آثار الجلا له الانوار ٠ فمثل بين يدى السده الشريفه وقبل الارض مرات وأمر الخليفه مختصا خادمه فقلده بسيفين " ٠ وأما النوبه الثانيه من دخوله الى بغداد فانه دخلها اليها فى الثامن والعشرين من شهر رمضان سنه ٤٨٤ هـ ومعه نظام الملك وتاج الملك واكابر مملكه وارباب دولته ٠ (١)

وقد أقام نظام الملك فى بغداد فتره خرج خلالها فى رحلات كثيره للصيد والقنص كما تفقد مايحتاج الى التعمير من المساجد وملحقاتها (٢) ٠

وأما النوبه الثالثه فانه دخلها فى الرابع والعشرين من شهر رمضان سنه ٤٨٥هـ بعد قتله نظام الملك ومعه تاج الملك وكانت وفاته بها فى شوال (الاصفهانى دوله آل سلجوق ـ ص ٧٣ ـ ٧٤) ٠

(١) الاصفهانى ـ تاريخ دولة آل سلجوق ـ ص ٧٣ ـ ٧٤ ٠

(٢) مثل مناره القرون : هذه المنارة بطريق مكة بناها السلطان ملكشاه ولاتزال باقيه الى الآن ٠

خلع الخليفه على السلطان خلع السلطنه كما خلع على أمرائه ، ورد الى أصبهان ، ثم زوج أخته زليخا بمحمد بن صاحب الموصل شرف الدوله العقيلى ، وولاه حران والرحبه والرقه وسروج (١) .

ويبدو ان الدور الذى لعبه نظام الملك فى تحسين العلاقه وتوثيق الصلات بين الخليفه من جهة وبين السلطان وامرائه من جهة اخرى قد عززت مكانته فى السلطنه واعطته الفرصه المواتيه للتخلص من خصومه ، وقد جعل من سمايه أحدهم وهو ابو المحاسن بن أبى الرضا عبره لغيره .. لقد حاول ابو المحاسن هذا أن يوغر صدر السلطان على نظام الملك وأفهمه ان الوزير وأصحابه يأكلون الاموال ويقتطعون الاعمال فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما وأقام عليه مماليكه وهم ألوف من الاتراك وأقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم فلما حضر السلطان قال له : " اننى قد خدمتك وخدمت أباك وجدك ولى حق خدمه وقد بلغك اخذى لعشر أموالك وصدقت هذا انا آخذه وأحرفه الى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك وأحرفه ايضا الى الصدقات والصلات والوقوف التى أعظم ذكرها

---

(١) الذهبى — دول الاسلام — ٩/٢

وشكرها وأجرها لك وأموالى وجميع ما أملكه بين يديك وأنا أقنع بمرقعه وزاويه فأمر السلطان بالقاء القبض على أبى المحاسن وقتله . (١) وفى عام ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م وصلت علاقه السلاجقه بالخليفه العباسى الى أوجها نتيجه جهود الوزير نظام الملك فقد تزوج الخليفه المقتدى من ابنه السلطان ملكشاه بتدبير الوزير الذى رافقها الى حفله زفافها فى بغداد ذلك الحفل الذى وصفه ابن الاثير بانه لم تشهد بغداد له مثيلا من قبل (٢) .

ويبدو أن طبيعه اوضاع الدولة وعلاقتها مع جيرانها من جهه ، ورغبه السلطان فى الظهور بمظهر الحريص على مصلحه الامه ووحدتها من جهه قد ألزمت السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك الى تجهيز حمله عسكريه الى بلاد ما وراء النهر من أجل ان تستعيد الدوله سيادتها ومكانتها هناك ، وقد كان صاحب سمرقند — وهو ابن أخ تركان خاتون زوجه السلطان — والمدعو احمد خان بن خضر خان قد أساء السيره والسياسه فعمد الى الظلم واكثر من مصادرة اموال الرعيه لاتفه الاسباب بل انه كان يفتعل الاسباب من اجل ذلك ، وقد استغاث سكان سمرقند

---

(١) ابن الاثير — الكامل — ٨/١٣٣ — ١٣٤

(٢) ن . م . س ص ١٤٥

بالسلطان يسألونه القدوم اليهم وانقاذهم مما هم فيه من البلاء والمحنه كما أن الفقيه الشافعى ابوطاهر ابن ملك الذى كان رسول السلطان الى ملك الروم والمسؤول عن حفظ الجزيه المقرره عليه قد حضر عند السلطان ملكشاه شاكيا وكان يخاف من احمد خان لكثره مالديه من أموال كان يخشى مصادرتها فاظهر السفر للتجاره والحج واجتمع بالسلطان وشكا اليه الحال • وقد صحبه نظام الملك مع الحمله الى بلاد ماوراء النهر ليحضر اعاده فتح تلك البلاد غير أنه بعد أن وصل الى كاشغر اذن له فى العوده الى بلاده وقال " احب أن يذكر عنا فى التواريخ ان ملك الروم حمل الجزيه واوصلها الى باب كاشغر " لينهى الى صاحبه سعه ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعه وهذا يدل على همه عاليه وبعد نظر شديد •

لقد جمع السلطان القوات العسكريه الاضافيه وهو فى طريقه الى خراسان وبعد أن عبر النهر واستولى على بخارى توجه الى سمرقند التى تمكن من الاستيلاء عليها بعد أن تعرض لكثير من الصعوبات • وقد اكرم السلطان ملكشاه احمد خان المذكور ، ولعل ذلك بسبب قرابته من زوجته تركان فقد أرسله الى اصبهان ومعه من يحفظه وعين على سمرقند الامير العميد أباطاهر عميد خوارزم ، ثم سار السلطان قاصدا كاشغر فأرسل الى ملكها يأمره باقامه الخطبه

وضرب السكه باسمه ويتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عنـــد السلطان فاكرمه وعظمه واعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان (١).

وفي ربيع الاول من عام ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١م تم عزل الوزير ابو شجاع مـــن وزاره الخليفه بناء على طلب السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك — وتذكر المصـادر عند توضيحها اسباب عزله ان يهوديا يقال له ابوسعد بن سمحا كان وكيـــلا للسلطان وللوزير نظام الملك في بغداد وانه قد لقيه بائع حصر في السوق صفعـه وأهانه فأخذ الرجل وحمل الى الديوان وسئل عن السبب في فعله فقال هـــو وضعني على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودي الى العسكر يشكيـــان وكانا متفقين على تحميل الوزير ابي شجاع مسئوليه هذا الاعتداء . ويبدو أن الوزير قد نجح في استصدار أمر من الخليفه بخصوص معامله خاصه لاهل الذمه فقد خرج توقيع الخليفة المقتدي بأمر الله " بالزام أهل الذمة بالغيار ولبس ما شوط عليهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه " وازاء ذلك فقد هرب قسم من أهـــل الذمه في حين أسلم البعض الآخر وقد تأزمت الامور بين سلطنه السلاجقه ووزير الخليفه فلقد وصل مسامع اسلطان السلجوقي ووزيره نظام الملك بأن أبا شجاع الوزيـــر

---

(١) ابن الاثير — الكامل — ٨/ ١٤٨ — ١٤٩

يتخذ منهم موقفا عدائيا فى مجلس الخليفه فهو دائما ينتقص اعمالهم ويكسر اغراضهم حتى انه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال " ماهذا ممايبشر به كأنه قد فتح بلاد الروم هل أتى الا الى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم مالايستباح من المشركين " فلما وصل كوهرائين وابن سمحا الى معسكر السلطان ملكشاه وشكيا من الوزير الى السلطان ووزيره نظام الملك واخبراهما بجميع مايقول وزير الخليفه عنهما ويكسر من اغراضهما ارسلا الى الخليفة فى عزله فعزله وامره بلزوم بيته .

ويبدو أن الخليفه لم يرغب فى احلال التناقض مع سياسه السلاجقه ولعله اراد تطمين السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك الى أنه مصمم على سلوك سياسه متعاونه ولذلك فقد كتب اليهما طلبا استدعى فيه عميد الدوله بن جهير ليستوزره لمايعرفه من انهما يميلان اليه ورغم علاقاته السيئه معه فيما مضى فسير اليه فاستوزره فى ذى الحجه من هذه السنه وركب اليه نظام الملك فهنأه بالوزاره (١) .

ولماعزل استنيب فى الوزاره ابو سعد بن الموصلايا كاتب الانشاء .

(١) ابن الاثير — الكامل — ١٥٤/٨

وعند دخوله الى بغداد للمره الثانيه وصل اليه اخوه تتش من دمشق واقسنقر من حلب ووصل اليه غيرهما من زعماء الاطراف وعمل الميلاد ببغداد واحتفل له الناس احتفالا عظيما واكثر الشعراء من وصف تلك الليله ، كما امر ملكشاه بعمل الجامع المعروف بجامع السلطان ببغداد (١).

ومما تذكره المصادر عن علاقه ملكشاه بوزيره ومدى ثقته فيه ماذكره عبد السميع بن داود العباسي عن مشاهدته لحادثه عرضت لملكشاه مع اثنين من فلاحي قرى الحدادیه من ارض العراق السفلى يعرفان بابنى غزال اذ لقياه واستوقفاه فوقف لهما ، فقالا ان مقطعنا الامير خمارتكين قد صادرنا بألف وستمائه دينار وقد كسر ثنتى احدنا واراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فان اخذت بحقنا كما اوجب الله عليك والا فالله يحكم بيننا قال فرأيت السلطان قد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمى واسحبانى الى خواجه حسن يعنى نظام الملك فامتنعا من ذلك واعتذرا فأقسم عليهما الا فعلا فاخذ كل واحد منهما بكم من كميه ومشى معهما الى نظام الملك فبلغه الخبر فخرج مسرعا فلقيه قبل الارض

---

(١) ابو الفدا - المختصر - ٢/ ٢٠١ - ٢٠٢ ، السيوطى - تاريخ الخلفاء - ص ٤٢٥ - ٤٢٦

وقال ياسلطان العالم ماحملك على هذا فقال كيف يكون حالى غدا عند الله اذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الامر لتكفينى مثل هذا الموقف فان نال الرعيه أذى فأنت المطالب فانظر لى ولنفسك ، فقبل الارض ومشى فى خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل الامير خمارتكين عن اقطاعه ورد المال عليهما واعطاهما مائه دينار من عنده وامرهما باثبات البينه أنه قلع ثنيتيه ليقلع ثنيتيه عوضهما فرضيا وانصرفا (١) .

والواقع ان نظام الملك خلال المده الطويله التى عمل خلالها وزيرا لاثنين من اشهر سلاطين السلاجقه وهما الب أرسلان ، وملكشاه ، قد قام بالكثير من جلائل الاعمال .. ففى خلال العشرون عاما التى وزر فيها لملكشاه حكم خلالها حكما تفويضيا وامسك جميع مقاليد الامور بيده .

ويختلف نظام الوزاره فى عهد نظام الملك عنه عند العباسيين . وان كانت الملامح العامه لمنصب الوزير تكاد تكون متشابهه ، فالوزير فى العهد السلجوقى

---

(١) ابن الاثير - الكامل - ٨/١٦٣ - ١٦٤ ، ابو الفدا - المختصر - ٢/٢٠٢ - ٢٠٣

كان يساعد السلطان فى تحمل اعباء الحكم ويقدم له النصح والمشوره ، كما كانت له سلطات واسعه تذكرنا بوزاره التفويض اذ انه كان يشرف على جميع الدواوين فى الدوله السلجوقيه (١) . وكان الوزير يختار من الشخصيات المعروفه بالعداله والعلم ومكارم الاخلاق ممن يعرفون قواعد الحكم المعمول به فى الاداره السلجوقيه وممن كان لهم اطلاع على تاريخ الملوك واخبارهم وسيرهم ، غير أن الوزير السلجوقى كان فى هذه المرحله اكبر قوه ونفوذا من الوزير العباسى المعاصر له ولعل ذلك يعود الى جمله أسباب منها شخصيه نظام الملك وسعه اطلاعه وتجاربه وطول حكمه الذى اكسبه حنكه ودرايه اضافه الى أن طبيعه العلاقه بين السلاجقه والعاصمه العباسيه تحتمل مثل هذا الاختلاف . ولقد تطور الامر فى اواخر عهد الوزير نظام الملك الى درجه اصبح فيها الوزير السلجوقى يتدخل بشكل مباشر فى حريه الخليفه العباسى فى اختيار وزيره ففى سنه ٤٨٤ هـ طلب الوزير نظام الملك من السلطان الكتابه الى الخليفه بعزل الوزير ابى شجاع وقد نفذ الخليفه هذا الطلب فعزل ابى شجاع واستوزر عميد الدوله ابن جهير . وعندما

---

(١) السمرقندى — جهار مقاله — ص ٢٣

عزل الخليفة وزيره الأخير عن الوزارة بعد فترة من الزمن تدخل نظام الملك لاعادة ابن جهير الى الوزارة فاستوزره الخليفة المقتدى ومنحه سلطات واسعة ولعل علاقة المصاهرة بين ابن جهير هذا الوزير نظام الملك هى السبب فى مثل هذا التدخل اذ كان عميد الدولة محمد بن جهير قد تزوج صفية بنت الوزير نظام الملك (١) .

وفى ذلك نظم الشاعر المعروف بابن الهبارية قسيدته التى قال فى مطلعها :

قل للوزير ولا ترهبك هيبته ... وان تجبر واستعلى بمرتبة

لولا صفيه ماستوزرت ثانية ... فاشكر ... صوت مولانا الوزير به

ولعل من المناسب أن نشير هنا الى التأثيرات السلجوقية العامة فى الوزراة العباسية والتى توضحت بشكل بارز فى خلال حكم الوزير السلجوقى نظام الملك اذ أخذ الوزراء العباسيون يلقبون بألقاب جديدة تسبق أسمائهم تفيد التفخيم والمنزلة العالية خلافا لما جرى خلال العصور العباسية السابقة اذ لم يكن الوزراء العباسيون قد ألفوا هذه الظاهرة من قبل وباستثناء " وزير آل محمد "

---

(١) ابن الجوزى — المنتظم — ٩/٥٦ .
وأنظر الفخرى : الآداب السلطانية والدول الاسلامية — ص ٢١٨ .

ابو سلمه الخلال وذى الرياستين الفضل بن سهل فان جميع الوزراء العباسيين منذ بدء الخلافه العباسيه وحتى عصر نظام الملك السلجوقى كانوا يعرفون باسمائهم دون أيه القاب . والملاحظ هنا اننا نجد القابا كثيره بدأت بالظهور فقد تلقب الوزير العباسى محمد بن محمد بن جهير وزير المقتدى وصهر الوزير نظام الملك بلقب " فخر الدوله " (١) كما شاعت بعده القابا اخرى مثل " ابو المعالى " و " جلال الدين " و " سيد الوزراء " و " صدر الشرق والغرب " و " مؤتمن الدوله " وكذلك " عون الدين " والمرجح ان ذلك قد حصل نتيجه التأثيرات السلجوقيه . (٢)

اما عن راتب الوزير السلجوقى فقد رجحت البروفسوره لامبتن بانه كان يخصص له راتبا يعادل عشر مايرد خزانة الدوله السلجوقيه من ايراد الاقطاعات (٣)

فمن الناحية الثقافيه بنى المدارس التى نسبت اليه فسميت المدارس

---

(١) الفخرى - ص ٢١٨

(٢) الفخرى - ص ص ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ .

3) Lambton, Landlord and peasant in persia, P.4.

النظاميه وتعد هذه المدارس من اهم مدارس أهل السنه فى عهد السلاجقه وقد كانت بدورها دافعا لايجاد غيرها من المدارس فى البلاد الاسلاميه (١).

وانتشرت المدارس فى مدن كثيره اهمها بغداد وخراسان.

وقد اشار ابن النظام فى كتابه (العراضه فى الحكايه السلجوقيه) الى أن نظام الملك أسس فى كل موضع من البلاد " مدارس ذات مستوى رفيع للشريف والوضيع " ، وخصص لطلاب العلم وظائف مرتبه ، وانعامات مقرره " (٢)

وقد قام نظام الملك بهذه الخطوه تشجيعا منه لطلاب العلم لمواصلة دراستهم وبالتالى نشر العلم فى جميع اجزاء البلاد والمناطق التى امتدت اليها سلطه السلاجقه. وساعد على هذا أن نظام الملك نفسه كان على درجه كبيره من العلم والثقافه استهدف من انشاء هذه المدارس نشر المذهب السنى ومحاربه

---

(١) د. احمد كمال الدين حلمى — السلاجقه فى التاريخ والحضاره — ص ٣٧٤ — ٣٧٥

(٢) ابن النظام — العراضه — ص ٥٧ — ٥٨ وانظر د. حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام — ٣١/٤

الشيعه الاسماعيليه هذه الفرقة التى ظهرت على مسرح الاحداث ، وأصبحت مصدر خطر كبير يهدد السلاجقه ، وقد نجح الاسماعيليون فى نشر دعوتهم فى أنحاء متفرقه من ايران وما وراء النهر وقد أخذت قوتهم تتلا شى لكنها عاودت الظهور فى عهد السلطان ملكشاه وكانت على يد قائد الحركه حسن الصباح الذى تمكن من الاستيلاء على قلعه " الموت " التى اصبحت مقرا له ولاتباعه ونقطه انطلاق نحو تحقيق أهدافه حيث نظم فرق الحشاشين التى كانت تسعى دائما للقضاء على كل من يحاول وضع العراقيل والعقبات فى طريقها وانتشر الحشاشون فى مختلف الاقطار الاسلاميه يبثون الرعب والفزع فى أرجاء العالم الاسلامى عن طريق اغتيال الخلفاء والسلاطين والوزراء ومن ابرز الاعمال التى قامت بها المنظمه فى عهد السلطان ملكشاه هو تمكن واحد من اتباعها من اغتيال نظام الملك سنه ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢م (١) .

وبالاضافه لكل ماذكرنا فان نظام الملك كان لديه مقدره فائقه على ممارسه

---

(١) د . احمد كمال الدين حلمى — السلاجقه فى التاريخ والحضاره — ص٤١—٤٢

الكتابه والاشتغال بالعلم نظرا لثقافته الواسعه . وشاهدنا على ذلك كتابه " ساسة نامه " الذى خلفه وراءه .. فهو مؤلف على درجه كبيره من الأهميه من النواحى الادبيه والاجتماعيه والسياسيه ، وقد ضمنه الاسس التى يبنى عليها الملك وتساس الرعيه (١) .

ويذكر رايس فى كتابه — السلاجقه تاريخهم وحضارتهم أن من أهم مؤلفاته هو رسالته فى الحكم (كتاب سياست نامه) التى أنشأها ليساعد تلميذه (ملكشاه) فيما بعد فى الحكم . وقد مزج فيه النصائح العمليه مع الملاحظات العميقه فى طبيعه الدوله (٢) .

.. .. ..

(١) ن . م . س . ص ٤٤ .
(٢) تامارا تالبوت رايس — السلاجقه تاريخهم وحضارتهم — ص ١٤٥ — ١٤٦

الفصل الثالث

تنظيماته

تنظيمات نظام الملك السياسيه :

١ــ تنظيماته السياسيه (العلاقه بين السلاجقه والعباسيين)

كان نظام الملك يعمل دائما على تحسين العلاقه بين سلاطين السلاجقه والخلافه العباسيه وارسائها على قواعد راسخه ايمانا منه بمكانه الخلافه وشرعيتها . كما أنه ادرك بأن المصلحه المشتركه والعدو المشترك يوحد بينهما ويجعل مصيرهما واحدا فى مواجهه الخطر المشترك الذى كان ينبغى التنسيق والتعاون المستمر المخلص بينهما من أجل القضاء عليه ، ولعل ما حصل من تطور فى معاملة السلطان لنظام الملك كان بسبب احساسه بمكانته ونتيجه لتقربه من الخلفاء العباسيين . أما من جهته ، فلم يكن تعظيم نظام الملك للخلافه أمرا طارئا أو مفتعلا أو ناجما عن مصلحه خاصه به كما يبدو لاول وهله ، وان كان قد تحقق له ذلك ــ وكثيرا ماكان الخليفه يقول له : " لقد رضى الله عنك برضى أمير المؤمنين عنك " وكنتيجة لهذه الدراسة يمكن القول بأن السبب الرئيسى والفعال هنا هو ايمان الوزير الذى لا يتزعزع بشرعية الخلافة وسلطتها (١) وأهميتها وضرورة الاسهام فى الدفاع عنها وعن مبادئها ازاء الاخطار التى تواجهها

(١) السبكى ــ طبقات الشافعيه ــ ٣/ ١٤١ ــ ١٤٢

وتتحدث المراجع عن هذه العلاقه بما يعكس الرأى القائل بأن تقـــرب الوزير من الخليفه العباسى يعد من محاسنه وفضائله (١) .

حيث فسر اجلا له وكبير احترامه للخلفاء العباسيين تفسيرا يعكس ايمانـــه بأحقيه الولاء للخلافه على أى ولاء آخر . كما يعكس مدى الولاء الروحى الـــذى كان يربط السلاجقه بالعباسيين والذى كان ينجم عنه على الدوام زياده فى توثيـق تلك الروابط . والواقع أن العلاقه كانت حسنه للغايه بين نظام الملك والخلفـاء العباسيين وتتحدث المصادر عن دخول الوزير السلجوقى على أمير المؤمنيـــن الخليفه المقتدى بالله العباسى حيث أذن له بالجلوس بين يديه وقال لـــه : يا حسن رضى الله عنك برضا أمير المؤمنين عنك (٢) .

ويذكر ابن خلدون أنه عند دخول السلطان ملكشاه الى بغداد ، نـــزل

---

(١) ن . م . س

(٢) ابن الجوزى — المنتظم — ٩/٦٤ — ٦٥ ، ابن كثير — البدايه والنهايه ج ١١/١٢ ص ١٤٠ — ١٤١

وأنظر : ابن خلكان — وفيات الأعيان ٢/١٢٨ ، ابن العماد — شذرات الذهب ٣/٣٧٤ .

بدار المملكه ، وأهدى للخليفه هدايا كثيره . واجتمع بالخليفه ليلا . ثم دخل اليه فى مجلسه نهارا وأفيضت عليه الخلع . وسلم الامراء السلاجقه على الخليفه ، ونظام الملك قائم يقدمهم واحدا واحدا ، ويعرف بهم ، " ثم صرح الخليفه المقتدى بالله للسلطان ملكشاه بالتفويض ، وأوصاه بالعدل فقبل يده ووضعها على عينيه " (١) ، كما خلع على نظام الملك .

هذا يعكس مدى رسوخ وعمق الروابط التى كانت تربط السلاجقه بالخلافة العباسية كما توضح دور الوزير السلجوقى نظام الملك فى المحافظة على استمرارها والحيلوله دون حدوث مايعكر صفوها ، خاصه وان الرابطه الدينيه التى كانت ولاتزال أقوى الروابط المؤثره فى العلاقات البشريه ، هى العامل المشترك بين الطرفين .

---

(١) ابن خلدون — العبر وديوان المبتدأ والخبر — القسم الاول — المجلد الخامس — ص ١٨

٢ـ تنظيماته الاداريـــه :

ذكرت كثير من المصادر التى أرخت للعصر السلجوقى بأن اداره الدولـــه قد وكلت الى نظام الملك حيث انه قد فوض صلاحيات مظلقه فى عهد السلطـــان ملكشاه ، ذكر العماد الاصفهانى فى ـ تاريخ دوله آل سلجوق ـ فى حديثـــه عن اجراءات الوزير نظام الملك " بأنه قد قسم الملك الذى حازه السيف بقلمـــه أحسن تقسيم . وقومه أحسن تقويم . وكان ينظر فى الاوقاف والمصالح ويرتـــب عليها الامناء ويشدد فى أمرها ، ويخوف من وزرها ، ويرغب فى أجرها ، ويكلها الى الأمناء ، ولايدعها مأكله للخونه ، ووظف على ملوك الاطراف وعلى أقاليـــم الممالك والامصار حمولا لخزانه السلطان يحملونها ، وخدما عن عمه ولايهتـــم بوصولها . وقرر منهم الحضور الى الخدمه وموالات الخدمات للحضره والوصـــول بالعساكر الجمه . حتى ملاء الخزائن بالذخائر . والملاء بالعساكر . ونشـــأ له أولاد كبروا فى دولته فأوطأ عقبهم وأعلى رتبهم " . (١)

---

(١) عماد الدين الاصفهانى ـ تاريخ دوله آل سلجوق ـ ص ٥٥ ـ ٥٦

من هذا النص ندرك أن نظام الملك قد قام بتنظيم امور الدوله بشكل دقيق ورصين وأنه كان يولى جميع مصالح الدوله كثيرا من رعايته واهتمامه اضافه الى أنه كان حريصا على ان يختار للمناصب العامه الاشخاص الامناء المخلصين القادرين على تحمل المسئوليه . وفى نفس الوقت الذى كان يدرك عظم المسئوليه الملقاة على عاتق العاملين ، كان يضاعف الاجر حرصا منه على ضمان سير العمل فى أجهزه الدوله ومؤسساتها وتشجيعا للعاملين فيها على مداومه نشاطهم .

كان لايترك شئون الدوله بأيدى اولئك الذين لايقدرون المسئوليه ، كما اولى التشكيلات العسكريه اهتماما كبيرا وأكد على ضروره مواظبه الجند على آداء عملهم على أفضل وجه .

أضف الى ماتقدم الناحيه الاداريه والتنظيميه ، فقد عهد كل من السلطان (الب ارسلان) والسلطان (ملكشاه) بأمر تنظيم الاداره العسكريه فى الدوله الى الوزير (نظام الملك) الذى قام بتقسيم المملكه الى أربعه وعشرين منطقه عسكريه راعى فيها الروابط والعلاقات القبليه التى كانت فعاله فى ترابط الافراد والتزامهم باطاعه رئيس القبيله واضعا كل قسم من هذه الاقسام تحت امره قائد يتدرج بحسب أهميه ومكانته من لقب " جاد الغز) الى

(شاه الفرس) أو (خان المغول) .

وقد عهد الى هؤلاء القواد بأمر زياده عدد المجندين سنويا وتجهيزهم بالاسلحه ويجتمع المجندون القدامى والجدد فى كل ربيع أمام (مولاهم) فى بقعه يقررها القواد وفق اوامر تصدر باسم السلطان ويقضى المجندون أشهر الصيف فى التدريب أو الغزو ، أما فى الشتاء حيث يكون الجو غير ملائم للقتال فانهم يتفرقون فى اجازتهم (١) .

أما منصب الاتابك فقد قام على أكتاف النظام الاقطاعى الذى يعد اساس الملكيه فى عهد السلاجقه ، والذى كان من نتائجه ظهور نظام الاتابكيات . والاتابكية اماره يقطعها السلطان السلجوقى لاحد خواصه المقربين ومعظمهم من مماليك السلاجقه وكان السلاجقه يربون هؤلاء المماليك فى قصورهم ويقلدونهم المناصب ، ويلحقونهم بالجيش ويمنحونهم أرفع الرتب .. ويجعلون لهم الرياسه فى البلاط .

---

(١) تامارا تالبوت رايس — السلاجقه تاريخهم وحضارتهم — ص ٩٦ — ٩٧

ومن اشهر الاتابكيات واخطرها فى العصر السلجوقى : اتابكيه الموصل ، أتابكيه دمشق ، اتابكيه آذربيجان ، اتابكيه ارمينيه ، اتابكيه الجزيره .

وبمرور الوقت قوى نفوذ الاتابكه وابتعدوا عن الاداره السلجوقيه المركزية ، وتوسعوا على حساب الامارات المجاوره لهم ، وتدخلوا فى النزاع بين الملـــوك والسلاطين ، وكانوا بمثابة اوصياء على العرش .. واتخذوا لانفسهم ألقابـــا خاصه (١) . شملت دولة السلاجقه — فى اوج قوتها — أقاليم عديـــدة ، أشهرها خراسان ، وماوراء النهر ، وست وعراق سجستان وكرمان وهمذان وأبهر وزنجان . وآذربيجان والرى واصفهان وفارس والجزيره وبلاد الشام وآسيه الصغرى وكان لايقتصر عمل السلطان العظيم فى الادارة على تعيين الحاكم بل انه يعيـــن عددا كبيرا من موظفى الاقاليم الاساسيين كالمستوفى ، والعارض ، والمشـــرف والشحنه والعميد والاتابك أما عمال الاقسام الفرعيه وكتاب الدواوين المحليـــه فلعل تعيينهم يعود الى الحكام الاقليميين . وهؤلاء يقومون بتعيين عدد كبير من الموظفين لمساعدتهم وكان حاكم الاقليم ومابتبعه من الجند تحت تصرف السلطان

---

(١) د. احمد كمال الدين حلمى — السلاجقه فى التاريخ والحضاره ص ٢١٤

فى اى وقت يشاء ، فكانت الدوله متماسكه قويه ، وظل هذا الوضع حتى نهايه عهد ملكشاه ، اذ تغير الوضع بعد وفاه الوزير نظام الملك وبعد السلطان ملك شاه اذ ضعفت السلطنه ، وانعدمت الوحده والانسجام بين اجزاء الدوله ، وصار حاكم كل اقليم يتمتع باستقلال كبير فى تصريف شئون اقليمه وفق مايجتهد انه يحقق مصلحته .

على ان هذا النظام الادارى الذى ساد فى عهد تأسيس الدوله السلجوقيه قد ساعد كثيرا على ابراز اهميه المدن والثغور .(١)

وذكر القزوينى ان بعض المفسدين قال للسلطان ملكشاه : "ان فى مميتك أربعمائه ألف فارس ، وأمر المملكه يتمشى بسبعين ألفا ، فان سبعين الفا لم يغلبوا من القله ، فلو اسقطتهم امتلأت الخزانه من المال ." (٢)

ويبدو أن السلطان قد استجاب لهذا الرأى وعزم على تنفيذ المشوره ،

---

(١) د . عبد النعيم محمد حسنين — دوله السلاجقه ص ١٤٤ — ١٤٥

(٢) القزوينى — آثار البلاد وأخبار العباد — ص ٤١٢ — ٤١٣

الا أن الوزير نظام الملك ادان هذا العمل وحذر السلطان من مغبه اتباعـــه فقال : " هذا قول من أراد اثاره الفتنه وفساد المملكه ! ان ملكك خراسان وما وراء النهر الى كاشغر وبلاد غور وخوارزم واللان واران وآذربيجان ، والجبال والعراق وفارس وكرمان والشام وارمن وانطاكيه ، وانها تبقى محفوظه بهـــذه العساكر ، ولم يذكر ان دوله الخلفاء العظام والملوك قد خلت من خروج خارجى وظهور مخالف ، وهذه الدوله المباركه بسعاده السلطان سلمت عنه الكدورات ، فلوكانت العساكر ثمانمائه ألف لكانت السند والهند والصين ومصر والبربر والحبشه والروم أيضا فى طاعتنا . " (١)

وأضاف قائلا " ثم ان السلطان ان اثبت سبعين الفا واسقط ثلاثمائـــه وثلاثين ألفا ، فالساقطون ليسوا اصحاب حرف يشتغلون بصنعتهم ، يجتمعـــون على يد واحدة ، ويدخلون تحت طاعته ، فنشأ من ذلك فساد عظيم ويكـــون الخصم فى ثلاثمائه وثلاثين الفا ونحن فى سبعين الفا ، فتمشى الاموال وتهلـك ويكون ذلك نتيجه نصيحه هذا الناصح الذى ينصح بجمع الاموال وتفريق الرجال " (٢)

---

(١) ن . م . س

(٢) ن . م . س

من النقاش الذى دار بين السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك حول مسألة تقليص عدد الجنود اللازم لحمايه الدوله ، ينعكس عن ذلك تعداد الجند فى الدوله وان عددا كبيرا منهم ليس لهم حرفه الا القتال والحرب • وان وجهة السلطان هى تقليص النفقات عن طريق تقليص عدد الافراد ، فى حين ان نظام الملك كان يرغب فى استتباب الامن وارهاب الاعداء واشغال الجند بالتدريبات اضافه الى أن ذلك يعكس مدى اهتمام نظام الملك بالناحيتين الاداريه والعسكريه اذ أن اتساع حدود الدولة السلجوقيه كان يتطلب على الدوام اعداد الجند بشكل جيد والتهيؤ والتعبئة المستمره •

٣ — تنظيماته الاقتصادية :

كان الوزير نظام الملك يقوم بالاشراف شخصيا على مايتعلق بدولة السلاجقه من شئون عسكريه وسياسية وادارية بالاضافة الى الناحية الاقتصادية التى اولاها كثيرا من اهتمامه ورعايته ففى ايامه اسقط كثيرا من المكوس والضرائب (١) استكمالا لسياسته الرامية الى عدم صرف الاموال بدون وجه حق .

وكان بعض اقرباء السلطان ملكشاه يستغلون هذه القرابه ليحصلوا على المزيد من الاموال حتى ولو كان ذلك على حساب عامة الناس وفى هذا يقول الاصفهانى كان للسلطان نسباء يدلون بنسبة . ويدلون بسببه . ويستطيلون بانهم ذوو قرابته فقصر ايديهم . ومنع تعديهم . وساس جمهورهم بتدبيره ونظم امورهم بسياسته . وربما قرر لواحد من الجند الف دينار فى السنه فوجه نصفه على بلد من الروم ونصفه على وجه فى اقصى خراسان وصاحب القرار راضى .

---

(١) ابن الأثير — الكامل فى التاريخ — ٨/ ١٦٢ — ١٦٣ ؛ ابن خلدون — كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر — القسم الاول — المجلد الخامس ص ٢٥ — ٢٦ ، د . حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام ٤/ ٣١ .

وليقينه بحصول ماله غير متقاض (١) وقد عمد نظام الملك الى تطبيق هـــذه السياسه حتى يوزع جهود الجند ويستفيد من طاقاتهم فى اكثر من ناحيـــه ، وأيضا حتى لايعمد الواحد منهم الى الاستقرار والاقامه فى مكان واحد وتظـــل المنطقه الاخرى مهمله لايستفاد منها . كما عمل نظام الملك على تعديل نظـــام الجبايه وذلك بواسطة التعديلات الجديده التى طرأت على التقويم السنوى فـــى عهد السلطان ملكشاه ، وكذلك عمل على المحافظة على الاموال وعدم تبذيرهـــا أو الاكثار من منحها للجند . وينبغى أن نشير الى أن الوزير وهو يباشر هـــذه الاصلاحات فانه لم يحقق فائدة ماديه خاصة به كما كان خصومه يشهرون بـــه بذلك بل انه جعل قسما كبيرا منها لارباب العلوم واصحاب الحقوق حقوقـــا لاتؤخر ورسوما لا تغير . وصير احسان السلطان بين أهل العلم ميراثـــا يأخذونه بقدر الفرائض . ويأمنون بها من النوائب والعوارض . فلا جرم تذللـــت له الصاعب . وتيسرت له المطالب . ودانت له المشارق والمغارب " (٢)

---

(١) عماد الدين الأصفهانى — دولة آل سلجوق — ص ٥٤ — ٥٥

(٢) ن . م . س ص ٥٥ — ٥٦

ومن الاجراءات الاقتصادية التى اتخذها نظام الملك ، أنه كان يكثر من انفاق الصدقات . فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه الأعيان والامراء من عسكر السلطان فعوفى وأرسل له الخليفه خلعا نفيسه " (١) وقد كان لتعديل التقويم الذى تم فى عهد السلطان ملكشاه أثر كبير على الناحية الاقتصادية فقد جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطه من الحمل ، وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار مافعله السلطان مبدأ التقاويم . كما عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامى وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم وخرج عليه من الاموال شىء عظيم وقى الرصد دائرا الى أن مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائه فبطل بعد موته (٢) .

يضاف الى ماسبق ان تقسيم الاقطاعات العسكريه يفرض استصلاح الاراضى

---

(١) ابن الأثير — الكامل فى التاريخ — حوادث سنه ٤٨٤ هـ ، ٨/١٥٩

(٢) ابن الأثير — الكامل فى التاريخ — حوادث سنه ٤٦٧ هـ ٨/١٢١

ونظام الملك هو أول من امر بتفريق الاقطاعات على الجند وذلك عندما اتسعت سلطانه فى عهد السلطان ملكشاه ، فقد رأى أن يسلم الى كل مقطع قريه أو اكثر أو أقل على قدر اقطاعه قال " فان فيه أنه اذا تسلمها وليس له غيرها عمرها واعتنى بها بخلاف ما اذا شمل الكل ديوان واحد فان الخرق يتسع ففعل ذلك فكان سبب عمارة البلاد وكثرة الغلات وتناقلته الملوك بعده واستمرت الى اليوم فى بلاد الاسلام " (١) وخلال وزارة نظام الملك للسلطان الب ارسلان ذكرت بعض المصادر ان السلطان قد دخل مدينة نيسابور ، فاجتاز على باب مسجد فرأى مجموعة من الفقهاء على باب ذلك المسجد وهم يرتدون ملابس رثه باليه ، لاقدموا خدمه للسلطان ولاقاموا بالدعاء له ، فسأل السلطان وزيره نظام الملك عن هؤلاء الفقهاء فقال : هؤلاء طلبة العلم لاحظ لهم من الدنيا ، ويدل زيهم وهيئتهم على سوء حالهم . فعند ذاك رق قلب السلطان لهم وأذن لوزيره أن يبنى لهم مدرسا ويجرى لهم رزقا ليتفرغوا للاشتغال بطلب العلم ، فأمر نظام الملك ببناء المدارس فى جميع انحاء البلاد ، كما أمر ان يصرف عشر مال السلطان الذى هو مختص بالوزير فى بناء المدارس (٢) .

---

(١) السبكى — طبقات الشافعيه — ٣/ ١٣٩

(٢) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد — ص ٤١٢ .

ومن خلال هذا النص ندرك أن راتب الوزير قد بلغ $\frac{1}{10}$ الايرادات العامه للدوله وأن له الحق فى التصرف بهذا المبلغ + كما يمكن ان نستنتج مدى تعاطف الوزير مع العلم والعلماء وسخائه فى بذل جميع وارداته مما خصص له من راتب الوزاره فى سبيل الله عن هذا الطريق ، اضافه الى الاحساس بأن لنظام الملك موارد رزق أخرى اضافه الى راتب الوزاره ٠

٤ - الاقطاع الحربي :

لقد قامت الملكيه فى العصر السلجوقى على أسس متعدده لعل من أبرزها النظام الاقطاعى الحربى ، فلقد كان النظام السلجوقى الداخلى او الذاتى هو نظام قبلى ، وزعماؤهم يعتبرون أنفسهم رؤساء او زعماء جماعتهم ، ويتفرع عن هذه النظرة مسأله الترابط بالموضع الذى تقيم فيه القبيله ، وحيث ان الفروع المختلفه من هذه القبيله كانت تحل وترتحل طبقا لما تمليه عليه مصالحها وتبعا للماء والكلاء ووراء المراعى التى تصلح لقطعانهم ، وعليه فانهم كانوا يرون بأن حكمهم يمتد الى حيث يرتحل قومهم ، ولم يكن ذلك مرتبطا بوطن خاص او حدود معلومه من الارض .

وقد تعرض الاهالى للمعاناة الشديده من جراء سوء تصرف عسكر ملكشاه الذين مدوا ايديهم الى اموال الرعيه والذين كانوا يرددون باستمرار بأن نظام الملك هو الذى يمنع السلطان من منحهم مايطلبون من اموال . وقد ذكر نظام الملك ذلك للسلطان وبين له مافى هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسه فأجابه السلطان : افعل فى هذا ماترى فيه مصلحه البلاد فقال له الوزير مايمكنى ان افعل الا بأمرك فقال السلطان : قد رددت الامور كلها كبيرها

وصفيرها اليك فأنت الوالد وحلف له وأقطعه اقطاعا زائدا على ماكان من جملتـــه طوس مدينه نظام الملك (١).

ويذكر الراوندى ان ملكشاه جاء بعد موت أبيه من خراسان الى العـــراق ، وطمع عمه " قاورد " فى الملك فتحرك بجيش جرار من كرمان قاصدا العـــراق أيضا ، ظانا ان سائر البلاد قد سلمت اليه ، وتلاقى الجيشان على بـــاب الكرج فدامت المعركه بينهما ثلاثه أيام بلياليها ، ثم انتهى الامر بهزيمـــه " قاورد " يقولون أن مبارزا من جيش قاورد تقدم الى صفوف عسكر ملكشاه طلبـــا للمبارزه فانبرى له فارس ونازله وضربه بسيفه ضربه اطاحت بنصفه الاعلى عن جسده ، فلما عاد جواده حاملا كفله وفخذيه ورأى قاورد ذلك قال : لم يعد لنا هنا مكان للثبات والوقوف ، وولى الادبار منهزما ، ثم وقع فى النهايه أسيرا ، ووقعـــت خزانته وخزائن اسلحته وآلاته وعدده ومتاعه وكراعه فى أيدى عسكر ملكشاه ، وكانت من الكثره بحيث لاتدخل فى حد أو عدد ولا يحصيها فهم أو وهم ولما عاد ملكشـــاه من هذه المعارك وبلغ باب همدان تطاول جنده وتدللوا قائلين : " انا ظفرنـــا

---

(١) ابن الأثير — الكامل فى التاريخ — ٨/١١٤ — ١١٥

بهذا الفتح والنصر وهزمنا جيشا جرارا فنريد زيادة ارزاقنا " وقالوا للوزير كلاما مثل هذا يستفاد منه انه اذا لم يزدد رزقهم واقطاعهم فانهم يدعون بالسعاده ل " قاورد " فقال لهم نظام الملك: " اننى ساحدث السلطان بذلك هذا المساء وسأحقق لكم مقصودكم " .

ثم أمر فى نفس الليله فجرعوا " قاورد " شرابا ساما ، وسملوا أعين ولديه الاثنين فلما كانت الغداه عاد الجند الى المطالبه بزيادة أرزاقهم فقال لهم نظام الملك :

" لم يكن من اللائق ليلة الامس أن احدث السلطان بشىء من هذا لانه كان حزينا على عمه ، وقد ضاق عمه ذرعا بحبسه واحس بالضجر والسأم فامتص السم من خاتمه وأسلم الروح " . فلما سمع الجند ذلك هدأوا وسكتوا ولم ينبسوا ببنت شفه ، ولم يعد أحد منهم يتحدث عن زياده الارزاق . (١)

---

(١) الراوندى — راحة الصدور — ص ١٩٨ — ١٩٩ — ٢٠٠ — ٢٠١

وبهذا يتضح لنا كيف ان نظام الملك نجح بالفعل فى اخماد هـــذه الحركه التى كان سيقوم بها الجند ضد السلطان ملكشاه اذا لم يقم بزيادة أموالهم ومستحقاتهم ، كما أنهم كانوا فى الطريق للانضمام لصف قاورد الذى كـــان الصراع على أشده بينه وبين السلطان ملكشاه لكن ملكشاه لم يغفل هذا الامـــر فقد روى أنه من فرط عدل السلطان وانصافه جعل مخصصات الجند ورواتبهـــم مقسمه على جميع بلدان العالم ، وأمر لهم بمخصصات فى كل مكان ينزلون فيـــه ، حتى لايضايقوا الرعايا ، وقد كان كمال عدل هذا السلطان ليس فى حاجـــه الى شواهد أو دلائل . (١)

أما الاقطاع فى الدولة الاسلاميه فقد كان موجودا منذ عهد الرســـول صلى الله عليه وسلم واستمر طيله العصر الاموى ثم العباسى .

وقد كان النظام الاقطاعى هو الاساس الذى تقوم عليه الملكيه فى العصـــر السلجوقى . وقد اعتبر السلاجقه المملكه ضيعة للسلطان يمتلكها نيابة عن قومـــه

---

(١) ابن النظام الحسنى — المراضه فى الحكايه السلجوقيه ص ٦٠ — ٦١

وله أن يقطع اراضيها لاقاربه وأنصاره وجنوده وعبيده . ولم يكن هذا التنظيم الاقطاعى يتعارض مع الملكيه الفرديه او يمسها لانه كان يتعلق بخراج الارض دون الارض . غير أن الذين ملكوا الاقطاعيات كانوا يميلون الى استغلال الفلاح والاساءه اليه والاستيلاء على مابيده .. اذ كانوا يعتبرون اقطاعهم ملكا وراثيا لهم .

وكان الوزير بدوره يهمه ان تزداد ايرادات الاقطاعات ليزداد راتبه تبعا لذلك .. فقد كان راتبه فى هبوط وصعود طبقا لايراد الدولة من الاقطاعات وكان نظام الاقطاع فى البدايه ناجحا بفضل قوة السلاطين ورقابتهم الدائمه ثم — بمرور الوقت — اصبح المشجع على انسلاخ الاجزاء الكبيره عن الدولة وزيادة الاطماع والتنافس — والتنازع على امتلاك الاقطاعيات ، وافلاس الدوله ، واستقلال المقاطعات وقوتها بصوره خنقت الدوله المركزيه . (١)

اذن فقد كان السلاجقه ينظرون الى المملكه على أساس انها ملك خاص للسلطان السلجوقى الذى يملك حق التصرف فى هذه الاراضى التى ضمتها المملكه

---

(١) د . احمد كمال الدين حلمى — السلاجقه فى التاريخ والحضاره ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

مثلا له الحق فى أن يعطيها لذوى قرباه وأنصاره وجنوده وحاشيته ، لكن هـذا النظام لم يكن يتعارض مع الملكيه الفرديه لانه خاص بالغلات التى تخرجها الأرض وليس بالارض نفسها . وقد ساعدت قوه سلاطين السلاجقه على نجاح واستمرار هذا النظام الاقطاعى لكن فيما بعد عندما تدهورت الاوضاع شجع هذا النظام على خروج اجزاء كثيره عن الدوله وظهور المنافسات والاطماع التى دارت حول امتلاك الاقطاعيات وبالتالى تعرضت الدولة للافلاس ، وقد ساعد النظام الاقطاعى على ظهور منصب الاتابك الذى قام على اكتاف هذا النظام الذى يعد اساس الملكيه فى عهد السلاجقه ، والذى كان من نتائجه ظهور نظام الاتابكيات ، والاتابكية اماره يقطعها السلطان السلجوقى لاحد خواصه المقربين ومعظمهم من مماليك السلاجقه الذين جئ بهم من بلاد القفجاق . وكان السلاجقه يربون هؤلاء المماليك فى قصورهم ويقلدونهم المناصب ، ويلحقونهم بالجيش ويمنحونهم أرفع الرتب ... ويجعلون لهم الرياسه فى البلاط . (١)

وكانت العاده جاريه بجبايه الاموال من البلاد ، وصرفها الى الاجناد .

---

(١) د . احمد كمال الدين حلمى — السلاجقه فى التاريخ والحضاره — ص٢١٣ — ٢١٤ .

ولم يكن لأحد من قبل اقطاع (أى لم تكن السلطنه السلجوقيه قد عرفت منح الاقطاع الحربى من قبل) فرأى نظام الملك ان الاموال لاتحصل من البلاد لاختلا لها • ولايصح منها ارتفاع لاعتلا لها • ففرقها على الاجناد اقطاعا • وجعلها لهم حاصلا وارتفاعا • فتوفرت دواعيهم على عماراتها • وعادت فى أقصر مده الى أحسن حاله من حليتها • (١)

وقد ذكرت بعض المصادر أن نظام الملك أول من فرق الاقطاعات على الجند ، فلم يكن عادة الخلفاء والسلاطين من أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الا أن جميع الاموال كانت تجبى الى الديوان ثم تفرق العطايا على الامراء والاجناد على حسب المقرر لهم ، وعندما اتسعت مملكة نظام الملك رأى أن يسلم الى كل مقطع قريه أو اكثر أو اقل على قدر اقطاعه قال " فان فيه انه اذا تسلمها وليس له غيرها عمرها واعتنى بها بخلاف ما اذا شمل الكل ديوان واحد فان الخرق يتسع ففعل ذلك فكان سبب عمارة البلاد وكثرة الغلات وتناقلته الملوك بعده واستمرت الى اليوم فى بلاد الاسلام " (٢)

---

(١) الاصفهانى — تاريخ دولة آل سلجوق ص ٥٤ — ٥٥

(٢) السبكى — طبقات الشافعيه — ١٣٩/٣

وهكذا فان السبكي يوضح في هذا النص مدى حرص نظام الملك على الاستفاده من توجيه الاقطاعات في سبيل تحقيق ما فيه مصلحه الامه اذ ه حق في أن يكون حجم كل اقطاع متوافقا مع طاقه المقطع وان يفرد لكل منهم صحيفه خاصه به في الديوان والا يحاسبون مجتمعين وان يجرى تركيز النشاط لكل منهم في ما يقطع من الاراضين وهكذا فقد حقق هذا الاتجاه المصلحه المشتركه للدولة وللامه على السواء .

ويذكر ابن النظام الحسيني في كتابه — المراضه — انه في عام احدى وسبعين واربعمائه ذهب السلطان الى سمرقند وفي اثناء ايام قليله معدوده اخضع حاكم سمرقند ، صيره مطيعا لامره ، واحضره الى اصفهان ، وحينما عبر الجند الجند جيحون كتب السيد نظام الملك أجرة الملاحين على عمال أعمال انطاكيه ، فرفع الملاحون اصواتهم بالصياح وقالوا " نحن دائما اسرى الفقر والفاقه وليس لنا رزق الى ما نكسبه بجهدنا ولا نعرف حرفه غير هذه ، فكيف نذهب الى انطاكيه ونقطع كل هذه المسافه وأية حمايه أزاد تقوى على قطع طريق سفر كهذا مملوء بالمخاطر " . فقال السلطان للوزير الشهيد سيد العالم " ليس عندنا في هذه النواحي أموال خراج كثيره حتى نلزمهم بالذهاب الى انطاكيه " فأجاب

الوزير اننا أجلنا اخراج هذه الناحيه الى انطاكيه حتى يتضح لاهل العالم ، ويصير معلوما لاهل الدنيا بصوره متواتره ان جميع الزوايا والاركان فى الربع المسكون تحت حكم السلطان وان اتساع ملكه من المشرق الى المغرب ، وحتى يكتب مسجلو احوال السلف ومحررو ديوان التواريخ وناقلوا الاخبار وحافظوا الآثار بقلم الاعتبار على صفحه الدهور هذا الأمر والا فان خراج الملاحين يمكن أن يأخذه اتباع السلطان فى نفس المكان ، ويرسلون ذهبا ". (١)

وهكذا .. نجد خلال هذا النص الذى اورده ابن النظام الحسينى أن نظام الملك أعطى الملاحين اجرتهم على اعمال انطاكيه .. وعندما احتج هؤلاء وقالوا بانه ليس فى وسعهم قطع مسافه طويله للذهاب الى انطاكيه بدون حمايه .. فكان رد السلطان على هذا أن قال للوزير بأن الاموال التى لدينا الآن ليست كثيره وكافيه حتى نطلب منهم الذهاب الى انطاكيه .. لكن نظام الملك أجاب السلطان ملكشاه اننا احلنا خراج هذه المنطقه الى انطاكيه حتى يتضح للجميع ان حكم السلطان قد شمل مناطق كثيره .

---

(١) ابن النظام الحسينى — المعراضه فى الحكايه السلجوقيه — ص ٦٣ — ٦٤

ولقد اقطع السلطان ملكشاه خواص اتباعه الاقطاعات من اقصى ولايات الشام الى ساحل المحيط ، فأعطى مدينه " حلب " لقسيم الدولة " آقسنقر " واعطى " الرها " لعماد الدوله بورتان ، وأعطى " الموصل " ل " جكرمش " ثم عاد من هنالك الى سمرقند .

وكان الجند الذين يلازمون ركاب السلطان ملكشاه ، ممن اثبتت اسماؤهم فى الجرائد الديوانيه ، يبلغون ستة واربعين ألف فارس ، وزعت اقطاعاتهم على سائر بلاد المملكه ، حتى اذا نزلوا بأيه ناحيه منها كانت نفقاتهم وعلوفاتهم دوابهم معده مهيأه . وبلغ عدل السلطان وحسن سياسته حدا كبيرا ، حتى لقد قيل انه لم يوجد على عهده شخص له ظلامه ، فاذا فرض وجاء متظلم لم يكن له من دونه حجاب بل كان يحدث السلطان مشافهه ويطلب منه انصافه . ومن خيرات السلطان ملكشاه احواض الماء التى بناها على طريق الحجاز ، وهو الذى رفع المكوس ورسوم الخفاره عن طريق الحاج واقطع الحرمين نظير ذلك الاقطاعات والاموال ، وكانوا يأخذون قبل ذلك من كل حاج سبعة دنانير ذهبيه . وأنعم كذلك على عرب الباديه وعلى مجاورى الكعبه المعظمه بالانعامات الطائله ومازال بعض هذه الرسوم باقيا حتى الآن " (١)

---

(١) الراوندى — راحة الصدور ص ٢٠٣ — ٢٠٤ — ٢٠٥

وهكذا نجد أن السلطان قد قام بتوزيع الاقطاعات على اتباعه . وكان الجند التابع للسلطان عدده كبير جدا ، وكانت اقطاعاتهم موزعه على مختلف انحـــاء البلاد حتى اذا استقروا بأيه ناحيه وجدوا ماهم فى حاجة اليه من النفقـــات وطعام الدواب . هذا بالاضافة الى ماعرف به السلطان ملكشاه من العـــدل وحسن السياسه ، فقد قام برفع الضرائب التى كانت تؤخذ من الحجاج ومقابـــل ذلك اعطى الحرمين الاموال والاقطاعات . ويضيف الراوندى أن العلاقه قـــد ساءت بين السلطان ملكشاه ونظام الملك بسبب زوجة السلطان تركان خاتون الـــتى اخذت تذكره بالسوء امام زوجها وتحرضه ضده وذلك بقولها انه سلب منه السلطـــه والنفوذ ، أما سبب عداوة تركان خاتون لنظام الملك فهو عدم موافقته على مبايعـــة ولدها محمود وليا للعهد لان كان يرى ان بركيارف الابن الاكبر للسلطان ملكشـــاه له الحق فى تولى المنصب لانه اكبر سنا من اخيه .

(فلما امتلأ سمع السلطان بانباء عثرات نظام الملك ارسل اليه رسـولا ، زوده برساله فحواها " هل أنت شريكى فى الملك حتى تتصرف وفق ماتريد دون — مشورتى ، وتنصب اولادك على الولايات وتقطعهم الاقطاعات وفق ماتشتهى ... سترى اننى سآمر بخلع العمامه عن رأسك ... " فثار نظام الملك قائـــلا :

" ان الذى وضع التاج على رأسك هو الذى وضع العمامه على رأسى .. وكلاهما مرتبطان ولا ينفصلان " ونقل الحاضرون هذا الكلام وزادوا فيه فزاد غضب السلطان على نظام الملك واستبدله بتاج الملك (١).

وهكذا فان الروانـدى يوضح فى هذا النص أن اعطاء نظام الملك الاقطاعات لابنائه كان من اسباب تغير معامله السلطان له ، بالاضافه الى معارضته فى مبايعه محمود ابن السلطان ملكشاه من خاتون التى اصبحت منذ تلك اللحظه واحده من اعداء نظام الملك الذين يسعون جاهدين للتخلص منه وسلبه السلطة والنفوذ التى كان يملكها .

ولقد خطا الوزير نظام الملك خطوه موفقه فى اطار ضمان استمرار قوة دولة السلاجقه ومنعتها وفى نفس الوقت حقق انتعاشا اقتصاديا كبيرا ووفر لبيت المال الاموال الطائله مما كان ينفق على الفرق العسكريه المتنوعه . ذلك انه عارض فكره انقاص عدد الجيش السلجوقى البالغ تعداده سبعين الف جندى ،

---

(١) الراوندى — راحة الصدور — ص ٢٠٧ — ٢٠٨

تلك الفكره التى اصبحت ملحه بعد ان اشتدت الأزمه الاقتصادية فى دولة السلاجقه ويذكر العماد الاصفهانى بأن " الملك قد اختل نظامه والدين قد تبدلت احكامه فى اواخر دولة الديلم واوائل دولة السلاجقه وقد خربت الممالك بين اقبال هذه وادبار تلك ولم يكن لاحد من قبل اقطاع ، فرأى نظام الملك ، ان الاموال لاتحصل من البلاد لاختلا لها ولايصح منها ارتفاع لاعتلالها ففرقها على الاجناد اقطاعا وجعلها لهم حاصلا وارتفاعا فتوافرت دواعيهم على عمارتها وعادت فى اقصر مده الى احسن حاله من حليتها وربما قرر لواحد من الجند الف دينار فى السنه فوجه نصفه على بلد من الروم ونصفه على وجه فى اقصى خراسان وصاحب القرار راضى " (١)

ومن الواضح ان اجراء الوزير نظام الملك هذا كان مثاليا لتحقيق الهدفين المنشودين فى آن واحد ففى الوقت الذى حافظ فيه على قوة السلاجقه عسكريا بالامتناع عن تسريح ايه فرقه او مجموعه من الجند السلجوقى فانه ضمن فى نفس الوقت بهذا الاجراء عمليه احياء واسعة للاراضى وانعاش للحياة الزراعيه

---

(١) العماد الاصفهانى — تاريخ دولة آل سلجوق — ص ٥٥

بشكل خاص والاقتصاديه بشكل عام مما كان له اكبر الاثر فى استقرار الاحوال وتوفير الامن والرفاه .

ان النظام الاقطاعى السلجوقى هو الاساس الذى قامت عليه ملكيه الاراضى فى عهدهم . وكان زعماء السلاجقه يرون انهم رؤساء قبائلهم وان حكمهم قائم حيث ارتحل قومهم وذويهم ولذلك فانه لم يكن مرتبطا بمنطقه معينه او محددا لمساحه معلومه من الارض وكان لكل قبيله نصيبها من المراعى يتولى رئيس القبيله الاشراف على الاستفاده منها وفق التقاليد السلجوقيه الخاصه . ومن هذه الزاويه نظر السلاجقه الى اراضى الدولة باعتبار انها ضيعة للسلطان السلجوقى يمتلكها نيابة عن قومه ، ولا ندرى الى اى مدى تأثروا بنظرة الاسلام الى الارض المنوه التى لم يأمر الامام بتوزيعها والتى اعتبرت ملكا مشتركا للامه يمثلها الامام . وعلى أى حال فقد كان يطلب من صاحب الاقطاع ان يسهر على مصالح السكان وان يراعى النظم المعروفه فى جبايه الضرائب كما كان يطلب الى السكان بضروره الالتزام بطاعته واعتباره مالكا لتلك الجهات . (١)

---

(١) العماد الاصفهانى — آل سلجوق — ص ٥٦

ويتضح من ذلك امرين مهمين اولهما : ان هذا التنظيم الاقطاعي لا يتعارض مع مفهوم الملكيه الفرديه ولا يمسها لانه يتعلق بخراج الارض وليس برقبتها . كما تبين بأن نظام الملك كان اول من نفذ النظام الذى نسميه بالاقطاع الحربى فقد فرق هذا الوزير الحكيم الاراضى على شكل اقطاعات على الجند اذ رأى ان ذلك اضمن لعمارتها ولعنايه المقطعين بامرها مما يخدم مصالحهم ومصالح السلطان على حد سواء (١) .

والحق فان الاصلاحات التى ادخلها نظام الملك على نظام منح الاقطاعات الزراعيه قد استهدفت ضمان تحقيق المصلحه العامه من جراء تنظيم الاقطاع كما استهدفت وضع الضوابط الكفيله بمنع المساوئ التى قد تنجم عن سوء استغلاله ولهذا فأن المقطعين كانوا يبذلون جهودا كبيره من اجل تحسين اقطاعاتهم وتنظيمها وتحقيق اكبر نفع منها وفى نفس الوقت فانهم كانوا يحرصون على تنفيذ كافه التزاماتهم امام الدوله ضمانا لاستمرار استثمارهم لتلك الاقطاعات (٢) .

---

(١) المقريزى — الخطط — ١/١٥٣ — ١٥٤

(٢) نظام الملك — سياسه نامه — ص ٣٢

وعلى الرغم من دقه الوزير نظام الملك والتزامه العدل وسهره الدائب على تطبيق بنود الالتزامات بشكل صحيح ، فان المقطعين قد مالوا الى الاستغلال بشكل تدريجي فقد نظر اغلب المقطعين الى اقطاعاتهم باعتبارها ملكا خاصا قابلا للتوريث ، كما انهم اخذوا نتيجه لهذه النظره بالتشدد مع المزارعين بل وصل الامر ببعضهم الى مصادره ممتلكات الغير وضمها الى اقطاعه (١)

وقد ترتب عن ذلك انتشار التذمر من تلك التصرفات الشاذه (٢) .

وقد تعرض حسين امين الى هذه المسأله فاتهم الوزير نظام الملك بتحمل مسؤوليه ذلك الفساد باعتبار انه " الشخص المسؤول عن الاقطاعات ومراقبتها كما اتهمه بانه اخذ " يغض النظر في بعض الحالات التي يتميز فيها الجشع الاقطاعي " (٣).

---

(١) العماد الاصفهاني ـ آل سلجوق ـ ص ٢٣٤

(٢) ن م ، س ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣

(٣) حسين امين ـ العراق في العصر السلجوقي ـ ص ٢٠٩

غير ان هذا الاتهام يحتاج الى دليل والنصوص لم تسعف الباحث بذلك ولهذا فانه لجأ الى ما سبقت الاشاره اليه مما ذكرته الباحثه البريطانيه البروفسوره لامبتن من ان الوزير كان يتقاضى راتبا مقداره عشر ما تحصل عليه الدولة من واردات الاقطاعات (١) .

أما القول بأن المهم عند الوزير نظام الملك هو ان " تزداد ايرادات الاقطاعات ليزداد راتبه " (٢) فهو فيما اعتقد خلاف ما عكسته هذه الدراسه من حقائق عن سمات هذا المصلح الفذ وخصائصه التي كان من ابرزها التضحيه من اجل الصالح العام ، اضافه الى انه يتعارض مع العديد من النصوص التي تضمنتها المصادر الاساسيه في هذا المجال (٣)

---

(1) Lambton, Landlord and peasant in Persia, P. 66. 67.

(٢) حسين امين ـ العراق في العصر السلجوقي ـ ص ٢٠٩

(٣) نظام الملك ـ سياسة نامه ـ ص ٣٢

وانظر ، حسن امين ، المصدر السابق ص ٢٠٧ حيث يتناقض مع نفسه حيث قال نصا ورد فيه بان نظام الملك قد استهدف ضمان عدم الاساءه في استخدامه .

الفصل الرابع

دوره فى الحياة الثقافية

١ـ اشتغاله بعلم الحديث :

كان لنظام الملك دور كبير فى الحياه الثقافيه كما أنه ترك أثـــــرا بارزا فى بعض نشاطات الحياه فى العصر السلجوقى • ولقد عرف هذا الوزيـــر بورعه وتمسكه بشعائر الاسلام ومحافظته على آداء الفرائض • وتتحدث المصـــادر عن التزامه بآداء الصلاه فى أوقاتها كما تتحدث عن مآثره وصدقاته واوقافـــه وخيراته • وبالاضافه الى ذلك فقد عرف عنه شغفه وتعلقه بدراسه ثم بروايـــه علم الحديث فقد حدث بمرو ونيسابور والرى واصبهان وبغداد واملى الحديـــث فى جامع المهدى وفى مدرسته وكان يردد " انى لأعلم انى لست أهلا للروايـــه ولكنى أريد أن أربط نفسى على قطار النقله لحديث رسول الله صلى الله عليـــه وسلم " (١) .

كما ذكر ابن العماد الى " انه اشتغل بالحديث والفقه " (٢) مما يشيـــر

---

(١) ابن الجوزى ـ المنتظم ـ ٩/ ٦٦ ، ابن الاثير ـ الكامل فى التاريـــخ ـ ٨/ ١٦٢

ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ـ ٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠ ، السبكى ـ طبقـــات الشافعيه ٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠

(٢) ابن العماد ـ شذرات الذهب ٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤

الى ان الوزير نظام الملك قد أولى علم الحديث اضافه الى العلوم الشرعيـــــــه الاخرى الكثير من رعايته وعنايته واهتمامه ٠

٢ـ انشاء المدارس النظاميه :

يعتبر تأسيس المدارس فى عهد سلاطين السلاجقه احدى المنجزات العظيمه التى تمت على يد الوزير نظام الملك الذى أسهم فى نشر العلم عن هذا الطريق وهذا يعكس مدى تشجيع العلم والعلماء . لقد انشأ نظام الملك المدارس فى اماكن متعدده من ديار الاسلام ، ولابد من معرفه الهدف الاساسى الذى أدى الى تأسيس أو بناء هذه المعاهد العلميه أو الجامعات .

لقد أطلق لفظ مدرسه على دار العلم لاول مره فى مدينه نيسابور فى آواخر القرن الرابع الهجرى فى عهد السلطان محمود الغزنوى ، ثم انشئت المدارس الاخرى مثل البيهقيه والسعيديه ومدرسه أبو سعيد الاصطرلابى ومدرسه الشيخ ابو اسحق الاسفراييني ، وقد ظلت هذه المنشآت ذات آثر محلى محدود مده خمسين عاما ثم قضى عليها تماما بعد قتل وزير طغرل بك موسس دوله السلاجقه . الا أنها بعثت من جديد على يد نظام الملك أعظم رجل تولى الوزاره فى عهد السلاجقه قاطبه بل وأعظم وزراء الشرق فى عصره ، فقد ظل وزيرا لاثنين من السلاطين السلاجقه العظام هما الب ارسلان وملكشاه ، وقد

استطاع بثاقب بصيرته وسعه افقه أن يستفيد من هذه المنشآت الثقافيه والدينيه فى الدفاع عن المذهب السنى والوقوف بوجه حركات التشيع التى ظهرت عن طريق واجهات مختلفه . وهكذا فقد تحولت هذه المدارس فى عصره من منشآت خاصه الى مؤسسات عامه . كانت خططها الاتيه تخريج العديد من المؤهلين لاشغال الوظائف العامه المختلفه فى الدوله الاسلاميه ممن تشربوا مبادئ الاسلام الصافيه واتضحت امامهم اهميه مؤسسه الخلافه وخطورتها وضروره الوقوف بحزم للدفاع عنها (١) .

اما على المدى البعيد فيبدو أن نظام الملك قد احس بالخطر الذى تتعرض له الخلافه السنيه وكيف ان اعدائها وبخاصه الشيعه الاسماعيليه قد استعملوا اسلوب المنطق فى هجومهم عليها ، وكيف ان أساليب الفقهاء فى عصره لم تكن لترقى الى مستوى الدفاع بجداره ، ولعل ذلك مادفعه الى التركيز على انشاء هذه المؤسسات العلميه العاليه التى تعتمد المنطق اسلوبا فى

---

(١) د . سعاد ماهر — اثر الماوردى فى الفن السلجوقى — المقال — مجله المؤرخ العربى — العدد العاشر — ص ٥٠

الدفاع ازاء هجمات الخصوم ومكافحه آرائهم ودعاياتهم الهدامه • ولعل ماحققت هذه الوسيله من نجاح كانت السبب فى نشرها فى العالم الاسلامى من جهه كما كانت الدافع الذى اغرى الخصوم فى التحول من اسلوب المنطق الى العنف الذى كان نظام الملك هدفا له وذلك يعكس نجاحا كبيرا حققته مدارسه فى تحقيق ماخطط لها •

وكما نشر الشيعه مدارسهم التى تؤيد مذهبهم وتعمل على نصرته وتأييده انتشرت مدارس أهل السنه التى فاقت مدارس الشيعه بمراحل ، وكانت كل مجموعه منها وقفا على فرقه خاصه كالشافعيه او الحنفيه وامثالهما والمدارس النظاميه التى انشأها نظام الملك تعتبر من اهم مدارس أهل السنه فى عهد السلاجقه •

والواقع أن تأسيس هذه المدارس كان دافعا لايجاد غيرها من المدارس فى البلاد الاسلاميه • ولعل مؤسسى تلك المدارس تأثروا بنفس الهدف حين قاموا بتأسيس مدارسهم اضافه الى انهم كانوا يبغون الثواب عن طريق خدمة مذهبهم ، او منافسة معارضيهم (١) •

---

(١) د • احمد كمال الدين حلمى — السلاجقه فى التاريخ والحضاره ص ٣٧٤ — ٣٧٥

يرى رايس بأن فكره المدرسه او الجامعه قد جاءت بالاصل من الهند وبأن الذى دفع نظام الملك لتشييد هذه الجامعه ، هو ماكان موجودا منها فى بلاد ماوراء النهر أو (خراسان) حيث وجدت معاهد شبيهه بها وعلى نطاق ضيق منذ القرن العاشر (١) . وربما كان رايس على حق فى الرجوع الى اصول الفكره من ناحيه النشأه وانه كانت المساجد الاسلاميه الاولى هى بحد ذاتها مدارس للتعليم والتفقه فى الدين ومناقشه المشاكل التى يجابهها المجتمع والافراد ومحاولة تقديم حلول سليمه مستنبطه من الشريعه الاسلاميه السمحاء او منسجمه معها ، غير ان رايس لم يناقش الدوافع التى من أجلها انشأت هذه الجامعات وهو المحور الذى ينبغى ان يجرى التركيز عليه .

وقد أشار كثير من المؤرخين الى أن نظام الملك هو الذى أمر ببناء هذا العدد الكبير من المدارس والربط والمساجد فى عدده مناطق من الدوله الاسلاميه ، وان الآخرين قد ساروا على نهجه (٢) .

---

(١) تاما را تالبوت رايس — السلاجقه تاريخهم وحضارتهم ص ١٤٧

(٢) ابن خلكان — وفيات الاعيان — ٢/١٢٨ — ١٢٩ ، ابن العماد — شذرات الذهب ٣/٣٧٤

والمدارس التى أسسها نظام الملك جعلها فى البدايه خاصه بمدارسه الفقه الشافعى اصولا وفروعا واشترط ان يتوفر فيها واعظا ومدرسا ومتوليا لمدار الكتب كما شرط ان يكون فيها مقرئا للقرآن ونحويا لتدريس العربيه وفرض لكل هؤلاء رزقا معلوما واوقف لكل مدرسه من الاوقاف مايفى ريعه لتغطيه ذلك اضافه لنفقات المدرسه الاخرى (١).

واشهر النظاميات هى المدرسه النظاميه ببغداد التى امر نظام الملك بانشائها سنه ٤٥٧ هـ/١٠٦٤ والتى فرغ من انشائها فى ذى القعده من عام ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦ م (٢)

ويشيد ابن خلدون بانشاء نظام الملك للمدارس فيقول عنه بانه " شيد المدارس ، واجرى فيها الجرايات الكثيره فقد بنى النظاميه ببغداد ، وناهيك بها ، ورتب الشيخ ابا اسحق الشيرازى للتدريس بها " (٣)

---

(١) ابن الجوزى — المنتظم — ٩/ ٦٥ — ٦٦

(٢) ابو الفدا — المختصر فى اخبار البشر — ٢/ ١٥٨

(٣) ابن خلدون — كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر — القسم الاول — المجلد الخامس ٨ ص ٢٥ — ٢٦

لم يقتنع نظام الملك بانشاء نظاميه بغداد فقط بل انه أمر بالمباشره ببناء عدد كبير من النظاميات في المدن الاخرى ولاغرابه في ذلك فهو أشهر من بنى المدارس اكراما وتقديرا منه للعلم والعلماء ، فقد بنى بالاضافه الى المدرسه النظاميه ببغداد ، النظاميات في مدن بلخ ونيسابور وهراه واصبهان ومرو وآمل في طبرستان كما انشأ نظاميه الموصل ونظاميه واسط ونظاميه البصره ويقال ان له في كل مدينه بالعراق وخراسان مدرسه (١) .

وقد حذا حذوه كثير ممن جاء بعده من امراء السلاجقه ووزرائهم مما ترتب عنه شيوع المدارس في كثير من مدن العالم الاسلامي وبشكل خاص في الولايات السلجوقيه (٢) .

---

(١) السبكي — طبقات الشافعيه — ١٣٧/٣

(٢) د . سعاد ماهر — اثر الماوردي في الفن السلجوقي — مجله المؤرخ العربي العدد العاشر . ص ٥٠ — ٥١ — ٥٢

ولم يقتصر انشاء المدارس على المدن التي ذكرناها بل ان مدارسه في العالم مشهوره لم تخل بلد من شيء منها حتى جزيره ابن عمر التي هي في زاويه من الارض لايوجد لها بنى فيها مدرسه كبيره حسنه وهي التي تعرف الآن بمدرسه رضي الدين (المقدسي — الروضتين — ١/ ٢٥)

وجزيره ابن عمر شمال منطقه الجزيره وهي الآن جزيره صغيره في مجرى نهر دجله شمال العراق الحديث عند الحدود العراقيه التركيه .

وبعد ان تم بناء المدرسه النظاميه تقرر ان يتولى التدريس فيها الشيخ ابو اسحق الشيرازى (١) لكنه تأخر عن الحضور وذلك لان صبى ديلمى ، لم تشر المصادر الى هويته ولعله اسماعيلى المذهب ، التقى به فسأله " كيف تدرس فى مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها " فلما ارتفع النهار

---

(١) الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن على بن يوسف الشيرازى ، الفيروزابادى الملقب جمال الدين ، سكن بغداد ، وتفقه على جماعه من الاعيان (منهم ابوعبدالله محمد بن عبدالله البيضاوى وابو القاسم منصور بن عمر الكرخى وغيرهم) وصحب القاضى ابا الطيب الطبرى كثيرا ، وانتفع به وناب عنه فى مجلسه ورتبه معيدا فى حلقته ، وصار امام وقته ببغداد . صنف التصانيف المباركه المفيده ، منها : " المهذب فى المذهب " و " التنبيه " فى الفقه ، وغير ذلك وانتفع به خلق كثير .
(وفيات الاعيان — ابن خلكان — المجلد الاول ص ٢٩) .

وآيس الناس من حضوره اشار الشيخ ابو منصور ابن يوسف بابى نصر ابن الصبـــاغ صاحب كتاب الشامل وقال لايجوز ان ينفصل هذا الجمع الا عن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس ابو نصر للدرس وظهر الشيخ ابو اسحق بعد ذلـــك وقام بالتدريس فى النظاميه . (١)

ولعل خصوم نظام الملك ، وربما الحركه الاسماعيليه ، كانت وراء محاولـــه عرقله التدريس فى المدرسه النظاميه فى هذه المرحله . اذ يبدو أنهم استغلـــوا التزام الشيخ وشده ورعه وتحوطه فى الشريعه بمواجهته بمسأله كون المدرسه قـــد بنيت على أرض مغصوبه كما جرى الادعاء المغرض فيما ذكرت النصوص . ولعـــل الشيخ قد أدرك ابعاد الامر واهداف الخصوم ولذلك نجده يبادر بالعوده الـــى المدرسه للتدريس مما يوضح زيف تلك الادعاءات . الا أن بعض المصادر ذكـــرت بأن الشيخ ابو اسحق كان اذا حضر وقت الصلاه خرج من المدرسه المستنصريـــه

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ـ ٨/ ١٠٥ ـ ١٠٦ ، ابو الفدا ـ المختصـــر ٢/ ١٥٨ ، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ٤٢٠ ـ ٤٢١
ابن العماد ـ شذرات الذهب ٣/ ٣٠٧

وصلى فى بعض المساجد ، وكان يقول : " بلغنى أن اكثر آلاتها غصب "(١)

وفى عام ٤٨٢ درس ابو بكر الشاشى (٢) فى التاجيه ثالث عشر المحرم (٣)
وفى محرم سنه ٤٨٣ جلس عبد الله الطبرى بأمر عمه الوزير نظام الملك متوليا للتدريس متحريا معانى الشريعه بالتأسيس ، ثم وصل بعده القاضى ابو محمد ، عبد الوهاب الشيرازى للتدريس بالنظاميه أيضا وتقرر أن يدرس هو يوما والطبرى يوما ليزيد العلم بتحريهما فيضا (٤) .

وهكذا حقق الوزير نظام الملك ماخطط له من انشاء المدرسه النظاميه

---

(١) ابن خلكان — وفيات الاعيان — ٢/ ١٢٩ — ١٣٠
(٢) ابو بكر الشاشى محمد بن على بن حامد شيخ الشافعيه وصاحب الطريقه المشهوره والمصنفات المليمه درس مده بغزنه ثم بهراه ونيسابور وحدث عنه منصور الكاغدى وتفقه ببلا ده على ابى بكر السنجى ، وقد ولاه نظام الملك التدريس بالنظاميه (ابن العماد — شذرات الذهب ٣/ ٣٧٥)
(٣) الاصفهانى — دوله آل سلجوق — ص ٧٣
(٤) ابن العمرانى — الانباء فى تاريخ الخلفاء — ص ٢٠٤

التى وصفت بانها اول مدرسه بنيت للفقهاء ولعل وجهتها الاولى كانت ملتزمه بالمذهب الشافعى (١) اذ درس فيها شيوخ المذهب فى البدايه كما انه اوقف عليهم وعليها الوقوف (٢) حتى بدت وكأنها مدرسه خاصه بالشافعيه • ثم اتسمت النظاميه وبنى على شاكلتها مدارس عديده فى اماكن متعدده كانت على درجه كبيره من الاهميه فى تحقيق الهدف الرئيسى لها فى الدفاع عن الشريعه والالتزام بالسنه والخلافه والوقوف بوجه الخصوم ولابد ان يجرى التنبيه هنا الى خطأ شاع بين عدد من الباحثين جعل من الوزير نظام الملك اول من بنى المدارس فى الاسلام • والواقع ان المدارس قد انشأت (٣) قبل ذلك بكثير غير ان فضل الوزير نظام الملك كان فى تنظيم المدرسه وترتيب التدريس فيها وتزويدها بدار الكتب وتنظيم الجرايات والارزاق لاساتذتها وطلابها وادارتها ومنتسبيها وبذل الاموال الكثيره فى انشاء مبانيها والاوقاف الكثيره التى أوقفت لها (٤)

---

(١) السيوطى — تاريخ الخلفاء — ص ٤٢٠ ، ابن العماد — شذرات الذهب ٣/ ٢٩٥ — ٢٩٦

(٢) المقدسى الشافعى — الروضتين ١/ ٢٦

(٣) عن المدارس التى تم انشائها قبل المستنصريه وهى المدرسه البيهقيه والمدرسه السعديه بنيسابور وكذلك مدرستى الاستراباذى والاسفراييني •• لزياده المعلومات انظر السبكى — طبقات الشافعيه — ٣/ ١٣٧ — ١٣٨

(٤) د • احمد كمال الدين حلمى ، السلاجقه فى التاريخ والحضاره ص ٣٧٤ — ٣٧٥

ومن ضمن المصادر التى ذكرت انه اول شخص امر بتأسيس المدارس ولعل ابن النظام الحسينى كان اول من ذكر ذلك فقد جاء فى كتاب العراضه فى الحكايه السلجوقيه بأن نظام الملك قد " اسس فى كل موضع من البلاد املاً فى النجاه يوم التناد — مدارس ذات مستوى رفيع للشريف والوضيع ، وخصص لطلاب العلم وظائف مرتبه ، وانعامات مقرره ، وكان هو أول شخص امر بتأسيس المدارس ووضع نظامها الى يومنا هذا ، وصار هذا الامر سنه من المكرمات وأفضل الخيرات التى تؤسس فى جهات العالم المختلفه ، وهى من المنافع العامه للخاصه والعامه ، يستفيد منها الائمه العظام ، وطلبه علوم الاسلام على الدوام " (١)

وكان لنظام الملك نظره بعيده فقد حاول أن ينشر العلم فى طول دولته الخلافه الاسلاميه وعرضها مشجعا ذوى القابليات أن يهبوا أنفسهم لدراسه الفقه والشريعه الاسلاميه وقد حاول ذلك عن طريق اغرائهم بزياده رواتب العلماء كما عمل على اجتذاب أشهر الفقهاء فى ايامه للعمل فى التعليم مجتذبا اياهم

---

(١) الحسينى — العراضه فى الحكايه السلجوقيه — ص ٥٧ — ٥٨

باغراءات مختلفه كالمكتبات التى يحتاجونها فى كتابه مؤلفاتهم وتصانيفهم وباغداق ألقاب الشرف . كما انه فى غمرة اندفاعه فى نشر العلم بين أبناء الامه قام باعاده تنظيم المؤسسات الثقافيه محولا الكثير من المعاهد الشرعيه البسيطه التى كانت وقتئذ المراكز العلميه الوحيده فى الدوله الاسلاميه الى مدارس منتظمه على نسق المدرسه النظاميه فى بغداد ، موسعا مناهج الدراسه فيها توسيعا كبيرا ، كما انه امن دفع ارزاق ونفقات للمعلمين المستخدمين فى هذه المعاهد بصوره ثابته كما ضمن استمرار الدوله بمساعده الطلاب الفقراء على حسابها (١) .

ومما يدل على مدى اهتمام نظام الملك ورعايته للعلم والعلماء ماذكره القزوينى من أن السلطان الب ارسلان دخل مدينه نيسابور ، فاجتاز على باب مسجد حين رأى جمعا من الفقهاء على باب ذلك المسجد فى ثياب رثه ، لاخدموا للسلطان ولا دعوا له ، فسأل السلطان نظام الملك عنهم فقال : هؤلاء طلبه العلم وهم اشرف الناس نفسا لاحظ لهم من الدنيا ، ويشهد زيهم على فقرهم .

---

(١) تامارا تالبوت رايس — السلاجقه تاريخهم وحضارتهم — ص ١٤٦ — ١٤٧

فأحس بأن قلب السلطان لا ن لهم ،فعند ذلك قال : لو أذن السلطان بنيت لهم موضعا واجريت لهم رزقا ليشتغلوا بطلب العلم والدعاء لدولة السلطان ! فأذن السلطان له ، فأمر نظام الملك ببناء المدارس في جميع المملكه ، وأن يصرف عشر مال السلطان في بناء المدارس ، وهو اول من سن هذه السنه الحسنه . (١)

ويذكر القزويني ان ابا القاسم القشيري صاحب الرساله القشيريه الذى كان وحيد عصره علما وورعا ، كان اذا دخل على نظام الملك ، قام من مكانه وقعد بين يديه ، واذا دخل عليه امام الحرمين يقوم له ويقعده بجنبه ، فسئل نظام الملك عن ذلك فقال : لان ابا القاسم القشيرى اذا دخل على يذمنى فيما اعمله ، واما امام الحرمين فانه يمدحنى فيما اعمله ويعلق القزويني على ذلك بقوله : " فيما لله من شيخ اذا دخل على وزير المشرق والمغرب يذم افعاله ولا يبالى بسلطنته ! ويالله من وزير من ذمه في افعاله اكرم عليه ممن مدحه "! (٢)

---

(١) القزويني — آثار البلاد واخبار العباد — ص ٤١٢

(٢) ن . م . س ص ٤٧٣ — ٤٧٤

ويقول السبكى فى طبقات الشافعيه .. وشيخنا الذهبى زعم انه اول من بنى المدارس وليس كذلك فقد كانت المدرسه البيهقيه بنيسابور قبل ان يولد نظام الملك والمدرسه السعديه بنيسابور ايضا بناها الامير نصر بن سبكتكين اخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور ومدرسه ثالثه بنيسابور بناها ابو سعيد اسماعيل بن على بن المثنى الاستراباذى الواعظ الصوفى شيخ الخطيب ومدرسه رابعه بنيسابور ايضا بنيت للاستاذ ابى اسحق الاسفراينى (١).

وقد واصل نظام الملك العمل فى مواصله التدقيق والنظر فى الاشراف على النظاميه فقد كان حريصا على الاشراف على كل مايتعلق بالعمل بها . وقد حدث بعد وفاه الشيخ ابو اسحق ان رتب مؤيد الملك أبا سعد المتولى مدرسا فلم يرضى نظام الملك بذلك بل انه جعل التدريس للشيخ الامام ابى نصر الصباغ صاحب الشامل . فاتفق خروج مؤيد الملك وخرج معه المتولى فعاد متوليا . وفى رتب السمو متعاليا . وقد لقب شرف الامه وأبو نصر الصباغ مدرس . وتوفى يوم الخميس النصف من شعبان وبقى المتولى مدرسا الى ان توفى فى شوال سنه ٤٧٨ (٢)

---

(١) السبكى — طبقات الشافعيه — ٣/١٣٧ — ١٣٨

(٢) الاصفهانى — دوله آل سلجوق — ص ٦٨ — ٦٩ — ٧٠

وفى سنه ٤٦٩ ورد بغداد ابونصر ابن الاستاذ ابى القاسم القشيـــرى حاجا وجلس فى المدرسه النظاميه يعظ الناس فى رباط شيخ الشيوخ وجرى لـــه مع الحنابله فتنه لانه تكلم على مذهب الاشعرى ونصره وكثر اتباعه والمتعصبـــون له وقصد خصومه من الحنابله ومن تبعهم سوق المدرسه النظاميه وقتلوا جماعـــه وكان من المتعصبين للقشيرى الشيخ ابو اسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الاعيـان وجرت بين الطائفتين امور عظيمه (١).

ولعل هذا يعكس مدى ماكان للتعصب المذهبى من اثر سلبى لاغرابـــه فى ان يستغله اعداء الخلافه لمصلحتهم وهو ما حاول الوزير نظام الملك تخفيفـــه ومحاوله الغاءه عن طريق التسامح وتحويل المستنصريات الى مدارس تدرس علـــى المذاهب الاربعه كما حصل فيما بعد . وفى سنه ٤٨٤ هـ/١٠٩١ م قـــدم الامام ابو حامد الغزالى للتدريس فى النظاميه وكان فى العلم بحرا زاخرا ومـــدرا زاهرا . (٢)

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ ـ ١٢٤/٨

(٢) ابن العمرانى ـ الانباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤ ، الاصفهانى ـ دولـه آل سلجوق ص ٧٣

وهكذا فان نظام الملك بعد أن قام بتأسيس المدارس النظاميه استنفر كبار العلماء في العالم الاسلامي ومن بينهم العالم التقي الورع (أبو حامد الغزالي) للتدريس فيها . (١)

وقد كان نظام الملك كما ذكرنا آنفا لا يميل الى النزاع الطائفي ويكافح الفتن المذهبيه ، بل كان همه الالفه وجمع الكلمه ، يدل على ذلك الخطاب الذي وجهه الى مدرس نظاميته ببغداد ، اسحق الشيرازي جوابا على كتاب منه اليه حول علاقته بالحنابله الذين كانوا الغالبين على بغداد يومئذ والذي ضمنه الهدف من انشاء النظاميه حيث جاء فيه قوله : " وليس توجب سياسه السلطان وقضيه العدل الى أن يميل في المذهب الى جهه دون جهه ونحن بتأييد السنن اولى من تشييد الفتن ، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسه الا لصيانه اهل العلم والمصلحه لا للاختلاف وتفريق الكلمه " (٢)

---

(١) تامارا تالبوت رايس ـ السلاجقه تاريخهم وحضارتهم ص ١٤٧

(٢) ابن الجوزي ـ المنتظم ٨/ ٣١٢ كتبه د . سعاد ماهر ، اثر الماوردي في الفن السلجوقي مجله المؤرخ العربي ـ العدد العاشر ـ ص ٥٢

ويتضح مما مر ان التعليم فى المدارس النظاميه وما سبقها كان امتدادا لحركه التعليم فى المساجد تلك الحركه التى بدأت بانشاء المساجد فى صدر الاسلام . فقد استمرت المساجد فى أداء وظيفتها التعليميه فى العصور الاسلاميه المتتابعه مرورا بالعصر السلجوقى حيث حصل التطور حين ظهرت المدارس بجانب المساجد والحقت بمعظمها خزائن الكتب التى اوقفها محبوا العلم لتحقيق المنفعه وشيوع الفائده . وقد كثرت المدارس وانتشرت حتى قل ان نجد مدينه فى عصر السلاجقه تخلو من وجود مدرسه او زاويه فى مسجد تعقد فيها مجالس العلم حيث يقوم شيوخ العلوم الشرعيه المختلفه كالتفسير والحديث والفقه والكلام والادب بالقاء محاضراتهم او عقد مناظراتهم وقد كان الخلفاء والسلاطين والامراء والوزراء والحكام هم الذين يشرفون على تلك المدارس او يحضرون تلك الحلقات العلميه .

اما الناحيه الماليه فقد جرى ضمانها عن طريق الاوقاف الكثيره والحبوس التى كان ينفق منها على المدارس والمدرسين والطلاب والتى جرى تنظيم شؤونها بما يضمن الدقه فى الاشراف على ايراداتها وادراراتها والعدل والانصاف فى رعايتها وتوزيعها على مستحقيها حيث كان " المتولى " على الاوقاف هو المباشر لتلك الاعمال .

ويقوم بالتدريس مدرسون ومعيدون متخصصون او يختار نائب للتدريس اذا لم يتوفر المدرس الكفء (١) . وقد تطورت بمرور الزمن مثل وتقاليد اكاديميه خاصه بالعلماء المسلمين تتصل بدرجاتهم العلميه وتخصصاتهم ونظام التدريس والمعيدين وتنظيم النيابه عن المدرسين وادارة شئون التدريس والمدارس . اضافه الى هيئه الاستاذ وملابسه ومظهره وتقاليد مباشرته التدريس ونظام الحلقات والمناظرات وما الى ذلك .

---

(١) د . احمد كمال الدين حلمى — السلاجقه في التاريخ والحضارة — ص ٣٧٥ — ٣٧٦

٣ـ تعديل التقويم السنوى :

فى الواقع ان التقويم السنوى للبلاد قد تم تعديله فى عهد السلطان ملكشاه بمعاونه وزيره نظام الملك الذى هيأ كافه الامكانيات لتحقيق ذلك . والذى لم يدخر جهدا فى تقديم المزيد حتى وصلت دوله السلاجقه فى ايامه الى القمه واصبحت اقوى دوله فى العالم الاسلامى .

وفى عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعه من اعيان المنجمين لغرض تعديل التقويم السنوى بما يتلائم مع مصلحه المواطنين ويحقق الراحه والاستقرار لدافع الضريبه (١).

وفى هذه السنه كذلك امر السلطان ملكشاه باجراء الرصد واجتمع فى تحقيق ذلك من العلماء الفضلاء منهم عمر الخيام (٢) وابو المظفر الاسفرايينى

---

(١) ابو الفدا ـ المختصر فى اخبار البشر ـ ٢/ ١٩١ ـ ١٩٢

(٢) عمر الخيام: عمر بن ابراهيم الخيامى النيسابورى ، ابو الفتح شاعر فيلسوف فارسى ، مستعرب من اهل نيسابور ، مولدا ووفاه . كان عالما بالرياضيات والفلك والطب والفقه والتاريخ . له شعر عربى وتصانيف عربيه . بقيت من كتبه رسائل منها ، شرح مايشكل =

وميمون بن النجيب الواسطى وقد تم تخصيص اموال طائله العمل المرصد واستمرار العمل فيه وتذكر المصادر بأنه " اخرج عليه من الاموال جملا عظيمه وبقى الرصد دائرا " وان هذا العمل العلمى قد استمر الى سنه ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م حيث توفى السلطان فتوقف المرصد عن عمله (١).

= من مصادرات اقليدس " و " مقاله فى الجبر والمقابله " . وبلغت شهره الخيام ذروتها بمقتطفاته الشعريه " الرباعيات " نظمها شعرا بالفارسيه، وترجمت الى العربيه واللاتينيه والفرنسيه والانجليزيه والالمانيه والايطاليه والدنمركيه وغيرها . وعرف قدره فى ايامه ، فقربه الملوك والرؤساء . وكان السلطان ملكشاه السلجوقى ينزله منزله الندماء ، وكان من خاصه خلصائه فى شبابه " نظام الملك " و " حسن الصباح " واتفق معهما على ان ينال منهم رتبه يساعد صاحبيه ، فلما استوزر نظام الملك جعل لعمر عشره آلاف دينار فى السنه ، من دخل نيسابور . (الزركلى — الاعلام — ٥/١٩٤ — ١٩٥) كما كان حكيما عارفا بجميع انواع الحكمه سيما نوع الرياضيات ، سلم اليه السلطان ملكشاه السلجوقى مالا كثيرا ليشترى به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وماتم ذلك (القزوينى — آثار البلاد واخبار العباد — ص ٤٧٤ — ٤٧٥) وكان كثير التنقل والاختلاط يميل الى مجالسه العلماء ومناقشتهم . تخصص فى علم الهيئه والنجوم ، وشارك فى اخراج زيج ملكشاه (التقويم الجلالى) المشهور (د . احمد كمال الدين حلمى — السلاجقه فى التاريخ والحضاره — ص ٣١٦ — ٣١٧)

(١) ابن الاثير — الكامل — ٨/١٢١

لقد كان من نتائج عمل علماء الرصد أن استقطب البلاط السلجوقـــى ، وبتخطيط من الوزير نظام الملك عددا من أبرز علماء العصر مما حقق نهضة مشهورة فى تلك الحقبة ، فعمر الخيام مثلا ، زميله فى الدراسة وصديق شبابه ، والذى اشتهر بتخصصه الفلكى اضافة الى ما اشتهر عنه من الأدب والشعر الفارسى كـان قد خصص له أحدث المراصد الفلكية فى تلك المرحلة مما ساعده على اعـــادة النظر فى التقويم السنوى الرسمى — والذى كان مهما جدا بالنسبة لدافعـى الضرائب — حيث تمكن من تعديل موعد افتتاح السنة بما يتلاءم مع التخفيـف عن أبناء الأمة وينتظم مع مواعيد الانتاج الزراعى الطبيعى . وقد استعمـــل الخيام تقويمه الجديد ابتداء من بداية السنة الفارسية الجديدة المقابلة لعـام ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م ولازال التقويم المستحدث فى هذه السنة يعرف حـــتى يومنا هذا باسم التقويم (الجلالى) أو التقويم السلجوقى (١) .

وتذكر المصادر بأنهم جعلوا النيروز أول نقطة من الحمل ، وكان النـيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبـــدأ التقاويم . (ابن الأثير — الكامل — ٨/ ١٢١) .

(١) تامارا تالبوت رايس — السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ص ١٤٦ .

٤ — " سياسة نامة "

لقد كان تأليف الوزير نظام الملك لكتابه الموسوم بـ " سياسة نامة " استجابة لرغبة السلطان ملكشاه من اجل اعادة تنظيم السلطنه السلجوقيه بشكل عام وفق النظم والتقاليد الاسلاميه والسلجوقيه (١) .

وقد حاز اعجاب السلطان الذى أعلن انه سوف يستند عليه وان يجعله دعامة يرتكز عليها فى حكمه لدولته .

وعندما رأى نظام الملك ان ماكتبه قد وجد قبولا حسنا ورضى فى نفس السلطان استرد ماكتبه وكان يتألف من تسعه وثلاثين فصلا ، والتى تمثل القسم الاول من كتاب " سياسه نامه " بغرض اعاده النظر فيه .

فلما اعاد قراءته وجد أنه بحاجه الى صياغه جديده كما انه فضل اضافه بعض الفصول الجديده . وبالفعل قام بكتابه احد عشر فصلا اخرى وبهذا فقد أصبح الكتاب يحتوى على خمسين فصلا .

---

(١) سنتعرض بالتفصيل الى سبب وضع كتاب سياسة نامه وظروف ذلك .

على أن مخطوطات الكتاب غير منسجمه فى مسأله عدد الابواب التى يحتويها النص غير ان هذه المسأله يمكن ان نصل الى حلها بالرجوع الى قائمه للمحتويات فى صدر كل نسخه والراجح ان بعض الاخطاء فى هذا الخصوص قد تسللت الى النص بسبب سوء تصرف النساخ .

ان العدد الصحيح للفصول التى يشتمل عليها الكتاب تتفق تماما مع الملاحظه التى ثبتها كاتب الخزانه السلجوقيه فى صدر الكتاب والتى ذكر فيها بأن الوزير نظام الملك قد صنف الكتاب اولا من تسع وثلاثين فصلا غير انه ، وبسبب قلقه من مايدبره اعداء السلطنه قد اضاف احد عشر فصلا آخر .

والواقع فان دراسه متفحصه لمحتويات الفصول التاليه للفصل الاربعون من النص تتلائم تماما مع بدايه قسم جديد ويمكن ان نميزها بشكل واضح عما سبق من الفصول وعليه فان من الممكن قبول فكره تقسيم الكتاب الى قسمين والاخذ بملاحظه امين الخزانه المذكور اعلاه . على اننا ينبغى الا نهمل ملاحظه مهمه اوردها حاجى خليفه فى كتابه " كشف الظنون " فقد ذكر هذه المخطوطه تحت اسم " سير الملوك " وقال بانها كتبت بالفارسيه كتبها الوزير نظام الملك الحسن بن على الطوسى المتوفى سنه ٤٨٥ هـ ، وبانه قد صنفه فى تسعه وثلاثين

بابا ، وقد عمله اليمينى واحدا وخمسين وقام باعاده الثبوت وفق مايرى بشكل يخالف رأى المؤلف ومن المؤكد ، استنادا الى ماذكره اليمينى ، ناسخ الخزانه بأن القسم الثانى من الكتاب والذى يشتمل الفصول من اربعين الى نهاية النص ، لم يطلع عليه السلطان ملكشاه ولاندرى عن دقه الدافع لذلك ، الا ان السلطان قد سافر الى بغداد ومعه وزيره . غير ان من المرجح ان يكون النص قد احتوى على بعض العبارات الصريحه من النقد ضد السلطان ملكشاه وخصوصا حينما تعرض فى الفصل الثالث والاربعين عن " النساء المخدرات وسراى الحرم " اذ أنه من المعلوم ان تركان خاتون كانت تعمل جاهده من اجل تأزم العلاقه بين السلطان ووزيره لكى تدفعه الى عزله عن الوزاره وكون موقفها هذا لم يكن يخاف عن الوزير . ومن المحتمل ان يكون تصرف الناسخ قد جرى بما ينسجم مع احترام مكانه السلطان واشاعه الانسجام بينه وبين احفاد الوزير الراحل .(١)

ويبدو انه قد استجد حينذاك من الاسباب مادعى نظام الملك الى اضافة

---

(1) The Book of Government.

الفصول الاخيره ، لعل من ابرزها اشتداد شوكه الباطنيه بعد عوده الحسن الصباح من مصر فى حوالى عام ٤٨٠ هـ/١٠٨٧م ، داعيا للفاطميين ومنظما لصفوف الاسماعيليه .

وهكذا فقد خصص الوزير نظام الملك الفصول الاضافيه الاخيره من الكتاب للحديث عن الفرق المارقه وخروجها عن الاسلام محذرا السلطان من الحسن الصباح وموضحا له الخطر الكبير الذى يتهدد السلاجقه والدوله الاسلاميه بشكل عام من جراء وجود هذه الفرق وخاصه بعد تجمع الصباح وجماعته فى القلاع، وفى نفس الوقت فانه لفت نظر السلطان الى ضروره احكام القبضه من حولهم والقضاء عليهم وعلى اعوانهم بكل ما أوتى من قوه وذلك قبل ان يستفحل شرهم ويتضاعف عدد اتباعهم .

وكان هدف نظام الملك من ذلك توجيه سياسة السلطنه السلجوقيه التوجيه السليم حتى يتمكن من مكافحة هذا الخطر والقضاء عليه بأقصى سرعه .

وماكاد نظام الملك ينتهى من كتابة الفصول الجديده بعد وضع اللمسات الاخيره على الفصول الاولى حتى قرر السلطان ملكشاه التوجه الى بغداد

(وكان ذلك في عام ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢) فبعث نظام الملك بنسخه الكتاب الى ناسخ الخزانه السلطانيه محمد المغربى لغرض استنساخه موصيا اياه بأن يكون جاهزا للتسليم بعد عودته من بغداد حتى يتمكن من تقديمه للسلطان ملكشاه .

الا أن ذلك لم يقدر له ان يكون ، فقد قتل الوزير وهو في الطريق الى بغداد ، كما ان السلطان نفسه قد توفى فى بغداد بعد فتره قصيره .

بقى الكتاب فى حيازه محمد المغربى ناسخ الخزانه السلطانيه الذى لم تساعده الاحداث فى تلك الفتره على استنساخه وفق توجيهات الوزير الراحل . لكن الظرف قد تهيأ فى عهد السلطان محمد بن ملكشاه الذى حكم خلال الفتره (٤٩٨ ـ ٥١١ هـ/ ١١٠٤ ـ ١١١٧م) وهذا يعنى بان الكتاب لم يستنسخ الا بعد وفاه مؤلفه بفتره من الزمن .

يؤكد هذا ان الامام حجه الاسلام ابو حامد محمد الغزالى المتوفى سنه ٥٠٥ هـ/ ١١١١م يصرح فى كتابه " نصيحة الملوك " الذى قدمه للسلطان محمد ، يصرح بانه قد اطلع على كتاب " سير الملوك " وهو ما اطلق على كتاب " سياسة نامه " لنظام الملك . ولا شك فى ان السبب الرئيسى الذى ادى الى

تأخير نسخ الكتاب يرجع الى الاضطرابات الكبيره والحروب الاهليه التى نشبت بين اعضاء البيت السلجوقى الحاكم عامه وبين ابناء ملكشاه خاصه ، فلما استقرت الاوضاع استنسخ ناسخ الخزانه الكتاب وقدمه الى السلطان محمد بن ملكشاه الذى كان قد كلف الامام الغزالى بتأليف " نصيحه الملوك " .

غير ان الناسخ قد اباح لنفسه ان يغير فى بعض عناوين بعض الفصول ومن بدايات الفصول وذلك حتى يلائم بين الكتاب وبين توجيهات السلطان الجديد الذى اقدم الناسخ على تقديمه له مع ان الكتاب وضع اصلا ليقدم الى السلطان الراحل ملكشاه وليس لابنه السلطان محمد .

ولكن بالرغم مما طرأ على الكتاب من تصرف وتعديلات فاننا ينبغى ان لا ننسى دور الناسخ الذى أدى خدمه كبيره للادب الاسلامى عامة والسلجوقى خاصه اذ حفظ لنا هذا الكتاب القيم الذى يخدم كثيرا فى دراسة احوال السلاجقه الادارية والاقتصادية وعلاقاتهم السياسيه ووجهتهم الفكريه .

اما كتاب " الوصايا " او " مجمع الوصايا " وهو الكتاب الذى تنسب مادته الى نظام الملك فمن الثابت انه كتب خلال القرن التاسع الهجرى

للامير فخر الدوله والدين حسن الحفيد الثامن لنظام الملك والذى يفتخر بأنه من سلالة هذا الوزير ٠

وقد ذكر مؤلف هذا الكتاب بأنه عندما فكر بتقديم هديه للامير فخر الدوله لم يجد افضل من وصايا جده العظيم والتى كتبها سنه (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) عندما تخلف عن ركب السلطان ملكشاه الذى ذهب الى بغداد فى هذه السنه فلم يتمكن الوزير من مرافقته لمرضه وخلال هذه الفترة تمكن من كتابه هذا الكتاب ٠ ويستطرد الكاتب ان هذه النصائح القيمه التى تضمنها هذا الكتاب قد ملئت شهرتها الآفاق ٠

ولقد قام المؤلف بتبسيط هذه النصائح والوصايا فى مقدمه تتناول حياة نظام الملك وفصلين يتناول فى الفصل الاول منهما حث ولده (فخر الملك) على ترك الوزاره وتجنب مخاطرها ٠ ويتناول فى الفصل الثانى الآداب والشروط التى يجب ان تتوفر له حين الاشتغال بالوزاره ٠

لكن الحقيقه ان البحث الجاد لايمكنه قبول هذا الادعاء دون تمحيص اذ كيف يتمكن نظام الملك من كتابه الوصايا خلال تلك الفتره الوجيزه والتى كان

خلا لها مريضا والا لما تخلف عن ركب السلطان ، ولما اعطى السعاه والوشـــاه فرصه الوصول الى قلب السلطان والوقيعه بينهما . اضف الى ذلك بأن مؤلـــف " الوصايا " نفسه قد صرح فى مقدمته للكتاب بانه " قد وجد بعض هذه الوصايا فى بطون الكتب والبعض الآخر سمعه عن اجداده المنتسبين الى البيت النظامى " وفى هذا التصريح دليل قاطع على أن الكاتب لم يحصل على نسخه خطيه بقلـــم نظام الملك ، ولعله حصل على المعلومات من الكتب ومن الناس كما يدعى فرتبهـــا ونظمها بعد جمعها ثم رفعها الى الأمير فخر الدوله والدين المذكور .

غير ان بعض المؤرخين المتقدمين قد خلط بين كتاب " الوصايا " هـــذا وبين كتاب " سياسه نامه " فمثلا يروى ميرخوند حقائق تتصل بالصفاريين وخاصـــه اخبار عمرو بن الليث يدعى بأن نظام الملك قد رواها فى وصاياه مع انها ذكـــرت فى كتاب السياسه (١) وقد وقع فى الخطأ نفسه خوند أمير صاحب حبيب السير (٢)

---

(١) انظر تاريخ السامانيين ترجمه ديفريمرى طبعه باريس سنه ١٨٤٥م ص١١٩ من الترجمه وص ٨ من النص (وانظر محمد القزوينى — مقدمه كتاب سياسه نامه — ص ١٤ حاشيه رقم (١))

(٢) انظر طبعه طهران — ج ٢ ص ٩٥ (انظر محمد القزوينى — مقدمه كتـــاب سياسة نامه — ص ١٤ حاشيه (٢)) .

ويذكر ميرخوند فى روضه الصفا قصه عن حسن الصباح زاعما ان نظام الملك قد كتبها فى سياسه نامه مع أنها لم ترد الا فى كتاب الوصايا (١) . وربما يرجع هذا الخلط بين كتاب السياسه وكتاب الوصايا الى ان نظام الملك قد استرجع الفصول التى كتبها للسلطان ملكشاه واضاف احد عشر فصلا آخر فظن بعض اتباع الوزير واعوانه انه كتب كتابا آخر .

ويرى الدكتور العمزاوى بأن هناك كثير من اوجه التشابه تجمع بين الكتابين فالاسلوب الذى يمتاز بالبساطه والسلاسه وتحاشى الالفاظ الغريبه يعتبر من ابرز خصائص الكتابين ، كما ان الاستشهاد بالقصص والنوادر ظاهرة واحده فى الكتابين (٢) .

ويعتقد بأن هذا التشابه الكبير فى الصفات والمزايا التى تظهر فى المؤلفين قد يرجح بأن الشخص الذى قام بجمع الوصايا قد اطلع على كتاب

---

(١) انظر الوصايا ص ٢٩ — ٣٥ من طبعه بمبى (انظر د . محمد العمزاوى مقدمه كتاب سياسة نامه — ص ١٤ حاشيه (٣))

(٢) انظر كتاب " سياسة نامه " ترجمه د . محمد الفراوى ص ١٤

" سياسة نامه " وهذا يتفق مع ادعاء مؤلف الوصايا بأنه قد جمع اكثر المعلومات من قراءه الكتب ومن افواه الناس (١) . ولعل مؤلف كتاب الوصايا قد فضل نسبته الى الوزير نظام الملك بسبب رغبته فى ان يهيئ لا حفاد نظام الملك كتابا يتوارثونه كما كان للبرامكه من قبل . لذا فانه وضع هذا الكتاب ونسبه الى الوزير نظام الملك حتى يكون هو الكتاب المتوارث فى هذا البيت .

ولقد صدر لهذا الكتاب " سياسه نامه " اكثر من طبعه فقد طبعه شيفر ، ثم الخلخالى ، وصدرت بعد ذلك نسخه عباس اقبال واخيرا نشره د . محمد العزاوى بالتعاون مع بنياد فرهنك ايران .

أ — نسخه شيفر :

قام المستشرق الفرنسى شيفر بنشر هذا الكتاب لاول مره اذ اتم طبعه سنه ١٨٩٢ م وقد رجع فى تحقيق النص الفارسى الذى نشره الى ثلاث نسخ خطيه من الكتاب . نسخته الخاصه التى استنسخت سنه

---

(١) ن . م . س

٦٩٠ هـ (١٢٩١م) ، نسخه المتحف البريطانى التى استنسخت سنه ١٠٣٢ هـ (١٦٢٢م) (١) ، فى احمد اباد نقلا عن نسخه اخرى كتبت فى اروسية سنه ٥٦٤ هـ (١١٦٨م) للامير الحاجب الب جمال الدين .

اما النسخه الثالثه فهى نسخه مكتبه برلين التى استنسخت فى الهند عن نسخه كتبت سنه ٥٦٤ هـ وتم استنساخها فى يوم الثلاثاء ١٠ شوال سنه ١٠٥٨ هـ الموافق ٢٩ اكتوبر سنه ١٦٤٨م .

وعندما وجد شيفر ان الفصول الاخيره مضطربه بين النسخ المختلفه التى رجع اليها ارسل هذه الفصول الاخيره بواسطه البارون روزن الى المسيو ژوكوسكى استاذ اللغه الفارسيه بجامعه بطرسبرج فراجعها هذا بدوره على نسختين خطيتين احداهما محفوظه فى المكتبه القيصريه ببطرسبرج والاخرى محفوظه فى المتحف الآسيوى .

والواقع ان الاستاذ شيفر قام بخدمه جليله لانه رجع الى اقدم نسخ

---

(١) نسخه المتحف البريطانى وردت الاشاره اليها فى فهرست المخطوطات الفارسيه فى المتحف البريطانى ، لندن ١٨٨١م ، المجلد الثانى ص ص ٤٤٤ — ٤٤٦

رجع اليها ناشرو الكتاب من بعده ، كما انه وضع فى متناول الباحثين الغربيين ترجمه فرنسيه قيمه كما نبه الى الاخطاء الواضحه • اضافه الى الجهد المبذول فى الهوامش التوضيحيه •

وبعد ان انتهى شيفر من ترجمه الكتاب وضع ملحقا ضمنه الكثير من الاخبار التى تتصل بحياه نظام الملك وعصره ، استقى معلوماته فيه من كتب لم تكن قد نشرت فى ايامه مثل كتب الراوندى وخواندمير وميرخوند وغيرهم •

ب — طبعه الخلخالى :

عندما رأى السيد عبدالرحيم الخلخالى ان النسخ المتداوله بين الناس من طبعه شيفر عزيزه المنال ، كما وجد فيها اخطاء كثيره ترجع الى مرحله الطبع قام بنشر هذا الكتاب متحاشيا الوقوع فى الاخطاء التى تضمنتها طبعه شيفر • ويذكر الخلخالى بانه قد حصل على نسختين الاولى كانت هى ونصيحه الملوك للغزالى فى مجلد واحد لم يعتمد عليها لان تاريخ نسخها لم يكن متقدما ، ثم وقع على نسخه خطيه اخرى لدى ميرزا (حسين خان الاديب لكنها لم تكن افضل من سابقتها • غير انه حصل اخيرا على نسخه خطيه عند الاستاذ عباس اقبال الاشتيانى وجد لها مزايا كثيره اهمها ان النساخ كما يظهر لم يتصرفوا فيها كثيرا ولم

يدخلوا عليها ايه تعديلات ، كما ان تاريخ استنساخها متقدما لذا ماقـــــورن بالنسخ الاخرى فهو قد تم سنه ٧٩٠ هـ . وقد اشرف بنفسه على طبع المـــلازم الاولى من هذه الطبعه غير انه لم يتمكن من الاستمرار فى ذلك العمل لمرض اصابـــه مما اضطره الى ان يعهد بذلك الى غيره .

جـ ــ طبعه عباس اقبال :

عندما وجد الاستاذ عباس ان نسخته الخطيه تعتبر جيده سواء من ناحيـــة الأسلوب أو قلة الاخطاء ، رأى أن يفيد من هذه النسخه فيعيد نشر الكتـــــاب مرة اخرى ويضعه فى متناول الدارسين لاهميته ، وقد أقدم على نشره بعد عشـــرة اعوام من محاولة الخلخالى .

وقد كان حريصا على اختيار انسب وأرق العبارات التى وجدت فى النســخ الخطيه التى توفرت له ، كما صرح فى المقدمه بان الاختلاف بين النسخ لـــــم يكن عظيما وانه قد اختار افصح وأسلس العبارات واقربها الى الفهم ، وذلـــــك على اى حال انتقاء يتعارض مع الامانه فى نقل الصوره كما هى وكما كان يجـــــب ان يكون .

كما انه اشار الى انه قد حذف بعض القصص القصيره وكذلك العبارات التى تعدت حدود الآداب العامه ، لكن لم ينسى ان ينبه فى الحواشى الى الحذف . وقد أدرك الخلخالى بأن عمله هذا يتعارض مع الدقه العلميه واصول تحقيق النص لذلك فقد بادر الى تقديم الاعتذار من هذا الامر الذى لايرضى تدقيق المحققين . بالاضافه الى ترجمه شيفر (لكتاب سياسة نامه) الى الفرنسيه والتى اشرنا اليها آنفا ، صدرت مؤخرا ترجمتان لكتاب سياسة نامه احداهما باللغه العربيه ، وثانيهما باللغه الانجليزيه . وقد ترجم الكتاب الى العربيه الدكتور محمد الفراوى الذى ذكر بانه قد اعتمد نسخه عباس اقبال واضاف بأن تصرف اقبال واعترافه واعتذاره لم يقلل من أهميه الكتاب فى نظره لان ذلك كان موجه بصفه خاصه الى المدققين الذين يريدون مقارنه النصوص الاصليه الموجوده فى النسخ الخطيه المختلفه بهدف الحصول على نص فارسى صحيح هو أقرب مايكون الى ماخطه قلم الوزير .

ويستطرد الدكتور الفراوى فى القول بأن نشر عباس اقبال للدارسين جعله يضاعف العنايه والاهتمام بالجانب التاريخى وخاصة فى الفصول الاخيره المضطربه فى نسختى شيفر والخلخالى .

أما العبارات والقصص التي كان عباس اقبال قد حذفها فقد استطاع الدكتور الحزاوي الرجوع اليها باستعمال نسختي شيفر والخلخالي — مما افسى ذلك الخلل . غير ان الحزاوي اتبع شيفر في تبويبه للفصول وان كان هذا التبويب لا يختلف كثيرا عن نسخه اقبال . وقد وحد بين الفصل السابع والعشرين والثامن والعشرين جاعلا منهما الفصل السابع والعشرين ، كما قام بالفصل بين الاربعين والحادي والاربعين وكذلك بين الرابع والاربعين والخامس والاربعين ، ثم وحد بين السادس والاربعين والسابع والاربعين جاعلا منهما فصلا واحدا ، لكنه نبه في حاشيه كل فصل الى الاختلاف في التبويب بين النسخ المختلفه .. ومما شجعه على القيام بمثل هذا العمل ان كل فصل من فصول نسخه شيفر كان مختلفا عن الفصل الذي يليه ويعالج موضوعا آخر لاصله بينهما من قريب في حين ان الفصول التي ضمها الى بعضها كانت تعالج موضوعا موحدا . على ان الدكتور الحزاوي لم يعمد الى المقارنة في اثناء ترجمته للنص بين نسختي شيفر واقبال ، كما انه لم يعمد الى ابراز الاختلافات الحاصله بين النصين .

غير انه ذكر بانه قد استفاد من تعليقات الناشرين وذلك في تصحيح

المعلومات الوارده في الكتاب وفي ضبطه للنص ٠

أما الترجمة فقد كان اثناءها حريصا على وضوح الفكره من خلال الاسلـــوب السهل واستبعاد الالفاظ الغريبه حتى يظهر الكتاب جميلا انيقا في ثوبه العربي كما هو في اصله الفارسي ٠

اما الترجمة الانجليزيه (١) فقد قام بها Herbert Darke حيث جرى نشر الكتاب من قبل السيد احسان يارشتر في جامعة كولومبيا فـــــي الولايات المتحده الامريكيه بواسطه Routledge and Kegan - London - بلشراف مؤسسه Henley and Boston ضمن سلسلـــة Persian Heritage Series

والحقيقه انه منذ ان قام شيفر بنشر النص الفارسي (١٨٩١)م والترجمـــه الفرنسيه (١٨٩٣)م والكتاب يعرف في اوروبا بسياســة نامه ،وعلى ذلك فـــان الترجمة العربية ابقت على العنوان " كتاب الحكومه " ونجد ان كل النســـخ

---

(1) The Book of Government. or: Rules for Kings.

تعطى عناوين مثل سير الملوك (حرفيا آداب وسلوك الملوك) والكتاب كان معروف فى ايران بهذا الاسم وقد نقل عن الادب الفارسى خلال قرون عديده (١)

وقد ذكر ناسخ كتب الخزانه السلجوقيه بان سبب وضع هذا الكتاب يرجع الى " ان السلطان أبا الفتح ملكشاه بن محمد أمين أمير المؤمنين أمر فى سنه ٤٨٤ هـ عدد من كبار رجال الدوله وعلى رأسهم الشيوخ والعلماء امر هؤلاء أن يتأملوا فى الاوضاع السائده وينظروا الاشياء الخبيثه التى انتشرت فى تلك الفتره فهم قديرون مالا يراه السلطان لانه منهمك فى تصريف شئون المملكه وقد تحدث امور لا يرضى بها وهو غافل عنها .

كما طلب منهم ان يوافوه بافضل الطرق التى كان الملوك والحكام السابقين يعالجون بها المشاكل والتى قد تتصل بدوله السلاجقه من قريب أو بعيد " (٢)

كان من بين الذين كلفهم السلطان بكتابه آرائهم ومقترحاتهم وزيره

---

(1) The Book of Government.

(٢) انظر ترجمه د . محمد العزاوى لكتاب " سياسه نامه " ص ٢٩

نظام الملك بالاضافه الى عدد من ابرز شخصيات الادارة السلجوقية منهم " شرف الملك " صاحب ديوان الزمام والاستيفاء منذ أيام السلطان الب ارسلان ، و " تاج الملك " ابو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز الملقب بابن دارست . و " مجد الملك " ابو الفضل اسعد بن محمد مجد الملك القمى الذى حل محل ابى سعد شرف الملك اثناء التغييرات التى تمت فى اواخر ايام نظام الملك .

وقد قام هؤلاء بكتابه مابدى لهم على ضوء الاوضاع السائدة فى المجتمع ثم تقدموا بمقترحاتهم الى السلطان ملكشاه ، وقد حازت مقترحات الوزير نظام الملك رضى السلطان وقبوله اذ خاطب وزيره بقوله " كتبت هذه الفصول كلها كما يشتهى فؤادى فلا مزيد . فالاجعلن هذا الكتاب امامى ولا سيرن به فى الناس " . وقد سبقت الاشاره الى ان الكتاب فى الاصل يتألف من تسعه وثلاثين فصلا موجزا وان الوزير قد أعاد قراءتها فتوسع فى الفصول الاولى منها كما اضاف اليها احد عشر فصلا وقد خصص هذه الفصول الاخيره للحديث عن مخالفى الدولة الذين يسعون فى الارض فسادا وينشرون الفتن والفوضى والاضرابات فى انحاء الدوله الاسلامية .

ومن أجل تقييم عادل ودقيق لكتاب " سياسه نامه " فان من الضرورى تقييم اهم الاتجاهات والمبادئ التى تضمنها . غير ان ذلك لايمكن ان يتم عمليا دون استعراض لمحتوياته وهذا ماسيكون غرض البحث فى الصفحات التاليه :

يبحث الفصل الاول : فى احوال اهل العصر ومدح السلطان العادل جلال الدوله معز الدنيا والدين ملكشاه قسيم امير المؤمنين . وهنا يطالعنا نظام الملك بقوله : " لاشك بأن الله سبحانه وتعالى يصطفى من بين خلقه فى كل زمان ومكان شخصيات امتازت بالفضائل والسير الطيبه الحميده ، وقد قلده المولى تبارك وتعالى مصالح الامه وأمن الرعيه وسلامتها من كل اذى كما اوصد به باب الفساد والاضطراب وجعله حاميا لحمى الاسلام رافعا رايته خفاقه ضاربا بيد من حديد على كل من تسول له نفسه الخروج عن طاعته او مخالفه تعاليم هذا الدين الحنيف . وبهذا تحيا الرعيه فى ظل عدله وحمايته وحياه رغيده آمنه مطمأنه لاتخاف على سلامه ارواحها ولا اموالها بعد ان اصبح الامن والاستقرار يرفرف فوق ربوع البلاد (١) .

---

(١) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمة د . محمد الفراوى ص ٣٣

" وعلى هذا فقد تتوفر لعبد من عباد الله السعاده والجاه والاقبال بالتوفيق الالهى ، ويؤتيه الحق تبارك وتعالى العقل والعلم حتى يقدر بهذا العقل وهذا العلم اقدار من هم دونه ، فيرتب لكل منهم مرتبه ويحله المكان اللائق بمقامه . ويختار الله سبحانه من بين هؤلاء طبقه خاصه تمثل رجال البلاط او القائمين بتنفيذ اوامر السلطان الذين يعتمد عليهم فى كفاية المهمات " (١)

ومن واجبات السلطان عدا رعايه الرعيه واقامة الحق والعدل بين الناس ، تعمير واصلاح الارض واقامه الحصون والجسور وانشاء المدن التى تحتوى على الابنيه والمدارس والمستشفيات والاربطه واصلاح الطرق الموصله بين اجزاء الدولة المختلفة (٢) .

ويذكر نظام الملك فى هذا الفصل بأن " الله سبحانه وتعالى قد اعطى ملكشاه الملك والزعامه اللذان نالهما أبا عن جد ، كما جعله فى اجل

---

(١) ن . م . س ص ٣٤

(٢) ن . م . س .

صوره ظهر بها سلطان من الطلعه الحسنه والخصال الحميده مثل رجاحه العقل وغزاره العلم والعدل والشجاعه والفروسيه والاقدام أولا واخيرا التدين ، اجل التمسك باهداب هذا الدين القويم الذى عاذل قوم تمسكوا به وما ارتفع قوم اعرضوا عنه . وكان هذا السلطان العظيم يكن لرجال الدين والمشايخ والعلماء كل احترام وتقدير ، كريم يبذل الصدقات ويرد الظالمين ، وبهذا نال رضى الله عز وجل فسخر له العالم ووصل بقوته وهيبته الى اقطار كثيره انحنت لعظمته صاغره ولمطالبه ملبيه (١).

ويستطرد نظام الملك فى مدحه للسلطان فيقول: " واذا كان الله قد آتى بعض الخلفاء بسطه فى الملك وسعه فان بالهم لم يخل يوما من الانشغال وخروج الخارجين . اما فى هذا العهد المبارك فان احدا لم يضمر فى قلبه خلافا بحمد الله ، ولم يخرج عن ربقه الطاعه فى العالم طرا . أدام الله تعالى هذه الدوله الى يوم القيامه وابعد عين السوء عن كمال اقبالها حتى تحيا الناس فى ظل هذا السلطان يعد له وسياسته وتنقطع له بالدعاء " (٢)

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ـ ترجمة د . محمد العزاوى ص ٣٤

(٢) ن . م . س . ص ٣٥

ويختم نظام الملك الفصل الاول بقوله " ان دوله هذا حالها من العز والقوه والمنعه يحكمها سلطان جمله الله بالعلم والعقل والحلم ليست بحاجه الى مرشد او دليل لكن للملوك افكارا قديرون بها ان يمتحنوا العباد حتى يعلموا قدر شأنهم وعقلهم وعلمهم وهذا هو الذى جعله يأمر بكتابه السيره الحسنه التى لاغنى للملوك عنها • فقمت بكتابه هذه الفصول القلائل بعباره واضحه حتى يتمكن القراء من فهمها والله التوفيق " (١)

اما الفصل الثانى : فقد خصص للحديث فى معرفه قدر نعمه الله تعالى على الملوك ، وقد ذكر نظام الملك بأن معرفة قدر نعمة الله تعالى على الملوك رعايه مرضاته فى الاحسان الى الخلق باقامة العدل بينهم •

وهنا يستشهد الوزير الكاتب بقول مروى عن الرسول عليه الصلاة والسلام انه قال : " اذا حشرت الخلائق يوم القيامة جئ بمن كانت له على الناس يد وأمر ويداه مغلولتان • فاذا كان عادلا اطلق العدل يديه وأدخله الجنه ،

---

(١) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمة د • محمد العزاوى ص ٣٥

واذا كان ظالما القى فى النار مغلول اليدين بالاغلال " (١) لهذا وجب على كل من له أمر على الخلق الايكل مهام ذلك الى احد بل عليه ان يستطلع احوال الرعيه ويرد ظلم الظالمين حتى يديم الله ملكه وسلطانه ويذكروا عهده بالخير وتلهج له السنتهم بالدعاء جزاه الله عنا وعنهم خير الجزاء . وقد خصص الفصل الثالث للكلام فى جلوس السلطان للمظالم واقامه العدل وانتهاج السيره الصالحه فهو يرى ان من واجب السلطان ان يجلس بنفسه للمظالم يومين من كل اسبوع يأخذ للمظلوم حقه ممن ظلمه ، كما انه ينصح السلطان بأن يستمع لرعيته دون وساطه وذلك لان اظهار حرصه على اقامه العدل فيه ارهاب للولاه الظالمين . وفى هذا المجال ضرب العديد من الامثله . (٢)

وتحدث الوزير فى الفصل الرابع عن العمال واحوال الوزراء والكتاب وفى

---

(١) اورد الامام الغزالى فى الحديث فى نصيحه الملوك ص ١٢ اللفظ " ما من رجل ولى امر عشره من الناس الا وجئ به يوم القيامه ويداه مغلولتان الى عنقه فان كان عمله صالحا فك الفل عنه وان كان عمله سيئا زيد عليه غل آخر "
(انظر كتاب سياسه نامه ترجمه د . محمد العزاوى ص ٣٦ الحاشيه ٢)

(٢) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمه د . محمد العزاوى ص ٣٩ الى ص ٥٠

هذا الباب نراه ينصح عندما يتولى العمال عملا بأنه يجب ان يوصى هؤلاء بالمعاملة الطيبه والسيره المطره فى خلق الله والا يأخذوا منهم الاموال الا بالحق وان تكون مطالبتهم هذه باللين والرفق حتى لا يصيب الرعيه ضرر من جراء ذلك (١) .

وقد ضرب نظام الملك عددا من الامثله لحكايات وردت فى هذا المعنى (٢) اسوق منها على سبيل المثال الذى اورده عن " الملك كيقباذ " .

يذكر ان العالم اصيب بقحط عظيم فى ايام هذا الملك استمر لمده سبع سنوات فانقطع المطر وجفت الارض وتوقفت الارزاق لكن الملك تصرف تصرفا سليما يدل على الحكمه وبعد النظر فقد امر عماله بأن يبيعوا ما لديهم من غلال ويتصدقوا ببعض منها وينفقوا على الضعفاء من الناس من الخزانه ومن بيت المال . وبهذا انقضت هذه الفتره بسلام ومرت السنوات السبع العجاف دون ان يهلك أحد . وهنا نرى نظام الملك يبادر الى الاستفادة من هذا المثل الذى اورده اذ يقول :

---

(١) ن . م . س ص ٥١

(٢) انظر الترجمه العربيه لكتاب سياسة نامه ص ٥١

" وعلى ايه حال ينبغى مداومه السؤال عن احوال العمال فاذا كـــان العامل قائما بعمله على خير وجه ظل متوليا هذا العمل والا استبدله السلطـــان بآخر افضل منه لايحاسبه الله عنه يوم القيامه ." (١) مما يدل على نظره ثاقبـه حازمه فى مجال الاداره . ثم يقول : " ويجب ايضا مراقبه الوزراء والمعتمديـــن والسؤال سرا عن احوالهم ومعاملتهم للرعيه لان صلاح السلطان والرعيه وفسادهما رهينان بهم " (٢)

وهنا يخلص الى تحذير السلطان من مغبه الاستبداد والجور فيقـــول : " ولكن السلطان هو المسئول الاول يوم الحساب والجزاء فلا ينبغى له ان يغفـــل عن احد من وكلائه والمتصرفين بامور دولته فاذا بدر من احدهم خيانه عليه ان يعزله من منصبه ويعاقبه على سوء عمله حتى يعتبر بذلك الآخرون ، وحتى لا يجرؤ احدا ان يمكر بالسلطان خوفا من العقاب " (٣)

---

(١) ن . م . س

(٢) ن . م . س ص ٥١

(٣) ن . م . س ص ٦٠

ويختم هذا الفصل بقوله: "فاذا كان السلطان يقظا حازما لم تخف عليه خافيه" (١) وهذا المعنى لايتفق تماما مع النظره الاسلاميه الصافيه فالله سبحانه وتعالى وحده الذى لاتخفى عليه خافيه . ولعل نظام الملك قد قصد ان يكون السلطان على اطلاع تام على احوال الرعيه قدر المستطاع .

اما الفصل الخامس: فقد افرده للحديث عن احوال اهل الاقطاع وسيرتهم فى الناس واحوالهم ، استهله بنصيحته لهم بأن يعلموا بانه "ليس لهم على الرعيه من امر الا ان يجبوا منهم المال المفروض ، فاذا حصل هؤلاء على مطلبهم وجب ان يأمن الناس على اموالهم وأنفسهم . اما من سار من المقطعين فى الناس بغير ذلك وجب ان تغل يداه وان يسترد منه اقطاعه حتى يتعظ به الآخرون" (٢)

ثم يأخذ بضرب الامثله كعادته فى الفصول المختلفه . فضرب . مثلا عن انوشروان وتسامحه مع اهل الاقطاع وكيف انهم طغوا واعتدوا وخاصه واليه على اذربيجان وماكان من نهايه ظلمه وجوره اذ نكل به اشد تنكيل ، وبعد

---

(١) ن . م . س

(٢) انظر الترجمه العربيه لكتاب السياسه ص ٦١

ان يعطى تفصيلات دقيقه عن هذه القصه يقول نظام الملك معقبا : " وهكذا نجد انه بهذه العقوبه التى وقعها انو شروان العادل صلح امر مملكته جميعا "(١)

وقد تحدث فى الفصل السادس عن القضاء والخطباء والمحتسبين الذين قال بانه " يجب ان يكون اختيارهم معتمدا على الورع والتقوى والتفقه فى امور الدين ، والعلم والعفه وعلى السلطان ان يعزل منهم من لم يكن كذلك ويستبدل به من هو أليق منه . ولما كانت المسئوليه الملقاه على عواتقهم جسيمه لتسلطهم على دماء المسلمين واحوالهم وجب الا يسند هذا الامر الى جاهل او فاسد — او جشع بل يجب ان تفوض الى العالم الورع الذى يخاف الله عز وجل .

وقد ولى القضاء صحابة الرسول عليه الصلاه والسلام بانفسهم خوفا من ان يقضى بين الناس بغير الحق ."(٢) ومع ذلك ضرب عددا من الامثله كعادته لتأييد وجهة نظره .

---

(١) ن . م . س ص ٦٨

(٢) انظر الترجمة العربيه لكتاب سياسة نامه ص ٧٠

اما الفصل السابع فقد خصصه للحديث عن حال العامل والقاضي والشحنه والسياسه وهو يرى بأن " من واجبات السلطان العادل ان يبحث في كل مدينه عن من هو مشفق على امر الدين ليس لغرض او غايه في نفسه وانما اشفاق وخوف من الله عز وجل اذا عثر على امثال هؤلاء فيقول له : اننا جعلنا امانة هذه المدينه والناحيه في عنقك نسألك بالذي يسألنا به الله تعالى في الدار الآخره لذا يجب عليك ان تسأل عن حال العامل والقاضي والمحتسب والرعايا وتعلم بالصغيره والكبيره وتسأل عنها فتخبرنا بحقيقه امرها وتظهرنا في السر والعلانيه على مايجد حتى نأمر في كل شيء منها بما ينبغي " (١)

أما الفصل الثامن فقد تحدث فيه عن احوال الدين والشريعة وهو يرى بانه يجب على السلطان ان يتمسك بهما " حتى يكون على يقين ومعرفة تامة بامر الفرائض والسنن والعمل على تطبيق اوامر الله سبحانه وتعالى ورعايه حرمه علماء الدين واجلال الزهاد والاتقياء من عباده ، كما يقتضي الواجب ان يجتمع السلطان برجال الدين كل اسبوع مره او مرتين ليستمع منهم الى المزيد من تفسير

---

(١) انظر الترجمه العربيه لكتاب سياسه نامه ص ٧٧

آيات القرآن الكريم وليقف على أخبار الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته ثم أخبار الملوك والحكام الذين ساروا بالعدل بين الناس " (١) وبهذا يرى نظام الملك صلاح امر الدنيا والدين وتم تصريف الامور على خير وجه . وكالعاده توجه المؤلف فضرب بعض الامثله للتدليل على صحه وجهة نظره .

وفى الفصل التاسع تحدث المؤلف عن المشرفين وارزاقهم ، وهو يرى بأن الاشراف " على اعمال الدوله يجب ان يكون على يد اشخاص امناء اذا بعثوا نوابا عنهم الى الولايات عليهم ان يدققوا فى اختيارهم على ان يكونوا معروفين بالامانه والاستقامه ، يأتون بالاخبار صغيرها وكبيرها . ويشترط ان يعطى هؤلاء من بيت مال المسلمين مايكفيهم حتى لايضطروا الى اخذ الرشوه أو قبول الخيانه من اجل حفنه من المال . (٢)

أما الفصل العاشر فقد افرده للكلام عن اصحاب الخبر والشهبين وتدبير امور الملك وهو يرى بأن " البريد من وسائل الاتصال المهمه فى حياتنا ولايخفى علينا ان هذا الامر عرف منذ قديم الزمان سواء فى الجاهليه

---

(١) ن . م . س ص ٩٠

(٢) انظر الترجمه العربيه لكتاب سياسة نامه ص ٩٣

أو الاسلام ، لكن طرأت عليه كثير من التطورات تبعا لتغير الازمان . ومـــا ان السلطان يجب ان يكون عالما بكل مايدور فى مملكته دائم السؤال عن احـوال الرعيه والجند والقاصى والدانى لانه ان لم يفعل ذلك اتهم بالغفله والاهمـال . وقد قيل " اما ان السلطان يدرى بالفساد والاستطاله فى مملكته واما انـــه لايدرى فان كان يدرى بهما ولايتداركهما ويمنعهما فهو ظالم لانه يرضى بالظلـم وان كان لايدرى : فهو غافل قليل العلم " + وكلا الامرين يعيبه " (١)

ويواصل نظام الملك حديثه عن صاحب البريد فيقول " اذن والحالـه هذه فالحاجة تدعو الى صاحب بريد لكن مهمه صاحب البريد ليست كما يبدو سهلـه بل ان عمله دقيق للغايه ويجب الا يسلم هذا العمل الا لاناس بعيدين عن التهـم والشبهات لايرقى الشك الى ايديهم او السنتهم او اقلا مهم ولاهم بالغافلين الذين لايكترثون بالامانه الملقاه على عواتقهم لان صلاح المملكه وفسادها مرتبط بهم " (٢)

وهكذا فهو يقرر بأنه " يجب ان يتم تعيين هؤلاء من قبل السلطـان ،

---

(١) انظر كتاب " سياسة نامه " لنظام الملك ترجمه د . محمد العزاوى ص ٩٤

(٢) ن . م . س .

أما رواتبهم فتكون شهريه منتظمه حتى لا يصرفهم جمع المال عن عملهم ، كما ينبغى الا يعلم غير السلطان ماذا ينقلون من اخبار " (١) ثم ضرب بعد ذلك بعض الامثله .

اما الفصل الحادى عشر فقد وضع له عنوانا : " فى تعظيم تواقيع السلطان اعلاه الله والوصايا التى تكتب من الدركاه " وهو فى هذا الفصل يبين اهميه توقيع السلطان وبانه ملزم لكل الناس له من الحرمه مالا يجرؤ احد على نقضه او عدم انفاذه . واذا ظهر ان احدا قد استصغر امر التوقيع او لم يقم به عوقب اشد العقاب . وهو يرى بأن الفرق بين السلطان وبين عامه الناس هو انهم منقادين لا مره عاملين بتوقيعه (٢) وبعد ذلك نجده يضرب المثال التالى :

" يذكر ان امرأه وقفت بباب السلطان محمود متظلمه من ان عامل نيسابور استولى على ضياعها وضمها الى حوزته . فبعث السلطان من يأمر

---

(١) ن . م . س

(٢) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمة د . محمد الفراوى ص ١٠٣ حاشيه رقم (١)

برد ضياع تلك المرأه اليها لكن العامل رفض بحجه انه يملك حجه رسميه لتلك الضياع فطلب ان يحمل من نيسابور الى غزنه وهناك امر السلطان بأن يضرب الف سوط ردعا له ولامثاله لانه لم ينفذ حكم التوقيع فالاجدى له ان يفعل ذلك ثم يوضح للسلطان فيما بعد انه يملك الاثبات الكافى على احقيه ملكيته لهذه الضياع فيحكم له بماينبغى " (١)

اما الفصل الثانى عشر فقد افرده للكلام فى " ارسال الغلمان من الدركاه فى المهمات " (٢) فيقول بأن الغلمان يسمون فى المهمات ، وقد يحملون توقيعا ، وقد لايحملون وهم يقومون بجمع الاموال مع تخصيص جزء منها لانفسهم وفى هذا ظلم للناس وضياع للاموال ونشر للفوضى . لهذا وجب الايرسل غلام الا اذا كان هناك مايستدعى ذلك والا يرسل الا بتوقيع عال ، على ان يتفق مع على المبلغ الذى يستحقه على تلك الخصومه وبهذا يمكن تفادى ماقد يقع من اخطاء ، وهو بذلك انما يريد ان تتفادى الاداره فوضى يبدو انها كانت شائعه قبل هذا الاجراء .

---

(١) ن . م . س ص ١٠٣ — ١٠٤

(٢) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمه د . محمد الفراوى ص ١٠٦

وفى الفصل الثالث عشر تحدث عن ضروره " بث العيون وتدبير عملهم على صلاح المملكه والرعيه " وقال بان هذا الفصل خاص فى نشر العيون او كما يطلق عليهم اليوم الجواسيس ، لكن هؤلاء ليسوا كما قد يتبادر الى الذهن رجال لا يحملون الا الشر وانما عين هؤلاء ليقوموا بمراقبه احوال الناس ومن اجل ضمان امن واستقرار وسلامه البلاد . ويضيف بأن هؤلاء ينبغى ان ينتشروا على هيئه تجار وسياح ومتصوفه ودراويش حتى لا يفطن الناس الى مهمتهم فتقصر السنتهم وتيحاشونهم . وقال بأن واجب هؤلاء ان يقوموا بنقل الاخبار الى الملك وبالتالى يمكن تدارك الامر قبل وقوعه . وقد تتآمر مجموعه من الولاه والامراء واصحاب الاقطاع على الملك لكن عندما تصله اخبار هؤلاء عن طريق الجواسيس تمكن من رد كيدهم واوقع بهم واحبط مؤامرتهم " (١)

وتحدث فى الفصل الرابع عشر عن " ارسال العدائين والبرد على الدوام " (٢) فقال : يجب ان يرسل العدائين فى الطرق المعروفه وترتب لهم وظائفهم وتصدر لهم مرسوماتهم . واذا كان الامر كذلك اجتهدوا فى نقل الاخبار وكل مايجد من حوادث لكن يجب ان يعين اشخاص يكونون مسئولين

---

(١) نظام الملك — سياسه نامه — ترجمه د . محمد الفراوى ص ١٠٧

(٢) ن . م . س ص ١١٩

عنهم حتى تتجنب تقصيرهم فى اعمالهم •

الفصل الخامس عشر : فى اتخاذ الحيطه فى امثله السلطان فـــــى السكر واليقظه تصل الاحكام السلطانيه الى الديوان والخزانه فى المهمات الـــتى تتعلق بامور الولايات والاقطاعات والصلات وربما كان بعض هذه الاحكام والامثله ممـا يجب اجراءه فى الحال وهذا امر ينبغى ان تتوخى فيه الدقه المتناهيه فالرسالـــه يجب ان يرويها لسان رسول واحد ولاينوب احدا سواه • ويشترط الا ينفـــذ اى امر الا بعد ان يعرض على الباب العالى • وهذا من باب الاحتياط حـــتى لاينفذ شىء لم يثبت بعد " (١)

وفى الفصل السادس عشر تحدث فى امر الوكيل الخاص وعن طبيعـــه عمله ، وهو يرى " بأن الوكاله لاتكون الا للرجل الشريف الامين المحتـــرم المعروف بين الناس بالسيره الحسنه ، كما ينبغى لمن تسلم عمل الوكيل واصبـــح مسئولا عن الامور الداخليه مثل المصروفات والاهتمام بامر العيال والحاشيه ينبغـــى ان يعلم الرأى العالى بكل مايصدر عنه من تصرفات • وله حق الاحترام والتقديـر

---

(١) ن • م • س ص ١٢٠

حتى يسهل عليه اداء عمله . (١)

وقد خصص الفصل السابع عشر للكلام عن الندامى والمقربين وترتيب احوالهم . فقال " يختص هذا الفصل بالحديث عن الشخصيات القريبه من الملك واعطى مثلا لذلك النديم الذى يستحسن ان يكون فاضلا حسن السيره لبقا خفيف الظل لان مهمته مرافقه الملك والجلوس اليه لتخفيف اعباء الحياه عنه " . وقال : " هؤلاء الندماء ينبغى ان يخصص لهم وقت محدود فلا يجتمعون بالملك فى حضره الاكابر ورجال الدوله . ولا يجب لمن كان يتولى عملا من الاعمال ان يسمح له بمنادمه الملك ولا من كان نديما للملك لا يؤذن له بتأديه عمل آخر لان النديم يتبسط مع الملك ويروى له كل ماعن له ، اما العامل فيجب ان يخشى السلطان دائما وان يتعامل معه بتحفظ . وللنديم فائده ومصلحه عظيمه فهو للسلطان مؤنسا ورفيقا بمثابه الحافظ الواقى ، والندامى يأتون باخبار الملوك ، والحكام الاخرين . لهذا فالندماء واسعى الاطلاع على قدر من الثقافه قارئين للقصص حافظين لكثير من الاحاديث موافقين للسلطان لا يخالفون رأيه او امره .

---

(١) ن . م . س ص ١٢١ وانظر حاشيه رقم (١)

واذا اراد الناس ان يعرفوا طبع السلطان وعادته نظروا الى نديمه. (١)

الفصل الثامن عشر : في مشوره السلطان للعلماء والحكماء في الامـــــور.

لاشك بأن المشوره دليل قوه الرأى والبحث عن الاصلح من امور الدين والدنيـا ، كما انها من تمام العقل وعمد النظر والحكمه لانه مابلغ احد من القوه والمعرفـــه الا وكان هناك من هو اقدر منه واعلم منه . قد يملك احدهما العلم أما الاخـــر فيمتلك الخبره والتجربه اذ ن فلا غنى لاحدهما عن الاخر. " (٢) ثم ينتقل بعـــد ذلك ليتحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم فيقول :

" ومهما مرت الاعوام فان شخصيه الرسول الاعظم خاتم الانبياء والمرسليـن محمدا عليه افضل الصلاه والتسليم ستظل الى ابد الآبدين اعظم شخصيه ظهـرت خلال التاريخ . وقد كان عليه السلام قوى الرأى يهبط عليه جبريل فى كل ساعـــه بالوحى فينبئه بانباء ماكان ومالم يكن ، ورغم كل ماتحلى به من الفضائل ومحاســن الصفات وكل مالوتى به من المعجزات فان الله تعالى يأمره بقوله " وشاورهـــم فى الامر " (٣)

---

(١) نظام الملك ــ سياسة نامه ــ ترجمه د . محمد العسراوى ص ص ١٢٢ــ١٢٣

(٢) ن . م . س ص ١٢٥

(٣) قرآن كريم ، سوره ال عمران آيه ١٥٩ . وماتجدر ملاحظته ان هـــذه العباره هى بالنص العباره التى استخدمها صاحب قابوسنامه انظر ص ٣٣ (الترجمه العربيه لكتاب السياسه ص ١٢٥ حاشيه (١)

أجل يأمره الحق تبارك وتعالى بالمشوره ومثله غنى عن المشوره والتدبير • فالاحرى بالسلطان اذا اراد ان يقضى امرا من الامور ان يستشير فيه الشيوخ والعلمـــاء حتى ينتج عن هذا الرأى الصواب •

أما ضعيف الرأى فهو من تـرك المشوره معتقدا انه ليس بحاجه لهـــا ومثل هؤلاء يسمى بالمستبد الذى يقوم بعمله بمفرده يحكم بما بدى له دون مشوره توضح له الامر " • (١)

وقد تحدث نظام الملك فى الفصل التاسع عشر من كتاب سياسه نامـــه عن الحرس الخاص ممن كانوا يعرفون باسم " المفردين " كما تحدث عـــن اعدادهم وترتيب اعمالهم واحوالهم • وقال بأن هذا النوع من الحرس يختـــار افراده من بين من يمتازون بالشجاعه والاقدام بالاضافه الى حسن المنظـــر • وهو يؤكد على ان يخصص للمفردين ملابس خاصه وان يجهزوا بالسلاح الكامـــل حتى يكونوا على اتم استعداد لاداء عملهم وذكر بأن عددهم لا يتجاوز المائتـــى رجل ، اما بالنسبه للمشاه فهم دائما اربعه آلاف رجل يتولى الف رجل منهـــم

---

(١) نظام الملك ــ سياسة نامه ــ ترجمه د • محمد العزاوى ص ١٢٦

خدمة السلطان . اما الباقون فهم ضمن خيل الامراء " والاسفهلاريه " (١) الى ان تظهر الحاجه اليهم .

اما فى الفصل العشرين فقد تكلم عن ترتيب السلاح المرصع فى المجلس. وقد اكثر نظام الملك هنا من مدح السلطان ملكشاه واغداق الثناء عليه والاطراء له فهو يقول بأنه " يجب ان يكون هناك عدده كامله من السلاح المرصع تودع الخزانه حتى اذا اقبلت الرسل من الاطراف تقلدها عشرون غلاما واخذوا يلتفون حول العرش " ويستطرد الوزير بقوله " ولئن كان مولاى قد بلغ بحمد الله ، مقاما يستغنى فيه عن هذا التكلف غير ان زينه الملك وترتيب السلطنه يجب ان يكونا على قدر همة الملك . (٢)

كما تحدث فى الفصل الحادى والعشرين فى احوال الرسل وترتيب اعمالهم ، ويتناول امر الرسل ، صفاتهم ، مهمتهم ، أهميتهم ، تأثيرهم على الدولة بكاملها . وهو يرى بأن الرسول يجب الا يعلم به احد قبل وصوله

---

(١) امراء الجند

(٢) نظام الملك ـ سياسة نامه ـ ترجمه د . محمد القراوى ص ١٢٨

بل يجب ان يؤمر ولاه الحدود بانهم اذا بلغهم احد من الرسل بعثوا فـــــى الحال يسألونه من يكون ومن اين اقبل ؟ وكم معه من الجنود والفرسان وماهـــى الغايه من مجيئه ؟ . وهو يرى بأن الرسول اهل للاكرام وحسن الوفـــــاده وهكذا يفعل الملوك دائما لان ماينال الرسل من خير او شر ينال سلطانهـــــم والملك حريص كل الحرص على دوام الالفه والمحبه والتعاون وتوثيق العلاقـــــات بينه وبين باقى الملوك ، من ناحيه اخرى فلقد ارسى نظام الملك قاعده مهمـــــه فى العلاقات الدبلوماسيه فهو يرى بانه اذا نشب خلاف او ساءت العلاقـــات بين السلطان وبين باقى الحكام فان الرسل لاتتعرض للاذى مهما بلغته مـــن رسائل غليظه وهو يستشهد بالقرآن الكريم اذ يقول " وهذا مصداقا لما ورد فـى القرآن الكريم : " وما على الرسول الا البلاغ المبين " (١)

" وعاده فان الرسل يختلفون الى الوزراء فى اى وقت من الاوقـــــات ليخاطبوهم بما لديهم واحيانا ينقلون ماعندهم من الاقوال للوزير الذى ينقلهـــا

---

(١) قرآن كريم — سوره النور — آيه ٥٣

بدوره الى السلطان . " مهمة الرسل ليست نقل الاخبار والآراء والمقترحات بين الملوك فقط فانهم يقومون احيانا باستطلاع احوال البلاد ويلتمسون العيوب واوجه النقص فى المملكه لينالوا بها من السلاطين فى وقت آخر " (١)

اما عن الصفات التى يجب ان تتوفر فى الرسول فيرى نظام الملك بانه " لايليق بهذا الامر الا رجل عاقل حكيم لان السفير او الرسول يمثل شخصيه سيده السلطان . لهذا يفضل ان يكون فارسا شجاعا جوادا كريما حتى يعطى صوره حسنه عن قومه " (٢)

وفى الفصل الثانى والعشرين يرى المؤلف بانه ينبغى تيسير العلف فى المراحل . فهو يدعوا الى تخفيف المشقه عن المسافرين وذلك بتوفير العلف اللازم للدواب على طول الطريق التى يمر بها الركاب حتى لايعجز هؤلاء عن المضى فيما عقدوا العزم عليه . (٣)

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ـ ترجمه د . محمد العزاوى ص ١٣١

(٢) منهم سعد الدوله كوهرائين شحنه بغداد الذى تولى اخذ العهد لملكشاه (انظر كتاب سياسة نامه ـ ترجمه د . محمد العزاوى ص ١٣٣ الحاشيه رقم ٢)

(٣) نظام الملك ـ سياسة نامه ـ ترجمه د . محمد العزاوى ص ١٣٤

وتحدث فى الفصل الثالث والعشرين فى تعيين اموال الجند حيث عالج مسأله الجند وكيفيه تحديد اموالهم وارزاقهم ، اما أهل الاقطاع منهم فيصبح ما بأيديهم ملكا خاصا لهم . والغلمان الذين لايملكون اقطاعا تعين لهم ارزاقهم كما ان من المهم تسليمهم مايستحقون من اجر فى حينه بحيث لايحال امرهم الى الخزانه والافضل ان يسلمهم السلطان رواتبهم بايديهم حتى تدوم الالفه والمودة بين القائد وجنده . (١) ثم يحدثنا نظام الملك عن ملوك الفرس القدامى الذين كانوا لايقطعون اقطاعا وانما يسلمون كل فرد ارزاقه نجوما (٢) اربعه فى السنه من الخزانه كل حسب قدره .

وفى الفصل الرابع والعشرين تحدث المؤلف عن تفضيل اتخاذ الجيش من كل جنس وهو يرى بان ذلك افضل بكثير من ان يكون الجيش من جنس واحد وذلك حتى تدب المنافسه بينهم ويحرص كل فريق على التفوق والفوز على الفريق الاخر .

---

(١) ن . م . س ص ١٣٥

(٢) النجوم والتنجيم نقول نزل القرآن منجما اى على مراحل باوقات مختلفه ، والمراد به هنا الدفع على اقساط خلال السنه .

وقد كان جيش السلطان محمود يتألف من اجناس مختلفه منها الترك واهل خراسان والعرب والهنود وغيرهم . فاذا اجتمعوا يوم القتال حرص كل جنس على تحقيق النصر حتى لايقال خسر الجيش الفلانى . (١)

اما فى الفصل الخامس والعشرين فقد تكلم عن ارتهان الجند من كل قوم واقامتهم بالدركاه . فهو يرى بانه يجب على امراء العرب والروم والكرد والديلم وهؤلاء الاقوام الذين مازال عهدهم بالطاعه حديثا ان يرسل كل واحد منهم ولدا من اولاده او أخا من اخوته ليقيم بالدركاه على الا يقل عدد هؤلاء عن خمسمائه رجل . واذا مر عام جاءت دفعه جديده وعاد هؤلاء الى بلادهم . واهميه الرهائن على مايبدو حتى لايعصى احد فى المملكه . (٢)

وقد خصص الفصل السادس والعشرون للحديث عن اتخاذ التركمان على هيئه الغلمان واستلحاف الترك وغيرهم فى الخدمه . حيث اشار الى اهميه التركمان (٣) ووجوب ادخالهم فى الخدمه لما لهم من حق على هذه الدوله

---

(١) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمه د . محمد العزاوى ص ١٣٦

(٢) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمه د . محمد العزاوى ص ١٣٨

(٣) التركمان : هم الغز الذين حالفوا السلاجقه ايام نهضتهم الاولى بحكم اشتراكهم واياهم فى الجنس (نظام الملك — سياسة نامه — ترجمه د . محمد الفراوى ص ١٣٩ حاشيه (١))

فقد ساعدوا السلاجقه فى بداية امرهم على تأسيس دولتهم . يجب ان يتخذ هؤلاء على هيئه غلمان الحضر حتى يتدربوا على استعمال السلاح ويستقروا بين الناس فتتحسن طباعهم وتزول تلك القسوه والنفره فى طبعهم .

وتحدث فى الفصل السابع والعشرون عن الرفق بالعبيد حين الخدمه وترتيب اعمالهم فقد حث على الرفق بالعبيد والعطف عليهم وعدم تحميلهم مالايطاق من الاعمال الشاقه وقال بانه يجب ان يعرف كل واحد منهم عمله حتى لايكون هناك حاجه الى اصدار الأوامر كل يوم بل يصبح العبد مسئولا عن عمل معين فهو قد يقوم مثلا على خدمه كبير الحجاب او كبير الامراء لذا عليه ان يكون ملتزما بهذا العمل .

ويذكر نظام الملك بانه كان للغلمان او العبيد نظام معروف فى تربيتهم وتعليمهم منذ يوم شرائهم الى ان يتقدم بهم العمر ، وقد كانت لدى السامانيين عاده متبعه فى ترتيب الغلمان كل على قدر خدمتهم وفضلهم ولياقتهم البدنيه (١)

---

(١) نظام الملك - سياسة نامه - ترجمه د . محمد العزاوى ص ١٤٠

وفى الفصل الثامن والعشرين حصر المؤلف حديثه فى عقد المجلس الخاص والعام . فتحدث عن نظام خاص يتبع فى عقد المجلس اذ يدخل اهل السلطان اولا ، فالمقربين ثم عامة الناس بعد ذلك واذا اجتمعوا للسلطان لم يكن هناك من فرق بينهم لانهم يجلسون فى مكان واحد .

ويبدو ان علامة انعقاد المجلس هى رفع الستار ويرى الوزير بأنه ينبغى ان يجلس السلطان لحضور المجلس لانه ان لم يفعل ذلك ظن به الاكابر الظنون واخذوا يكيدون له فتتعطل شئون الناس وينتشر الفساد لذا ينبغى ان يكثر السلطان من عقد المجالس . (١)

أما الفصل التاسع والعشرين فقد خصصه للحديث عن ترتيب مجلس الشراب وشروطه . فى الاسبوع الذى ينعقد فيه المجلس العام يجب ان يحضره جميع الناس . اما اذا انعقد المجلس الخاص فلا يحضره الا الخواص اما باقى القوم فسيعلمون من تلقاء انفسهم بان هذا المجلس لم يعقد لهم فيمتنعون عن الحضور .

---

(١) ن . م . س ص ١٥٦

" لكن يشترط الا يحضر احد معه طعامه وشرابه لان هذا ينتقص من قدر السلطان فهم كلهم عياله . " (١)

ويجب على السلطان الا يطيل الجلوس الى الموالى فتنتقص حرمته ولا يكثر من مخالطه الاكابر وقواد الجند وذوى الجاه حتى لا يتجرأون عليه ويزول خوفهم منه وليس هناك من ضير عليه فى أن يجلس أحيانا مع الندماء الاكفاء . (٢)

وقد خصص الفصل الثلاثين للحديث عن نظام وقوف العبيد والخدم فوضح بأن هناك نظاما خاصا يتبع فى وقوف الخدم والحشم والعبيد وذلك فى مقام الملوك فلكل واحد منهم مكان معلوم للوقوف نظام وترتيب كما للجلوس كذلك (٣)

وخصص المؤلف الفصل الحادى والثلاثون من سياسه نامه للحديث فى التماس الحاجات ومطالب الجند وخدمه الحشم . فقال ان من المعروف ان

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ـ ترجمة د . محمد العزاوى ص ١٥٧

(٢) ن . م . س ص ١٥٧ ـ ١٥٨

(٣) ن . م . س ص ١٥٩

الاحترام يجب ان يكون متبادلا بين الناس ، لذا فالجند لابد وان يكـــون لرئيس خيلهم ولمقدمهم الاحترام والتقدير فى نفوسهم واذا كان لهم حاجـــه يتقدم بها امير الخيل لانهم ان سألوا عن حاجتهم بانفسهم لم يعد لامـــراء الخيل حرمه فى نفوسهم . (١)

وفى الفصل الثانى والثلاثون تكلم المؤلف فى تعلم التجمل وتصريـــف السلاح وآله الحرب . فقال على ذوى المناصب العاليه والرتب الكبيره ان — يحرصوا على اجاده استخدام السلاح وآله الحرب وشراء الغلمان الذيـــن يزيد جمالهم وحسنهم فى التجمل بالسلاح وليس بجمال الآلات وزينه الدور . والذى يتفوق فى هذا المضمار يكون له فى نفس السلطان منزله خاصه . (٢)

وفى الفصل الثالث والثلاثون تحدث الوزير نظام الملك عن قصـــاص المرفوعه اقدارهم حين يخطئون ويذنبون . فقال انه من الصفات الحسنـــه الحلم عند الغضب وقد سئل على كرم الله وجهه " من اغلب الناس ؟ " قال

---

(١) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمه د . محمد العزاوى ص ١٦٠

(٢) ن . م . س ص ١٦١

قال " من يستطيع ان يملك زمامه حين الغضب ، فلا يأتى من الامر ما يندم عليه حين يسكت عنه غضبه ولات ساعه مندم " (١)

ومن كمال العقل ورجاحته ان يتسلط على الغضب فيقهره قبل ان يتصرف تصرفا غير لائق قد يسبب له متاعب كثيره . ثم اورد كما دته احدى القصص كمثال على ماذكره فى هذا المجال .

وفى الفصل الرابع والثلاثين تكلم عن ترتيب عمل الحرس واصحاب النوبه وحراس الابواب فقال بوجوب اتخاذ الحيطه اللازمه عند تعيين الحرس واصحاب النوبه ، ويجب ان يكون المشرفين عليهم على معرفه تامه بهم فقد يأخذهم الطمع لقله مالهم ، اما واجبات الحرس حين تحل نوبتهم للحراسه فهى ان يكونوا متيقظين وان لايغمض لهم جفن طوال الليل . (٢)

اما الفصل الخامس والثلاثين فقد خصصه المؤلف للكلام عن نصب

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ـ ترجمه د . م حمد العمزاوى ص ١٦٢

(٢) ن . م . ص ١٦٤

الخوان المحسن وترتيب ذلك . وهو يتضمن الحديث عن الكرم باعتباره من افضل الصفات وقد تحلى بها عدد كبير من الملوك والسلاطين الذين كانوا يتكلفون فى امر نصب الخوان ووضع الطعام واطعام كل من يقبل على الديوان فى حاجه له ، وقد كان السلطان طغرلبك يختار من الوان المأكولات أطيبها فكان اذا خرج صباحا للتنزهه والصيد يهيئ له الخدم الطعام ويضعونه امامه فى الصحراء ليشاركه كل الامراء والاعوان . وقال بان الله عز وجل قد حرم جسد حاتم الطائى على نار جنهم لجوده وسخائه وذكر بانه لايزال حتى وقتنا الحاضر مثالا للكرم والاحسان . (١)

وقد خصص المؤلف الفصل السادس والثلاثين للكلام فى الوفاء بحق الخدم والعبيد الاكفاء وقد وضح فيه كيفيه معاملتهم حتى يتقنوا اعمالهم وهو يرى بأنه اذا كانت معامله سيدهم لهم فى غايه الرفق واللين اجتهد الخادم وأخلص فى عمله ، وان اساء معاملته وقسى عليه فلا شك انه سيسخط على سيده ويرجوا زوال نعمته . لذا يجب ان يكافأ كل من فعل فعلا حسنا ، أما

---

(١) نظام الملك — سياسه نامه — ترجمه د . محمد العزاوى ص ١٦٥ — ١٦٧

من قصر فى عمله بدون قصد فيعاقب على قدر ما اقترف من الذنب ، وهـــذا حتى تزداد رغبتهم فى الخدمه ويقبلون على عملهم بنفس راضيه . وضرب مثـــلا على ذلك ذكر فيه بأن المأمون جلس يوما للمظالم فرفعوا له رقعه دفع بها علـــى الفور الى وزيره الفضل بن سهل قائلا لـه : اقضى له حاجته . فان هـــذا الفلك الدائر لا عجل فى دورانه من ان يدوم لحظه واحده على حال . وهـــذه الدار لا سرع فى مسيرها من ان تفى لاحد بشىء . واننا اليوم لقادرون علـــى الاحسان ولربما كان الغد يوما أن اردنا ان نحسن فيه الى احد عجزنا " (١)

وقد افرد المؤلف الفصل السابع والثلاثون للحديث عن وجوب الاحتيـاط فى اقطاع اصحاب الاقطاع وعن احوال الرعيه اذا بدت على الرعيه علائم الضعـف والتلف فى اى ناحيه من النواحى وهو يقترح ان يبعث على الفور بعض الخاصـــه فيقيم فى تلك المدينه او المنطقه متفحصا مستفسرا عن حق كل من صاحب الاقطـــاع والعامل ثم يعود بالخبر ، لكى يتصرف الوزير بالعدل على ضوء تلك الحقائق .(٢)

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ـ ترجمه د . محمد العزاوى ص ١٦٨ـ١٧٠

(٢) ن . م . س ص ١٧١

وقد حث المؤلف السلطان فى الفصل الثامن والثلاثين من الكتاب على التأنى فى أمور الملك وأن يعالج الأمور بحكمة وروية لأن التسرع غالبا يعقبه الندم واللوم وقال : ينبغى للسلطان عدم التعجل فى الأمور فاذا بلغه خبر سيىء يثير الغضب يجب أن يتروى حتى يعلم الحقيقة كاملة ، وأن مثل بين يديه الخصمان فيجب ألا يظهر لهما الى أى الجانبين يميل ، فان علما بذلك خاف صاحب الحق وتجرأ صاحب الباطل ، قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين "(١).

وقال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : " الروية فى كل الأمور محمودة الا فى عمل الخير ، فما تعجله أحد الا ازداد فضلا "(٢).

ولم يهمل المؤلف الحديث عن أمير الحرس والجلادين وآلات العقاب فخصص لها فصلا خاصا بها هو الفصل التاسع والثلاثون ذكر فيه أن امارة

---

(١) قرآن كريم — سورة الحجرات — آية ٦ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامة — ترجمة د . محمد العزاوى ص ١٧٤ .

الحرس من الامور العظيمه فى كل العهود وذلك لان عمله متصل بشكل وثيق بالعقاب والسياسه ، والناس يخشون الملك وعقابه الذى ينزل بهم على يد امير الحرس هذا العقاب الذى يتمثل فى ضرب العنق وقطع الايدى والارجل والضرب قال بانه يجب ان تتوفر لامير الحرس افضل مايكون من الآله والعده ، وان يكون محترما بين الناس يشهد له بحسن المعامله وبالخلق الفاضل الكريم (١) .

وفى الفصل الاربعين تحدث الوزير نظام الملك عن احسان السلطان على خلق الله عز وجل واتيان الامور والمراسم على اصولها فتحدث فى بدايته عن الاحداث التى تصيب المملكه فى كل الازمان ودوام الحال من المحال كما يقال — فقد تتبدل الاوضاع ويضطرب شأن البلاد وتنتشر الفتن ويكثر الظلم والقتل وخلال ايام الفتنه هذه يقوى امر المفسدين ويشتد عودهم ويصل الى الاماره اقل الناس شأنا ويحرم من ذلك ذو الاصل والفضل وتختلط الامور ، ويتلقب الاتراك بلقب الحكام ويلقون الاوامر بلسان السلطان فيضعف شأن الشريعه ويختل ميزان الامور فما يستطيع احد ان يتدارك الامر بعد ان اختلط الناس جميعا وزال التمايز بينهم .

---

(١) ن . م . س ص ١٧٥

ثم اذا انقضت هذه الايام وعادت عهود الامن والرخاء ، اظهر الله تعالى ملكا عادلا من ابناء الملوك ميزه بالعقل والحكمه ليقهر الاعداء ويقضي على الفتن والاضطرابات ويعيد المملكه الى شاطئ الامان .

وترد في هذا الفصل القصه المشهوره لعمر بن الخطاب رضى الله عنه مع الارمله العجوز وكيف انه احسن اليها واكرمها وحمل لها الطعام بنفسه كمثال حي على حرص الوالي على مصالح ابناء الامه . (١)

ثم تحدث في الفصل الواحد والاربعين عن الالقاب التي كانت تطلق على السلطان او الوزير او الامير ومع مرور الزمن كثرت هذه الالقاب واختلطت فاصبح اللقب الذي يطلق على العلماء والائمه يمكن ان يطلق على طالب العلم فلم يعد يعرف الصغير من الكبير ولا الشريف من الوضيع . اما اذا كانت الالقاب خاصه بمن يستحقها فهي ولا شك تدل على شخص معين دون غيره وقد يضم المجلس

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ـ ترجمة د . محمد العزاوي ص ١٧٩ ـ ١٨٢ ـ ١٨٣

خمسة اشخاص يحملون نفس الاسم لا يعرف احدهم من الآخر الا من خلال لقبه الذى ينادى به .

بالنسبة لالقاب الامراء والاكابر " سيف الدوله " و " شمس الدوله " وامثال ذلك . اما القاب اولى الامر والعمداء والمتصرفين " عميد الدوله " و " امين الدوله " ويلقبون عاده بمافيه الملك مثل نظام الملك ، وكمال الملك ومايشبه ذلك . وقد لاحظ محقق كتاب سياسه نامه (١) ان نظام الملك نفسه قد اختص بعدد من الالقاب الخاصه به مثل " الوزير العالم العادل " ، "الكبير" "الصاحب العظيم" ، " تاج الحضرتين " ، " نظام الملك " "الاتابك" "الاتاخواجه" وهو لقب كان يختص به الامراء من قبله اضافه السلطان الب ارسلان حين فوض لوزيره الامور كلها بعد فتح ملاذ جرد .

وكذلك القاب " قوام الدين " ، " رضى امير المؤمنين " وقد ظفر نظام الملك بهما من الخليفه المقتدى بأمر الله مكافأه له عن دفاعه عن نظام الخلافه . ولم يكن احد من الوزراء قد انتسب بألقابه الى امير المؤمنين حتى

---

(١) سياسة نامه — ترجمه د . محمد العمراوى ص ١٩٤ الحاشيه

آنذاك ، بل كان الانتساب له من اختصاص السلاطين (١) .

ويديهى ان يكون اللقب ملائما لحق الرجل مثلا : لقب القضاه والائمه وعلماء الدين يجب ان يكون على نحو " مجد الدين " " شرف الدين " و " شرف الاسلام " و " سيف الدوله " و " زين الشريعه " و " فخر العلماء " وامثال ذلك . ومن لم يكن عالما او رجل دين واعطى لنفسه احد هذه الالقاب على السلطان الا يسمح له بذلك فكل امرئ يجب ان يعرف قدر نفسه (٢) .

اما قواد الجند والامراء والوكلاء فيلقبون بما فيه الدوله نحو " سيف الدوله " و " حسام الدوله " (٣) . ويضيف ان كلمه " الدين " و " الاسلام " و " الدوله " جائزه فى حق اربع طوائف : فى لقب الملوك ، ولقب الوزراء

---

(١) انظر وصايا نظام الملك ص ٥٩ (٣٦ — ٣٧ من طبعه بمبى سنه ١٣٠٥)

(٢) نظام الملك — سياسه نامه — ترجمه د . محمد العزاوى ص ١٩٥

وقد حمل ملوك الديلم فى العراق اعظم الالقاب " الشاهنشاه " او " ملك الملوك " يذكر هذا ابن الاثير فى حوادث سنه ٤٢٩ ، ويذكرها صاحب طبقات الشافعيه ٣/ ٣٠٥

ولقب العلماء والائمه ، ثم لقب الامير الذى يكثر من الغزو وينصره الاسلام (١) .

وقد افرد المؤلف الفصل الثانى والاربعين للحديث عن العمل والعمال وفى عدم السماح لاحد بعملين ووجوب توليه من لاعمل لهم . وقال بأن من الحكمه عدم توليه رجل عملين فى وقت واحد ، وكذلك عدم تقسيم العمل الواحد بين رجلين ففى الحاله الاولى سيصيب التقصير والنقص احد العملين لان اهتمام الرجل سينصب على احد العملين والثانى سيلحقه الاهمال . اما بالنسبه لتقسيم العمل بين رجلين ، فان احدهما سيعهد به الى الآخر ويعتمد عليه فيظل العمل ناقصا ، ولن يهتم احد الرجلين المنوط اليهما العمل لن يهتما لهذا الامر لان كل منهما سينسب الاهمال للشخص الاخر وتكون النتيجة توقف العمل وعدم انجازه . والمسئوليه فى هذه الحاله تلقى على الشخص الثالث الذى عهد اليهما بالعمل . فيجب ان يكون صاحب العمل يقظا حازما يتأكد قبل ان يعهد بالعمل الى اى كان اهو اهل لهذا العمل ؟ فان لم يفعلوا ذلك

---

(١) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمه د . محمد العثاوى ص ١٩٨

سلموا الاعمال لمن لايستحقها وحرموا كثيرا ممن عرفوا بالكفاءه والمروءه والامانه .

كما ينبغى ان تراعى ناحيه مهمه عند تسليم العمل وهو ان يكون العامل ورعا تقيا على ملة ابراهيم عليه السلام . وفى هذا المجال يذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لام ابو موسى الاشعرى لانه استخدم رجلا نصرانى ولم يستخدم مسلما قال عمر لابو موسى " الم تقرأ كلام رب العزه حيث يقول : " ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض (١) " .

ويدعو نظام الملك من خلال هذا الفصل الى عدم تعطيل العمال عن العمل او قطع موارد رزقهم ، وكذلك بالنسبه لعدد افراد الجيش فعندما اخبر السلطان ملكشاه وزيره نظام الملك انه ينوى انقاص عدد افراد جيشه من اربعمائه الف فارس الى سبعين الفا ، كان جواب الوزير بما معناه ان ضخامه الجيش دليل القوه والعزه والمنعه كما ان هذا من اهم الاسباب الداعيه الى الاستمرار فى الفتوحات وتوسيع دولة السلاجقه (٢) .

---

(١) قرآن كريم — سوره المائده — آيه ٥١

(٢) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمة د. محمد العزاوى ص ٢٠٩

وفى الفصل الثالث والأربعين تحدث المؤلف عن النساء المخدرات وسرا ى الحرم وقدر المرؤسين وترتيب ذلك وقال بأنه لا ينبغى بأى حال من الأحـوا ل أن ترتفع أيدى المرؤسين على أيدى الملك فهذا يضعف من قيمة السلطنـــة ويبدد هيبتها ، ونخص بالذكر هنا النساء اللاتى يتدخلن فى أمور السياســة ويصدرن أوامرهن تهما لما تمليه عليهن ارادتهن أو ما ينقله لهم المغرضـون ، وما تسلطت امرأة على سلطان أو وزير أو خليفة الا كان ذلك بداية الضعـــف والاضطراب فى الدولة . ولعله بذلك يعرض بتركان خاتون زوجة السلطـــان ملكشاه وممن يلتف حولها من منافسيه على الوزارة . ثم انه بعد أن ضرب عددا من الأمثلة قال : بأن أجمل ما يزين الملوك الأخلاق الحميدة والأفعـــال الحسنة فان كان على خلق حسن استقامت أمور مملكته وتمكن من تصريف أمورهـا دون الاتكال على أحد من مرؤسيه (١) .

وفى الفصل الرابع والأربعين والفصول الأربعة التالية له أسهب فـــى الحديث عن الفرق المارقة الباطنية الخارجة عن طاعة السلطان ممن عاثـــوا فى الأرض فسادا وقد بدأ حديثه فى ذلك بالاشارة الى الحسن الصباح وجماعته

---

(١) نظام الملك — سياسة نامه — ترجمة . محمد العزاوى ص ٢٢٣ — ٢٣٢ .

الذين تمركزوا خلف اسوار القلاع وأشهرها قلعه الموت . يصفهم نظام الملـــك بقوله انهم " لم يغادروا شيئا من الشر والفساد والبدع الا فعلوه ويقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم وباطنهم نقيض ظاهرهم .

ثم يعرض نظام الملك باعدائه الذين مافتئوا يسيئون اليه ويوغرون صـــدر السلطان عليه ومن ضمن هؤلاء مجد الملك وتاج الملك والاخير كان يميل الـــى الباطنيه .

وينتهى هذا الفصل بذكر المواضع التى خرجت فيها هذه الطائفـــه ، فهى قد ظهرت فى بلاد الشام واليمن والاندلس عده مرات كما ظهرت فى ارض العراق .

ثم تحدث عن خروج مزدك ومذهبه فاستعرض ظهور مزدك وجماعتـــه ، وقال بانه اول من جاء بمذهب المعطله فى العالم ، وقد أراد هذا الرجـــل فى عهد الملك قباذ بن فيروز أبى انوشروان العادل ان يفسد على المجـــوس دينهم ، وذلك عن طريق ادعاءه النبوه وبانه جاء ليصلح دين زرادشت .

ثم تكلم المؤلف بعد ذلك عن خروج سنباذ المجوسى على المسلمين وعـــن

فتنته فيقول انه بعد مقتل ابى مسلم الخراسانى من قبل المنصور خرج هـــذا المجوسى واخذ يوهم الناس بأن أبا مسلم لم يمت وانه سيعود بصحبه مزدك والمهدى المنتظر . وتحدث كذلك عن خروج القرامطه والباطنيه فى قوهستان والعـــراق وخراسان وذكر سبب قيام هذه الفتن وكيف استفحل شرها وانتشر بين النـــاس واعطى تفصيلات عن قيام الاسماعيليه والحركه القرمطيه فى العراق . (١)

ويستطرد نظام الملك فى الحديث عن الفرق الخارجه فيتعرض الـــى خروج الباطنيه فى خراسان وماوراء النهر والى خروجهم بارض الشام والمغـرب ، ثم يعود ليتعرض الى خروجهم هم والمزدكيه فى ناحيه هراه والغور ، ثم يضيـــف الى هذا خروج على بن محمد البرقعى وهو على المذهب الباطنى فى خوزستان والبصره وكذلك خروج ابو سعيد الجنابى وولده ابى طاهر فى البحرين والاحساء وخروج المقنع المروزى فى بلاد ماوراء النهر . ويؤكد نظام الملك بـــأن الباطنيه تخرج فى كل حين ويتلقب اصحابها بلقب جديد فهم قد يسمـــون

---

(١) كما أورده برنارد لويس فى أصول الاسماعيليه ص ١١٤ — ١١٦ مـــن الترجمه العربيه .

بالاسماعيليه او القرامطه او الراوندیه او غيرها ولكن مصدرها واحد . (١)

ثم يأتى نظام الملك على ذكر خروج الخرمدينيه بأصفهان وآذربيجان . واخيرا يقدم نظام الملك معلومات تفصيليه عن بابك الخرمى وارائه والقضاء عليه وهى معلومات تتفق مع ما ورد فى العديد من المصادر كالطبرى والبلاذرى واليعقوبى ومن جميع ذلك يتوصل نظام الملك الى نتيجه واحده بارزه وهى ان اصل مذهب مزدك والخرمدينيه والباطنيه واحد وهدفهم هو هدم الاسلام (٢) .

أما الفصول الثلاثه الاخيره فقد عاد المؤلف ليناقش فيها المسائل الاقتصاديه والماليه التى تهم الدوله كثيرا وتحدد اهميتها وقوتها وتعكس مدى استقرارها فقد عقد فصلا عن " الخزائن ورعايه قواعدها وترتيبها " (٣) ، ثم انه بعد ان تحدث عن ضروره اجابه المتظلمين وانجاز امورهم وانصافهم (٤) وضرب الامثله

---

(١) نظام الملك — سياسه نامه — ترجمه د . محمد العمراوى ص ٢٣٣ الى ٢٨٥

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٨٦ — ٢٩٦

(٣) الفصل الثامن والاربعون ص ٢٩٧ المصدر السابق

(٤) الفصل التاسع والاربعون ص ٢٩٩ المصدر السابق

التاريخيه عن ذلك ، نجده يعود فى الفصل الاخير (١) الى الكلام عن الناحيه الماليه ، مثل حساب الولايات وضروره تنظيمه ، وان يوضح فى كل ولايه مجموع ايراداتها ومايصرف منها . واوضح بأن الفائده من ذلك هى التأمل فى النفقات . وقال بأنه ينبغى ان يكون السلطان معتدلا فى تدبير الامور الماليه وان يكون منصفا مقتفيا آثار السلف الصالح . وذكر ان من الامور المفروضه على السلطان تقصى امر العمال والمعاملات ومعرفه الدخل والمنصرف . وان يكون عالما بأحوال الناس حتى يقدرهم حق قدرهم (٢) .

واخيرا فانه يقدم نصائح عامه الى السلطان يحثه فيها على الالتزام بالشريعه والابتعاد عن عمل الخير .

---

(١) الفصل الخمسون ص ٣٠٤ من كتاب سياسة نامه
(٢) ن . م . ص ٣٠٤

قيمه الكتـاب :

سبق ان ذكرنا عند التقديم لهذا الكتاب القيم أنه وضع اساسا لغـــرض اصلاح الدوله السلجوقيه و وكتب خصيصا ليقدم للسلطان السلجوقى ملكشـــاه وتلبيه لرغبته • وقد قام نظام الملك بكتابه الفصول الاولى وعددها تسع وثلاثـون فصلا وذلك من اجل تسجيل اوجه النقص فى الدوله قبل اقتراح الحلول المؤديـه الى الاصلاح • وقد نال ماكتبه الوزير اعجاب السلطان ملكشاه • وقد أضـــاف نظام الملك الى الكتاب فصولا جديده فى اتجاهين خصص معظمها للحديث عـــن المارقين والخارجين على الاسلام العابثين بامن الدوله واستقرارها • وخصـــص الباقى لشئون التنظيم المالى والاقتصادى فى الدوله •

لقد توخى نظام الملك خلال كتابته ان يرد عن نفسه كيد اعدائه الحاقدين وحساده من رجال البلاط وان يدافع عن الخلافه العباسيه ويفضح امر الباطنيـــه وينظم الحياه الاقتصاديه فى الدوله السلجوقيه فيما يحقق الرخاء والاستقرار والعدل فقد تهيأ لهذا الوزير من الثقافه والخبره التجريبيه ما امكن معها أن يعتبر فـــى عداد اقدر ماأنجب الشرق الاسلامى من الوزراء •

والكتاب قد عرف بأسماء ثلاثه ، " سياسه نامه " و " سير الملوك " و " كتاب السير " وقد أشار نظام الملك الى هذا فى مواضع مختلفه من الكتاب ولكن سواء سمى الكتاب بسير الملوك او بالسير الا أن هذه التسميه لا تنطبق عليه تمام الانطباق بقسميه الاول والثانى فلم يكن يعمد الى متابعه سير الملوك بل كان ينتزع القصه من سيره الملك أو الوزير او العالم ليدعم بها رأيا من الآراء التى يعرضها فى كتابه . وقد صرح نظام الملك بان كتابه ليس كتاب قصص (١) وان كان يحتوى على العديد منها .

أما بالنسبه لتسميه " سياسه نامه " فهى الاقرب الى الواقع لانه كان من خلال هذا الكتاب يريد ان يرشد السلطان الى قواعد واصول السياسه الصحيحه ، وهو فى هذا شديد الاخلاص له حريصا على الصالح العام .

ولم يوضح لنا نظام الملك كيف قام بتأليف كتابه ولا مصادر معلوماته ، فقد اوضح انه انما كتبه اعتمادا على ما حصل عليه من خلال تجاربه اثناء حياته العمليه فى بلاط سلاطين السلاجقه ، وما سمعه من القصص المعبره .

والواقع ان هذا الكتاب من الكتب القيمه النادره التى لاتتأتى كتابتها

---

(١) انظر الفقره الاخيره من كتاب سياسة نامه المترجم الى العربيه ص ٣٠٥

الا لمن كان على شاكله نظام الملك الذى نشأ نشأه علميه وحفظ القرآن الكريم بعد ان تعلم اللغه العربيه ٠

أما الطريقه التى اتبعها فى تأليف كتابه فهى ان يتناول المؤلف ناحيه من النواحى الاداريه التى يعتقد ان فيها النقص والخلل وهو يبين الطريقه المثلى لعلاجها ثم يسوق الامثله التى تؤيد وجهه نظره ٠ وقد لايقتصر فى الامثله التى يوردها على ماورد فى المأثور العربى والفارسى وانما نجده ينتقى قصصا مختلفه من ثقافات اخرى ممايعكس ثقافته وسعة اطلاعه ٠ كما قد تعكس ماشاع فى القرن الخامس الهجرى من ثقافات وماجابه المجتمع الاسلامى من مشاكل متنوعه ٠ وللكتاب بعد ذلك قيمه اخرى تتصل بتطور النثر الفارسى نفسه ، ففى الوقت الذى ظهرت فيه القصه القصيره فى الادب العربى ثم تطورت الى القصه الطويله الكامله ، كان النثر الفارسى يسير فى نفس الاتجاه وبخطوط متوازيه ونلاحظ ذلك عند المقارنه بين القصص التى وردت فى الكتابين "قابوسنامه" و "سياسه نامه" فبالرغم من ان كلا هما قد كتب فى الربع الاخير من القرن الخامس الا ان كتاب السياسه يتضمن القصص الطويله التى تميل

الى الدقه ، ولعل ذلك ناجم عن تداخل التأثيرات اذ لاينبغى ان لنظام الملك اتقان ودقه فى العربيه وآدابها .

أما اسلوب الكتابه فهو بسيط بعيد عن التكلف والتعقيد ويبدو ان هذا هو اسلوب الكتابه فى الادب الفارسى والتى حرص عليها الادباء (١)

واسلوب سياسه نامه الواضح السهل احتل منزله رفيعه بين الاساليب النثريه فقد استمد جماله من بساطته وخلوه من المحسنات البديعيه والالفاظ المنقه والمزخرفه .

هذا مع ملاحظه ان جمال الاسلوب يفقد كثيرا من رونقه بعد الترجمه الى لغه اخرى ولاننسى ان هذا الكتاب الذى بين ايدينا مترجم من الفارسيه الى العربيه . ولهذا الكتاب قيمه اخرى فقد تعرض لحوادث كثيره احاطت بالدوله الاسلاميه وتسببت فى نشر الفوضى والاضطراب والبدع والخرافات ، وحديثه

---

(١) استفاد البحث فى هذه المسأله من رأى السيد محمد الدمرداش الذى ضمنه ترجمته لسياسه نامه انظر ص ١٨ .

عن هؤلاء يجعل له منزلة كبيرة بين من أرخوا لهذه الأفكار والأحداث اضافة الى مكانته الكبيرة فى دراسة الباطنية والاسماعيلية والعقائد الخارجة عن الشريعة والتى ظهرت فى عصره . وان كانت الدراسة الجادة تكشف عن تسرع فى الأحكام وابتعاد عن الدقة العلمية المطلوبة ولعل ذلك نتيجة لعدم استعانته بمصادر مكتوبة وخصوصا أن بعض تلك الكتب قد وصلت درجة تقرب من الكمال فى معالجتها لهذه المواضيع ، ويمكن أن نشير هنا مثلا الى ما كتبه أبوالريحان البيرونى (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) فى هذا المجال .

ولعل ما حصل كان متعمدا ، فالوزير نظام الملك كان يرى فى تلك الفرق محاول هدم ضد الاسلام ومجتمعه ودولته ، وكان همه الأول أن يحذر السلطان السلجوقى من هذا الخطر فلم يكن يهمه أن يعقد المقارنات بقدر ما يهمه توجه السلطان الجاد فى سبيل انقاذ العالم الاسلامى من الشرور .

ويبدو أن نظام الملك لم تتاح له الفرصة الكافية ليتثبت من معلوماته وقد اعتمد على ذاكرته فى معظم الأحيان ، وقد ضم الكتاب كثير من الأخطاء معظمها تاريخى وهو لا يقتصر على التاريخ الاسلامى فقط وانما الفارسى أيضا .

من هذه الاخطاء الاسلاميه اذكر منها ماوقع فى الفصل الثانى على لسان عمر بن الخطاب عباره " سواد بغداد " ولعله يقصد السواد — أى العراق — اذ من نافله القول ان بغداد لم يكن لها وجود فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ومنها توهمه من جلوس عماره بن حمزه بمجلس الخليفه الواثق بينما كان عماره يكتب للخليفه المنصور وليس للواثق والفارق الزمانى بين الخليفتين يقارب القرن . ومن الاخطاء التى وقع فيها فى التاريخ الفارسى انه يذكر فى الفصل الخامس ان انوشروان ولى الحكم بعد موت ابيه قباذ . ثم يعود فى الفصل الخامس والاربعين فيقول انه ولى الحكم بعد ان اضطر أباه الى التنازل وقيده وبعث به الى احدى القلاع .

على اننا يجب الا ننسب كل هذه الاخطاء الى نظام الملك فقد تكون بعض العبارات قد تغيرت على يد النساخ وخاصه اننا نعلم بيقين ان الاستنساخ قد جرى بعد سنوات طويله من وفاه نظام الملك .

على ايه حال وعلى الرغم من كل ماتعرض له الكاتب من ظروف صعبه ،

وما أصاب نسخ الكتاب من تأخير وتبديل فانه يعتبر بحق من الكتب النـــادرة التى حفظت لنا معرفه غزيره فى اداره الدوله وسياستها ، وتضمن اتجاهـــات فى غايه الخطوره والاهميه فى العلاقات الدوليه وسياسه الحرب والمال والاداره • اضافه الى اهميته فى تدوين تاريخ القرن الخامس الهجرى •

ولا أريد ان انتهى من تقييم هذا السفر الجليل دون الاشاره الى اهميته بين روائع الادب الفارسى من جهه ومكانته فى دراسه القصه ودراسه التأثيـرات المتبادله بين الثقافات الانسانيه المختلفه •

إغتيالة

اغتياله :

كانت نهاية حياة الوزير القدير نظام الملك قد تمت فى ظروف متداخله يلفها الغموض مما دفع العديد من المؤرخين لأن يرجعوا قتله الى اكثر من سبب . فهو بعد ان استقر على كرسى الوزاره لدوله السلاجقه حوالى ثلاثين عاما كان خلالها هو المتصرف الذى يدير شئون الدوله وخاصه فى عهد السلطان ملكشاه ، وقد قضى أيامه الاخرى فى صراع مستمر مع قوى مختلفه متعدده الاهداف . وقد تضاربت الآراء واختلفت أقوال المؤرخين فى الاسباب التى ادت الى قتله ولعل ذلك قد نجم عن جمله عوامل متداخله ، فقد أرجعها بعضهم الى طبيعه علاقته بالسلطان ملكشاه والتى ساءت كثيرا فى أواخر أيامه حتى بلغت درجه عاليه من التأزم بينهما ، فى حين يرى البعض أن سبب ذلك راجع الى العلاقه المترديه بين الوزير نظام الملك وبين زوجه السلطان ملكشاه ، تركان خاتون . فى حين ان مصادر اخرى ترى أن المنافسه على منصب الوزاره ووجود عدد من الشخصيات الطامعه لهذا المنصب قد يكون المبرر لمثل هذا العمل اذ تحتوى المصادر على دلائل متعدده تزيد من أهميه مثل هذا الاحتمال . غير ان مجموعه اخرى من المصادر تركز على حاله الصراع

الحاد والمستمر بين نظام الملك وبين طائفة الشيعة وبشكل خاص فرقة الاسماعيلية وتنظيماتها والتى أصبحت هدفا مركزيا لنظام الملك يأخذه فى الاعتبار فى كافة خطواته ، ومن هذا المنطلق فان الاسماعيلية وصيجتها التنظيمية المتمثلة فى حركة الحشيشية التى تمركزت فى قلعة الموت (١) ربما تكون وراء حادث الاغتيال الذى أودى بحياة هذا الوزير الفذ . ولعل مما يعزز هذا الرأى ظهور نصوص فى فترة تالية مباشرة من تعاليم الاسماعيلية اعترف بها حسن الصباح الداعية المنظم لحركة الحشاشين بأنهم قد خططوا للقضاء على الوزير نظام الملك وانهم قد نجحوا فى تحقيق ذلك الهدف . ولعل بالامكان اضافة احتمال آخر اذ لا يستبعد أن يكون الشخص الذى أقدم على هذه الفعلة مصاب بلوثة عقلية جعلته يتصور أن مأساته وظلامته يتحملها الوزير نظام الملك وان كان هذا الافتراض يحتاج الى أدلة وتوثيق واذا فهو لا يخرج عن اطار الافتراضات المنطقية المحتملة .

---

(١) تقع الموت على الطريق الرئيسى الذى يصل بين قزوين وبحر الخزر ، وتعتبر مفتاح بلاد الديلم ، ومنها بدأ الصباح دعايته الكبيرة (د . أحمد كمال الدين حلمى — السلاجقة فى التاريخ والحضارة — ص١٧٨) .

ولعل من المناسب ان نناقش هذه الاحتمالات في محاولة جادة للوصول الى حقيقة الدوافع الكامنة خلف اغتياله .

ترجع علاقة الوزير نظام الملك بالسلطان ملكشاه الى فترة مبكرة من حياة هذا السلطان السلجوقي فقد عهد والده الى نظام الملك بالاشراف على تربيته وتنشئته ، وقد قام الوزير بذلك على أحسن وجه . أما علاقته مع ملكشاه بعد ارتقاءه عرش السلاجقة فقد كانت على مايرام اذ أعطاه حرية التصرف في أمور الدولة السلجوقية لكن مع مرور الزمن ونتيجة لعوامل شتى لعل منها قوة سلطة نظام الملك وتفرده بادارة الدولة ، وما أشيع عنه من استئثاره بالاموال ومنحه اولاده وذوي قرباه الكثير من الاراضي كاقطاعات ومنح ، اضافة الى أمور اخرى ، لعل من بينها اغراءات خصومه به ووقوف زوجة السلطان منه كان لكل هذه العوامل مجتمعة اثرها في تغيير نظرة السلطان ملكشاه الى الوزير حيث أوغرت صدره عليه وأدت الى ان يفكر جديا في استعادة سلطانه وصلاحياته كسلطان وان يوقف الوزير عند حده .

وقد يرجع تغيير العلاقة بينه وبين السلطان الى موقف أحد أحفاد نظام الملك من مهموث السلطان الذي ان دل على شيء فانما يدل على استئثار

أحفاده بالسلطه نظرا لقوه شخصيه نظام الملك ومركزه الكبير فى الدولة .

والواقع أن نظام الملك هو الذى اشرف على تربيه ملكشاه فبعد أن اوصى له والده ألب أرسلان بالسلطنه تولى نظام الملك الامر واخذ البيعه من العسكر (١) وحدث ان " عسكر ملكشاه بسطوا ومدوا ايديهم فى أموال الرعية وقالوا مايمنع السلطان ان يعطينا الاموال الا نظام الملك فنال الرعية أذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له مافى هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسه فقال له افعل فى هذا ماتراه مصلحه فقال له نظام الملك مايمكننى أن أفعل الا بأمرك فقال السلطان قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فأنت الوالد وحلف له واقطعه اقطاعا زائدا على ماكان من جملته طوس مدينه نظام الملك وخلع عليه ولقبه القابا من جملتها أتابك (١) فظهر من كفايته

---

(١) ابن الاثير — الكامل — ٨/ ١١٣

(٢) من القاب الوظائف التى استعملت وبعض مركباتها فى بعض الاحيان كالقاب فخريه ويتألف من لفظين تركيين وهما " أطا " بمعنى أب " و "بك" بمعنى امير . ومع ان مهمه الاتابك الاساسيه كانت فى نشأتها الوصاية على الامير السلجوقى ، وتعهد تربيته وتعليمه ، الا انها شملت على مر السنين مهمات اخرى ادت فى آخر الامر الى انقسام الدوله الى ولايات يستقل بحكمها الاتابكه واسرهم . (د . حسن الباشا — الالقاب الاسلاميه فى التاريخ والوثائق والاثار — ص ١٢٢ — ١٢٣ — ١٢٤) .

وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور (١) .

اذن فان أول الاسباب التى أشار اليها معظم المؤرخين وأدت الى مقتله هو رغبة السلطان ملكشاه فى التخلص منه لسيطرته الواسعه ولانه قد سئم طول عمره وخشى ان ينازعه السلطه والنفوذ خاصة بعد ان اصبح شيخا كبيرا طاعنا فى السن ، فاستعان بالعديد من ابنائه وذوى قرباه الذين استبدوا بالسلطه مما جعل ملكشاه يفكر فى القضاء عليه ، وقد استغل أعداء الوزير هذه الفرصة للوشايه به عند السلطان ونجحوا بالفعل فى اشعال نار الخلاف والعداوه والبغضاء بين الاثنين (٢) .

ويضاف الى السبب الاول أن أحد أحفاد نظام الملك ويدعى عثمان كان قد ولاه جده الوزير رياسه مرو فحدث نزاع بينه وبين اكبر مماليك السلطان وأعظم

---

(١) ابن الاثير — الكامل — ٨/١١٤ — ١١٥

(٢) د . عبدالمنعم حسنين — سلاجقه ايران والعراق — ص ٧٤

الامراء فى دولته وانتهى هذا النزاع بالقاء مبعوث السلطان فى السجن وعندما أطلق عثمان سراحه استنجد بالسلطان ضد عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك فأرسل ملكشاه رسالة مطولة الى نظام الملك يقول فيها : " ان كنت شريكى فى الملك ويدك مع يدى فى السلطنه فلذلك حكم وان كنت نائبى وحكمى فيجب ان تلزم حد التبعيه والنيابه وهؤلاء اولادك قد استولى كل واحد منهم على كوره عظيمه وولى ولايه كبيره ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسه وطمعوا الى أن فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسل معهم الامير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له تعرفنى مايقول فربما كتم هؤلاء شيئا فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرساله فقال لهم قولوا للسلطان : " ان كنت ماعلمت انى شريكك فى الملك فاعلم أنك مانلت هذا الامر الا بتدبيرى ورأيى أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير امره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم ومنهم فلان وفلان وذكر جماعه من خرج عليه وهو فى ذلك الوقت يتمسك بى ويلزمنى ولايخالفنى فلما قدمت الامور اليه وجمعت الكلمه عليه وفتحت له الامصار القريبه والبعيده واطاعه القاصى والدانى أقبل يتجنى على الذنوب ويسمع فى السعايات قولوا له عنى ان ثبات تلك القلنسوه معذوق بهذه الدواه وان اتفاقهما رباط كل رغيبه وسبب كل غنيمه ومتى اطبقت هذه زالت تلك فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ

الحذر من الحادث أمام طرقه وأطال فيما هذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عنى ما أردتم فقد اهمنى ما لحقنى من توبيخه ، وقت فى عضدى فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان وان يقولوا له ما مضمونه العبوديه والتنصل ومضوا الى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى يلبرد الى السلطان فأعلمه ما جرى وبكر الجماعه الى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبوديه ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان انه لم يقل هذا وانما قال كيت وكيت فاشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعايه لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسه وثلاثين يوما وانحلت الدوله ووقع السيف " (١) وهذا يشير الى وصول العلاقه الى حاله التأزم الحاد والذى يعكس طبيعه العلاقه السيئه بين الرجلين .

ويذكر السبكى (٢) أن السلطان هو الذى امر بقتل نظام الملك " وذكروا لذلك أسبابا ظهرت على السلطان حاصلها أنه كان بينهما جفوه

---

(١) ابن الأثير — الكامل — ٨/ ١٦١ — ١٦٢

(٢) طبقات الشافعيه

من قبل ان نظام الملك كان يعظم امر الخليفه . وكلما أراد السلطان نزع الخليفه منعه النظام وأرسل فى الباطن الى الخليفه ينبهه ويرشده الى استمالة خاطر السلطان ولم يكن النظام يفعل ذلك الا تدينا وذبا عن حرمه الخليفه والا فقد كانت حالته وحشمته أضعاف أحوال الخلفاء . وفى حدود سنه سبعين لما فهم النظام التغير من السلطان على الخليفه أرسل الى الخليفه وأشار عليه بأن يخطب ابنة السلطان لينشأ الود بينهما فخطبها وكان السفير بينهما الشيخ ابو اسحاق الشيرازى صاحب التنبيه (١) .

اما علاقته مع تركان خاتون زوجه السلطان فقد كانت فى بادئ الامر حسنه للغايه اذ لا وجود لسبب يعكر صفوها وخصوصا ماقام به الوزير نظام الملك فى تربيه زوجها وتدبير أمره فى بادئ سلطنته . غير أن تلك العلاقه قد تأثرت على مايبدو بموقف نظام الملك من مسأله ولايه العهد ، اذ ان الوزير كان كما يظهر من النصوص التى وصلتنا حول هذه المسأله ، أميل الى ترشيح بركيارق الابن الاكبر للسلطان وبفضله على محمود ابن ملكشاه من تركان خاتون فى ولايه العهد

---

(١) السبكى - طبقات الشافعيه - ٣/ ١٤٢ - ١٤٣

ولعل ذلك أقرب الى تقاليد السلاجقة أنفسهم فى انتقال الرياسة الى الابن الأكبر . وتشير بعض المصادر الى أن مقتل الوزير أصلا قد يكون من تدبير تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه والتى قررت التخلص منه لأنه عارض فى تولية ابنها محمود ولاية العهد ، ورغب فى تولية بركياروق الابن الأكبر للسلطان ، فدبرت أمر قتله بالاتفاق مع وزيرها تاج الملك لأنهم خشوا من النظام تثبيطا لهم عن مرادهم (١) . اذن فان هناك أكثر من مرشح لولاية العهد ، الأول محمود ابن السلطان ملكشاه من تركان خاتون ، والثانى بركياروق ابنه الأكبر من زوجة أخرى وكان الصراع قائما على أشده فى سبيل الفوز بمنصب ولاية العهد .

ويذكر الراوندى أن تركان خاتون بنت طمغاج خان كانت زوجة السلطان المفضلة التى تملك تأثيرا كبيرا عليه ، وكان لها وزير هو " تاج الملك أبو الغنايم الفارسى " والذى كان يمتاز بحسن المنظر والمخبر ، والكفاية والدراية ،

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم — ٩/٦٧ — ٦٨ .
وأنظر : د . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام — ٤/٣١ .

والفضل والهمه ، وقد شاءت تركان خاتون أن ترفعه فى وجه نظام الملك .
" فمازالت تحت السلطان ان يعطيه الوزارة ، وتقبح له صورة نظام الملك وتتبع زلاته وعثراته حتى تغير السلطان عليه لكثره ما سمع من مساوئه .

وسبب العداء بين تركان خاتون ونظام الملك يرجع الى أن السلطان ملكشاه كان له ولد من تركان خاتون اسمه محمود ، شاءت امه ان تجعل السلطان ينصبه وليا لعهده ولكنه كان صغير السن جدا وكان اكبر اولاد السلطان هو " بركيارف " المرزوق له من " زبيده خاتون " بنت الامير " ياقوتى " وأخت الامير اسماعيل ، وكان نظام الملك يميل اليه ويحث السلطان على أن يفوض اليه ولايه العهد . وكان السلطان ايضا يرى بركيارق أليف لهذا الامر (١) .

وبهذا يتضح أن سبب تفضيل نظام الملك لبركياروق هو أنه الابن الاكبر للسلطان ، اضافة الى أنه يمتاز بالكفاءة والمقدرة على القيام بأعباء الدولة لانه قد وصل لدرجة من النضج تؤهله للقيام بمثل هذا العمل وفى مقابل

---

(١) الروانـدى ـ راحة الصدور ـ ص ٢٠٧ ، ابن النظام الحسينى ـ المعراضه ـ ص ٦٥ .

هذا نجد أن منافسه محمود طفل صغير لايمكن بأى حال من الأحوال أن يلى مثل هذا الامر بكفاءة .

وقد استغل اعداء الوزير نظام الملك فرصة الخلاف بينه وبين السلطان ملكشاه ، وكذلك العداوة التى نشأت بينه وبين زوجة السلطان فأخذوا يعملون على زيادة حدة هذا الخلاف حتى كان ماجرى وبعث السلطان ملكشاه بالرسالة التى سبق ذكرها لوزيره نظام الملك والتى كانت تبرز بوضوح الى أى مدى وصلت العلاقة السيئة بينهما .

ومن ضمن المنافسين لنظام الملك أبى المحاسن بن ابى الرضا ، الذى اخذ يتقرب الى السلطان ملكشاه ويطلب منه أن يعفى نظام الملك من الوزارة ويسلمه منصبه فقد قال " سلم الى نظام الملك واصحابه وأنا اسلم اليك منهم ألف ألف دينار فانهم يأكلون الاموال ويقتطعون الاعمال وعظم عنده ذخائرهم قبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما وأقام عليه مماليكه وهم ألوف من الاتراك وأقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم فلما حضر السلطان قال له اننى قد خدمتك وخدمت أباك وجدك ولى حق خدمه وقد بلغك أخذى لعشر اموالك وصدق هذا أنا آخذه وأصرفه على هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك وأصرفه ايضا على

الصدقات والصلات والوقوف التى أعظم ذكرها وشكرها وأجرها لك وأموالى وجميع ماأملكه بين يديك وأنا أقنع بمرقعه وزاويه فأمر السلطان بالقبض على أبى المحاسن ، وأمر ان تسمل عيناه وأنفذه الى قلعة ساوه وسمع أبوه كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم ومذل مائتى ألف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك (١) .

ومن جملة الاسباب التى ذكرت فى أسباب مقتله ماذكر من أنه قتل بسبب تاج الملك ابى الغنايم المرزبان بن خسرو فيروز المعروف بابن دارست فانه كان عدو نظام الملك كما كان كبير المنزله عند مخدومه ملكشاه والدليل الذى يساق لترجيح هذا أنه لما قتل الوزير رتبه موضعه فى الوزاره غير أن غلمان الملك وثبوا عليه فقتلوه (٢) .

اما تاج الملك المذكور فقد كان وزيرا لخاتون وابنها محمود وقد بعثته مع العساكر لقتال بركياروق فلما انهزموا حمل اسيرا عنده ، وكان يعرف كفاءته

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ـ ٨/ ١٣٣ ـ ١٣٤ ، السبكى ـ طبقات الشافعيه ـ ٣/ ١٤٣ ـ ١٤٤

(٢) ابن العماد ـ شذرات الذهب ـ ٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ـ ٢/ ١٣٠ ـ ١٣١

فأراد ان يستوزره ، وكان النظاميه ينافرون تاج الملك ويتهمونه بقتل نظـــام الملك ، وذل فيهم أموالا فلم يغنه ، ووثبوا به فقتلوه فى المحرم سنه ست وثمانين .

وكان كثير الفضائل جم المناقب ، وانما غطى على محاسنه ما لأنـــه على قتل نظام الملك . (١)

يفهم من هذا ان تاج الملك كان متهما بقتله لانه يسعى لمنصـــب الوزاره عند السلطان ملكشاه لذلك اتفق مع زوجه السلطان على قتله لتسير الامـــور بعد ذلك وفق مايريد . وكان المنافس الثالث لنظام الملك هو أبو الفضـــل الهروستمانى وزير الخاتون الجلاليه زوجه السلطان والذى كان يرفقه السلطـــان ملكشاه عند دخوله بغداد بعد مقتل نظام الملك " وكان من أشد الناس سعايـــه فى نظام الملك ، وعزم السلطان ان يستوزره عند دخوله بغداد فعاقته المنيـــه عن تحقيق ذلك .

---

(١) ابن الاثير — الكامل — ٨/ ١٦٥ ، ابن خلدون — العبر وديوان المبتدأ والخبر — القسم الاول ٥/ ٢٨ — ٢٩

(٢) ابن خلدون — العبر وديوان المبتدأ والخبر — القسم الاول ٥/ ٢٦ — ٢٧

ومن جملة الاسباب التى اقترحت لتفسير مقتل نظام الملك ماقيل من ان الشافعيه قد نفروا منه وكانوا يأملون فى القضاء عليه ولعلهم فكروا بتدبير مؤامرة لقتله بعد ان اخذ جانب الحنيفيه فى الصراع المحتدم بينهما (١).

أما الوسيلة التى استخدمت لتحقيق هذا الغرض وهو قتل الوزير نظام الملك والتخلص منه فهم طائفه من الشيعه ظهرت على مسرح الاحداث واصبحت مصدر خطر كبير يهدد السلاجقه ، وهذه القوه هى فرقه الشيعه الاسماعيليه التى ظهرت فى سنه ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م واتخذت مع مرور الوقت وتغير الظروف اسماء كثيره . لكن ليس معنى هذا أن الشيعه الاسماعيليه لم يكن لها وجود قبل ذلك التاريخ فى ايران فقد استطاع الاسماعيليون أن ينشروا دعوتهم فى بقاع متفرقه من ايران وفى ماوراء النهر ، وان يكسبوها قوه فى عهد بعض الحكام من السامانيين والديالمه من آل زياد ، الا أن نفوذهم تلاشى فى عهد الغزنويين والسلاجقه السابقين على ملكشاه لارتباطهم الكبير بالخليفة وحمياتهم للمذهب

---

(١) عبدالنعيم حسنين — دولة السلاجقه — ص ٦٧

السنى وقد عاد الاسماعيليه بصوره مخيفه على يد حسن الصباح (١) واختـارت

---

(١) حسن الصباح : (١٠٩٠ ـ ١١٢٤) مؤسس فرقه الصباحيه (الحشاشيـن) اقترن اسمه باسمى نظام الملك والخيام وذلك فى قصه معروفه عـن الاصدقاء الثلاثه وعرف بزعامته لفرقه الفدائيين التى اقامها فـى قلعه الموت وكان الصباح من دعاة الفاطميين الا أنه استقل بفرقـه تحمل اسمه ولبثت فرقته تزاول نشاطها وتلقى الرعب فى قلوب الحكام المسلمين حتى قضى عليها هولاكو حين غزا المغول قلعه الموت قبل دخولهم بغداد سنه ١٢٥٦ (الموسوعه العربيه الميسره ـ محمـد شفيق غربال ص ٧١٩)

الحسن بن الصباح بن على الاسماعيلى : داهيه شجاع ، عالم بالهندسه والحساب والنجوم قيل انه يمانى الاصل من حمير . مولده فى مرو . تتلمذ لاحمد بن عطاش (من اعيان الباطنيه فى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى) ثم كان مقدم الاسماعيليه بأصبهان ، ورحل منها وطاف البلاد ، فدخل مصر واكرمه المستنصر الفاطمى وأعطاه مالا وامـره بأن يدعو الناس الى امامته . فعاد الى الشام والجزيره وديار بكـر والروم ، ورجع الى خراسان ، ودخل كاشغر وما وراء النهر ، داعيـا الى المستنصر . ثم استولى على قلعه الموت (Alamout) من نواحى قزوين . وضم اليها عده قلاع ، واستقر الى ان توفى فيها =

لنفسها طريق الاغتيال للتخلص من الخصوم والمعارضين . والسر فى قوتهم فى تلك الفترة بالذات هو ان قائد حركتهم - ونعنى به حسن الصباح - قد تمكن فى عام ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠ م من الاستيلاء على قلعة من أقوى القلاع تدعى "الموت" واتخذها مقرا لدعوته ومركزا لمنظمته ونقطة انطلاق نحو اهدافه وقد عمدت هذه المنظمة الارهابية الى قتل كل من يعترض سبيل مبادئ دعوتها ، وانتشر فدائيوها فى الاقطار الاسلامية يغتالون الخلفاء والسلاطين والوزراء ويبثون الرعب فى ارجاء العالم الاسلامى .

ومن أبرز أعمال هذه المنظمة فى عهد ملكشاه تمكن الفدائيين من أتباعها

= ويسمى الاوربيون أصحاب الحسن هذا "اساسان" Assassins أى الحشاشون ، او المغتالون ، ويذكرون انهم فرقة من الاسماعيلية برزت فى الحروب الصليبية ، بقيادة الحسن بن الصباح ، فى آواخر القرن الحادى عشر للميلاد (اواخر الخامس للهجرة) وان كلمة "اساسان" اصلها "حشاشون" وفى كتابهم من يطلق هذا الاسم على الاسماعيلية جميعا . وللمستشرق برغشتال (كتاب.. Historredes) فى تاريخهم . (الاعلام - الزركلى - ٢/٢٠٨)

من اغتيال نظام الملك فى العاشر من رمضان سنه ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢ م ، ذلك الوزير الخطير الذى كان يمثابه عقل السلطان المفكر ويده الضاربه (١) .

ويذكر ان السلطان ملكشاه كان فى بدايه الامر يقرب الصباح اليه ، وأن الاخير كان باستمرار يحاول استمالته لينضم الى جانب الاسماعيليه ، ولكن نظام الملك كان يتنبأ بشرهم وخطرهم ويكثر من تحذير السلطان منهم وتنبيهه الى وجوب اعاده ديوان البريد لتبليغه اخبارهم أولا بأول مما أفسد على الصباح خطته ، وألجأه الى الفرار الى اصفهان ومنها الى مصر، حيث التقى هناك مع المستنصر بالله واصطدم بمداوه بدر الجمالى رئيس الدعوه فى مصر . ثم انتقل الى الشام فاصفهان وهناك اخذ فى نشر تعاليمه ومبادئه خاصه بعد ان استولى على قلعه الموت مستخدما المكر والخديعه والمال (٢) .

وتعتبر قلعه "الموت" Alamout من اقوى القلاع وأحصنها

---

(١) د . احمد كمال الدين حلمى — السلاجقه فى التاريخ والحضاره — ص ٤١ — ٤٢

(٢) ن . م . س ص ١٧٨

فى ناحيه روذبار بين قزوين وبحر الخزر على قمه جبل ، وحولها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها . وهى كرسى ملك الاسماعيليه ، قيل : ان بعض ملوك الديلم ، أرسل عقابا للصيد وتبعها ، فرآها وقعت على هذا الموضع فوجده موضعا حصينا ، فاتخذه قلعه وسماها اله موت اى تعليم العقاب بلسان الديلم (١).

اذن فأهم أسباب الخلاف بين السلاجقه ونظام الملك من ناحيه والاسماعيليه من ناحيه اخرى هو انهم كانوا شيعه مخالفين للمذهب السنى الذى كان يدين له السلاجقه بالولاء واحترامهم للخلفاء العباسيين كان روحيا فالخليفه العباسى فى بغداد برغم ضعف سلطته السياسيه كان لا يزال محتفظا بمكانته فى قلوب المسلمين .

وبعد استقرار ابن الصباح فى قلعه الموت بدأ يزاول نشاطه وينشر دعوته بينما كان بعض الدعاه الاسماعيليين يحصلون على مراكز للسيطره فى بقاع

---

(١) القزوينى — آثار البلاد وأخبار العباد — ص ٣٠١ — ٣٠٢

نائيه ويمتنونها ، كان آخرون يتابعون عملهم الدعائى فى المراكز الرئيسيـــــه للسنه والسيطره السلجوقيه ، ولقد كانوا أول من تورطوا فى سفك الدماء تورط فيـه العملاء الاسماعيليون والسلطات السلجوقيه .

وقع أول حادث فى مدينه صغيره تدعى ساوه تقع فى الهضبه الشماليه ، ليس بعيدا عن الرى وقم ، وربما كان ذلك حتى قبل الاستيلاء على قلعه المـوت ، وحدث ذلك حين ألقى القبض من قبل صاحب الشرطه على مجموعه مؤلفه من ثمانيـــه عشر اسماعيليا ، بسبب اشتراكهم معا فى صلوات منفرده ، ولقد كان هذا أول — اجتماع لهم من هذا النوع ، لهذا سمح لهم بالانصراف بعد استجوابهم ، وحاولوا بعد ذلك تحويل مؤذن من ساوه كان مقيما فى أصفهان الى عقيدتهم غير أنـــه رفض الاستجابه لدعوتهم ، فقام الاسماعيليه الذين خشوا من أن يتم عليهم بقتله .

ويقول المؤرخ ابن الاثير : " انه كان أول قتيل لهم ودمه كان أول دم أراقوه " . ولفت انباء هذا القتل الى الوزير نظام الملك الذى اعطى بنفســـه الامر بقتل رئيس الحلقه " (١) .

---

(١) برنارد لويس — الدعوه الاسماعيليه — ص ٦٠ — ٦١

ولقد بدأ النزاع المسلح بين السلاجقه والاسماعيليه فى سنه ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ عندما بذل السلاجقه أول جهد لهم فى معالجه الخطر الاسماعيلـــى وذلك بواسطه القوه العسكريه ، فقام ملكشاه الذى كان السلطان الاعظم او السيد الاعلى فوق الحكام والامراء السلاجقه ، بارسال حملتين واحده ضد الموت والاخرى ضد قوهستان ، لكن كلتا الحملتين لم يحالفهما النجاح حيث جرى صدهمـــا . وذلك بعد ان استمر الحصار فترة من الزمن ، ثم رفع الحصار عن المركز الاسماعيلى فى قوهستان وذلك عندما وصل خبر موت السلطان ملكشاه (١) .

لقد وضع الاسماعيليون الخطط للقضاء على نظام الملك لانه كما سبـــق ان ذكرنا كان خصما عنيدا لهم لم يجد وسيلة لمحاربتهم الا ولجأ اليها كمـــا أنه كان باستمرار ينصح السلطان ملكشاه بالابتعاد عنهم وعدم التأثر بهم ودعوتهـــم وأخيرا أغراه باستعمال القوه العسكريه ضدهم كما ذكرنا قبل قليل ويعتبر قتلهـــم لنظام الملك أضخم واكبر عمل قاموا بتنفيذه خلال الفتره من بدء دعوتهم حـــتى ذلك التاريخ .

---

(١) ن . م . س ص ٦٠ ـ ٦١

ويصف عماد الدين الاصفهانى الاسماعيليه بأن الواحد منهم كان يهجم على كثير وهو يعلم انه يقتل فيقتله غيله • ولم يجد احد من الملوك فى حفظ نفسه منهم حيله • فصار الناس فيهم فريقين فمنهم من جاهرهم بالعداوه والمقارعه ومنهم من عاهدهم على المسالمه والموادعه • فمن عاداهم خاف من فتكهم ومن سالمهم سقط الى شركهم فى شركهم وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجهتين فأول مابدءوا بقتل نظام الملك ثم اتسع الخرق • وتفاقم الفتق (١).

وقد كان ضحيتهم المختاره الوزير القدير نفسه الذى جعلته جهوده : " لاجتثاث صديد الفتنه • وقطع دابر التراخى اكثر اعدائهم خطرا " ، ووضع حسن الصباح خططه بحذر ويقول أحد أتباعه : نصب سيدنا فخاخه وأحابيله بشكل لتمسك فى شباك الموت والفناء قبل كل شىء بصيد ثمين مثل نظام الملك ، وبهذا الصنيع اصبحت شهرته وسمعته عظيمه ، وشعوذه الاضلال ، وخدع النفاق ، واعدادات مغويه ، وحيل مغريه ، أرسى حسن

---

(١) الاصفهانى — تاريخ دوله آل سلجوق — ص ٦٢ — ٦٣ — ٦٤

قواعد الفدائيين وقال : من منكم سيخلص هذه الدوله من شر نظام الملك الطوسى ؟ فوضع رجل يدعى بوطاهر الأرانى يد القبول على صدره ، واتبع طريق الخطيئه الذى أمل بأن يحظى بواسطته بنعم الحياه الاخرى ، وفى ليله الجمعه فى الثانى عشر من رمضان لسنه ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م وفى منطقه نهاوند جاء بزى صوفى الى محفه نظام الملك الذى كان محمولا من مكان العامه الى خيمه نسائه ، وضربه بسكين فنال بتلك الضربه الشهاده ، ونظام الملك كان اول رجل قتله الفدائيون وقال سيدنا عليه مايستحقه ان مقتل هذا الشيطان هو بدايه الغفران ولقد كان مقتله هو الاول فى سلسله طويله من مثل هذه الاغتيالات التى جلبت فى حرب مجمله من الارهاب ، الموت المفاجئ للملوك والامراء والقاده والحكام ، وحتى للفقهاء الذين أدانوا العقائد الاسماعيليه وافتوا بقمع هؤلاء الذين آمنوا بها (١) .

أما عن كيفيه حصول الحادث الذى " ذهب ضحيته الوزير نظام الملك فقد كان الوزير متوجها برفقه السلطان ملكشاه الى اصبهان فلما كانت ليله السبت

---

(١) برنارد لويس — الدعوه الاسماعيليه — ص ٦١ — ٦٢ — ٦٣

عاشر من رمضان سنه خمس وثمانين واربعمائه أفطر وركب فى محفته ، فلما بلـــــغ الى قريه قريبه من نهاوند يقال لها سحنه ، قال : هذا الموضع قتل فيـــــه خلق كثير من الصحابه زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهم اجمعين فطوبى لمن كان معهم ، فاعترضه فى تلك الليله صبى ديلمى على هيئه الصوفيـــــه معه قصه (١) فدعا له وسأله تناولها فمد يده ليأخذها فضربه بسكين فـــــى فؤاده ، فحمل الى مضربه فمات (٢) .

وقد قيل على لسان احد خدم نظام الملك ان آخر جمله تفوه بها : لاتقتلوا قاتلى فانى قد عفوت عنه وتشهد ومات (٣) .

وقد أظهر ملكشاه الحزن والجزع على وفاه نظام الملك ولازمه فى خيمتـــــه حتى لفظ أنفاسه الاخيره لكن بالرغم من هذا فقد كانت أصابع الاتهام تشير الـــــى

---

(١) أى رقعه .

(٢) ابن خلكان ــ وفيات الاعيان ــ ٢/ ١٢٩ ــ ١٣٠ ، المقدسى ــ الروضتين ــ ١/ ٢٥ .

(٣) السبكى ــ طبقات الشافعيه ــ ٣/ ١٤٢

ملكشاه على انه المشارك فى قتل نظام الملك ، وعلى أى حال فان السلطـــان نفسه لم تطل مدته بعده سوى خمسه وثلاثين يوما .

لكن ينبغى أن نلاحظ أن ضربة واحدة من سكين وتكون ميته لابـــد ان يكون القائم بها مدربا تدريبا عاليا علىّ استعمالها وهذا مايرجح كونـــه من الحشاشين الذين يتمتعون بخبرة فنيه ومقدرة كبيره على استعمال هذا السلاح فقد كانت مهنتهم الاساسيه كما سبق وأشرنا الى ذلك القتل وسفك الدماء والتخلص من كل من يحاول اعتراض طريقهم او عرقله جهودهم .

وهناك أكثر من مرجع يؤكد ان مقتل نظام الملك كان على ايدى الحشاشين وهكذا فقد اغتيل هذا الوزير العظيم فى ١٠ رمضان سنه ٤٨٥ هـ الموافـــق ١٤ اكتوبر سنه ١٠٩٢م بينما كان مسافرا فى معيه السلطان بين أصفهـــان وبغداد اغتاله غلام من الحشاشين تنكر بزى الصوفيه (١).

---

(1) ENCYCLOPEDIA Britannica (Napoleon overture 16).
NIZAM AL - MULK page 546.

وقد ربط القزوينى بين الباطنيه وعمليه اغتياله فقد ذكر انه كان شديد التعصب على الباطنيه ثم سرد حادث الاغتيال (١).

ولعل الاسباب المذكوره مجتمعه قد أدت الى عملية الاغتيال ، فقد كان لتأزم العلاقه بينه وبين السلطان ملكشاه بسبب سيطرته الواسعه ومنازعته السلطه والنفوذ ، وكذلك لتأزم الحال بين زوجه السلطان تركان خاتون وبين الوزير بسبب موقفه من ولايه العهد ، اضافه الى دور المنافسين للوزير وعلى رأسهم تاج الملك وزير تركان خاتون الذى كان يسعى للقضاء عليه طمعا فى منصب الوزاره ، واخيرا موقف الاسماعيليه منه واصرارهم على قتله كما ورد على لسان صاحب الدعوه حسن الصباح وربما يكون السبب الأول وهو علاقته بالسلطان ملكشاه أقرب الى القبول فالسلطان نفسه بدأ يحقد على الوزير بعد أن فقد الثقه به فاذا أضفنا تأثير زوجته عليه من جهة ودور المنافسين فى اشعال نار الخلاف من جهة أخرى اضافه الى شعور السلطان ملكشاه بأن نظام الملك أصبح

---

(١) القزوينى — آثار البلاد واخبار العباد — ص ٤١٣

يحتل مركز القوه فى الدوله وبأن قلوب عامه الناس وكذلك رجال الجيش التفت حوله ومن الصعب القضاء عليه فى هذه الظروف الراهنه حتى لا يؤدى ذلك الى اثاره الثورات والاضطرابات ، وليس لدينا مايشير الى وجود علاقه بين ملكشاه وبين الوسيله التى استخدمت لتحقيق المهمه وهم الشيعه الاسماعيليه .

فلقد كان هؤلاء بدورهم لا يميلون الى نظام الملك لانه كان يحاول باستمرار كما رأينا ان يثير انتباه السلطان الى خطرهم ، وأن يوقفهم عند حدهم ويمنع انتشار دعوتهم لان نجاحها سيكون على حساب أهل السنه من المسلمين الذين تستقطبهم بغداد عاصمه الخلافه الاسلاميه العباسيه والتى كان ينظر اليها نظام الملك بصفه خاصه وسلاطين السلاجقه بوجه عام نظره اجلال واحترام وتقدير . واضافه لما ذكرنا هناك السرعه والمقدره الفائقه التى نفذت بها عمليه الاغتيال التى تمت بضربه قاضيه واحده . ولم يكن الوزير أول شخص اغتالته الاسماعيليه لكنه كان أول اكبر ضحاياهم وكان البدايه بالنسبه لباقى ضحاياهم من الشخصيات الاسلاميه البارزه .

وقد رسمت الخطه التى ادت الى مقتله بدقه بالغة حتى أن المتظلـــــم الاهوج كان واثقا مطمئنا الى ان الوزير لن يخذله وسيتناول ظلامته لما عـــــرف عنه من الاهتمام بشئون الرعيه ورغبته فى احقاق الحق ودفع الباطل .

... ...

نتائج البحث

بحمد الله تعالى وتوفيقه

انتهينا من البحث الخاص بوزير السلاجقة الأكبر نظام الملك ، والذى تناول دراسة الأوضاع السائدة فى تلك الفترة ، ودور الوزير وتأثيره فى الأحداث ونتائجها .

وقد جرى التركيز على دراسة شخصية الوزير ، الظروف البيئية التى أحاطت به ، نشأته وتربيته ، اتجاهاته ، آرائه ، وعلاقته بسلاطين السلاجقة ، فقد شغل الوزارة لأكثر من ثلاثين عاما أمضى الفترة الأولى منها ولمدة عشر سنوات قائما على خدمة السلطان ألب أرسلان ، مشتركا معه فى معظم حروبه وغزواته ، منفذا لسياسته ومدبرا لأمور دولته . غير أنه فى دور السلطان ملكشاه لعب دورا أكبر اذ كان مطلق التصرف فى شئون السلطنة مما هيأ له الفرصة لاجراء العديد من الاصلاحات . وقد أبرزت الدراسة الدور الكبير الذى قام به الوزير فى مجالات الحكم المختلفة السياسية منها والعسكرية والاقتصادية والثقافية مما هيأ له الفرصة للقيام بدور حضارى جليل تمثل فى انشاء المدارس النظامية خدمة للاسلام والمسلمين ورغبة فى نشر وتعميق الثقافة الاسلامية اضافة الى علوم الشريعة الاسلامية واللغة العربية .

وقد أثبتت الدراسة الموقف الشجاع لنظام الملك الى جانب سلاطين السلاجقة فى صراعهم مع الشيعة الباطنية وذلك من خلال مناهضته للفرق المارقة والخارجة عن الاسلام ، وفى مقدمتها الاسماعيلية ، فقد تصدى لها وجاهد بحماس فى سبيل دفع شرورها وتحذير المسلمين من أخطارها .

أضف الى ذلك فقد انعكس من خلال هذه الدراسة الثقافة الواسعة والتتبع والدقة التى تميز بها الوزير نظام الملك وكان ذلك اضافة الى اعزازه العلم والعلماء مدعاة لبروز العديد من العلماء فى عصره .

أما الناحية العسكرية فقد منحها الكثير من وقته واهتمامه وعنايته كما حرص على تأمين الأموال الكافية للجند حتى يظلوا بمثابة الدرع الواقى لدولة السلاجقة ، كما وقف ضد المحاولات المتكررة لتقليص عدد أفراد الجيش أو تسريح بعض فرقه ادراكا منه لأهمية القوة ودورها فى درء الخطر .

واذا انتقلنا الى الناحية السياسية نجد أنه حرص على تقريب وجهات النظر بين الخلافة الاسلامية فى بغداد وبين سلاطين السلاجقة متخذا من تمسك الطرفين بالسنة المطهرة الرابط المتين الذى يشدهما الى بعضهما ، ويعمل على استمرار الوفاق والوئام وهذا يعنى اتحاد كلمة المسلمين وقدرتهم

على جمع الشمل وابعاد كل ما يتسبب فى احداث الفرقة ، وكذلك احساسهم بالخطر المشترك الذى يتهددهم جميعا .

وقد أعطت الدراسة لكتاب " سياسة نامه " أهمية خاصة اذ جـــرت محاولة للتعرف على الهدف من تأليفه كما جرى استعراض أهم الموضوعـــات التى ناقشها المؤلف ، تلك الموضوعات الحيوية التى تعكس أهميته ومحتوياتـــه وآراء مؤلفه الى حد بعيد .

وقد ألقى البحث الأضواء على كثير من المنجزات التى تمت فى عهـــد وزارة نظام الملك للسلطان ملكشاه وعلى رأسها تعديل التقويم ، والاهتمام بأمر الاقطاع .

وفى الختام آمل أن يكون هذا البحث قد حقق الهدف المرجو منه بابراز معالم شخصية هذا الوزير الجليل وتبيان أهميته فى الحياة السياسيـــة على عهد السلاجقة .

والله من وراء القصد

هيفاء عبدالله البســام

مكة المكرمة
غرة ذى القعدة ١٤٠٠ هـ

قائمة
المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية :

ـ ابن الأثير : أبى الحسن على ابن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب بعز الدين (توفى سنة ٦٣٠ هـ) .
الكامل فى التاريخ ، الجزء الثامن ، الناشر : دار الكتاب العربى ، بيروت لبنان .

ـ ابن الجوزى : أبى الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزى (توفى سنة ٥٩٧ هـ) .
المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، سنة الطبع ١٣٥٩ هـ .

ـ ابن خلدون : عبد الرحمن ابن خلدون المغربى
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر .
القسم الأول ، المجلد الخامس ، منشورات دار الكتاب اللبنانى .

ـ ابن خلكان : أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ) ، المجلدين الأول والثانى ، حققه الدكتور احسان عباس .

ـ ابن العميد : أبو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد (ت ٣٦٠)
تاريخ المسلمين (ط لايدن) .

ـ ابن العمادالحنبلي : أبي الفلاح عبدالحي بن العمادالحنبلي (توفى سنة ١٠٨٩) .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الجزء الثالث .

ـ ابن كثير : عمادالدين اسماعيل بن عمر بن كثير (ت : ٧٧٤ هـ) ـ
البداية والنهاية ، الجزء ١١ ، ١٢ ، الطبعة الأولى ، سنة الطبع ١٩٦٦م.

ـ ابن النظام : محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني (ت سنة ٧٤٣ هـ)
المراضة في الحكاية السلجوقية ، ترجمة وتحقيق الأستاذ الدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، ط . جامعة بغداد ، ١٩٧٩م.

ـ ابن الوردى : زين الدين عمر بن الوردى (ت ٧٤٩) .
تتمة المختصر في أخبار البشر ، مصر ١٣٢٥ .

ـ أبو الفدا : عمادالدين اسماعيل أبي الفداء (ت ٧٣٢ هـ) .
المختصر في أخبار البشر ، الجزء الثاني .

ـ الاصطخري : أبواسحق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت في ق ٤ هـ).
المسالك والممالك، نشر دار القلم ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م.

— الأصفهانى : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهانى ٠
تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الشيخ الامام العالم الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى ٠

— البندارى : الفتح بن على بن محمد البندارى
تاريخ دولة آل سلجوق ، بيروت — ط: الثانية١٩٧٨م٠

— البيهقى : أبو الفضل محمد بن حسين الكاتب البيهقى (ت ٤٧٠هـ)
تاريخ بيهق ، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت المطبعة : الأنجلو المصرية ١٩٥٦م٠

— الحسينى : صدر الدين أبو الحسن على السيد الامام الشهيد أبو الفوارس ناصر بن على ٠
أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد اقبال ، طبع لاهور — ١٩٣٣م٠

— حمدالله المستوفى : القزوينى أبو بكر بن أحمد بن نصر ٠
تاريخ كزيده ، ج ١ ، نشر براون ، طبع بمباى ١٩١٠م٠
نزهة القلوب — نشر لسترغ لايدن ١٩١٣م٠

— خواندمير : غياث الدين بن همام الدين (ت ٩٤٢ / ١٥٣٥م)٠
حبيب السير فى أخبار أفراد البشر ، طبع بمباى ١٢٧٣ / ١٨٥٨م٠

— الذهبى : للحافظ شمس الدين الذهبى (٦٧٣ / ٧٤٨ هـ) .
دول الاسلام ، الجزئين الأول والثانى — تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى ابراهيم .

— الراوندى : محمد بن على بن سليمان
راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية (بالفارسية) نقله الى العربية : د . ابراهيم أمين الشواربى و د . عبد النعيم محمد حسنين ، د . فؤاد عبد المعطى الصياد .

— السبكى : تاج الدين تقى الدين السبكى
طبقات الشافعية الكبرى ، المجلد الثالث ، الطبعة الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت — لبنان .

— السمرقندى : أحمد بن عمر بن على نظامى عروضى سمرقندى .
جهار مقاله . ترجمة : يحيى الخشاب ، عبد الوهاب عزام . ط . لايدن ١٣٢٧ هـ .

— السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١ هـ)
تاريخ الخلفاء ، ط الرابعة ، سنة الطبع ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩م ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

— العمرانى : محمد بن على بن محمد (ت ٥٨٠ هـ) .
الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق وتقديم ودراسة الدكتور قاسم السامرائى .

— الفـارقى : أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق الفارقى
تاريخ الفارقى ، حققه وقدم له : د . بدوى عبد اللطيـف عوض ، راجعة الأستاذ محمد شفيق غربال .
مكان الطبع : القاهرة ، تاريخ الطبع : ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م .

— الفخرى : محمد ابن الطقطقى أو الفخرى نسبة الى السلطان أرغـون فخر الدين .
الآداب السلطانية والدول الاسلامية .

— القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود القزوينى
آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٨م

— الكردىزى : أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود
زين الأخبـار — طبع برلين

— المقدسى الشافعى : شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن اسماعيل ابـن ابراهيم المقدسى الشافعى .
الروضتين فى أخبار الدولتين ، جزء أول وثانـى ، دار الجيل ، بيروت .

— المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثـار .

— النوبختى : أبو محمد الحسن بن موسى (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢م) .
فرق الشيعة ، النجف ١٩٣٦م .

ثانيا : المراجع العربية والمعربة :

ـ د٠ أحمد كمال الدين حلمى ، السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، الطبعة الأولى ـ سنة الطبع ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م٠

ـ برنارد لويس ، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، نقله الى العربية د٠ سهيل زكار ، دار الفكر٠

ـ تامارا تاليوت رايس ، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة : لطفى الخولى و ابراهيم الداقوقى ، مراجعة : عبد الحميد العلوجى ٠

ـ د٠ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج ٠ الرابع ، العصر العباسى الثانى ، الطبعة الأولى٠سنة الطبع ١٩٦٨م٠

ـ د٠ حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ٠

ـ حسين أمين ، تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ٠
مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م٠

ـ د٠ سعاد ماهر ، أثر الماوردى فى الفن السلجوقى ـ المقال ـ مجلة المؤرخ العربى ـ العدد العاشر ، بغداد ٠

ـ عبد النعيم محمد حسنين ، دولة السلاجقة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م٠

— ولبر ، دونالد ولبر
ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة الدكتور عبد النعيم محمد حسنين .

. . . .

ثالثا : المعاجم والموسوعات :

— د . أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، المجلد الثالث ، الخلافة العباسية . الطبعة الخامسة ، سنة الطبع ١٩٧٤م .

— البغدادى : صفى الدين عبد المؤمن بن عبدالحق البغدادى (ت ٧٣٩ هـ) .
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، مختصر معجم البلدان لياقوت . الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥م . تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه .

— الحموى : أبو الفضائل محمد بن على الحموى (ت ٦٤٤ هـ/١٢٤٦م
التاريخ المنصورى ، عنى بنشره بطرس غرياز ، موسكو ١٩٦٠م .

— خيرالدين الزركلى : الاعلام ، قاموس تراجم ، الأجزاء ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ — الطبعة الثالثة .

— محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة .

— محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد الخامس ، الطبعة الثالثة ، سنة الطبع ١٩٧١م .

— محمد مرتضى الزبيدى : شرح تاج العروس من جواهر القاموس ، المجلد السادس .

— ياقوت الحموى : شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) .
معجم البلدان — المجلد الثانى — بيروت ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦م ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر .

.. ..

رابعا : المراجع الأجنبيـــة :

1. The Book of Government. Or
Rules for Kings.

2. Encyclopoedia Britannica Art."NIZAM AL - MULK"
Art."SELJUKS".

3. Encyclopedia Britannica Napoleon overture 16
NIZAM AL - MULK P. 546.

4. Lambton, Landlord and Peasant in Persia.

.. ..